

اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية الآداب
قسم التاريخ

**موقف المؤسسة الدينية في النجف
من مشروع الدولة الوطنية في
العراق**

١٩٤١-١٩١٨

اطروحة تقدم بها

حسين عبد الواحد بدر

إلى مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد وهي جزء من
متطلبات نيل درجة دكتوراه في التاريخ المعاصر

بإشراف

الأستاذ الدكتور

حسن علي سبتي الفتلاوي

٢٠١٠م

١٤٣١هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى مَن علمني أبجدية العلم، باسماء دربي بأحرف مَن نور ...
والدي ... طيب الله ثراه ...

إلى مَن قصّت ليالٍ مَورقةً ، ساهرةً لا يغفو لها جفء، ترقبني كبذرة
تنمو أهدبها ثمرةً شقاؤها،
أمي أمّ الله عمرها

إلى مَن تحمل رقةً لك النساء، حملت بيدها قنديل ضوئٍ لتضيء لي
السطور ، واحتملت بعثرة أوقافٍ هنا ... وهناك زوجتي الغالية ...
إلى روان طفلي المدللة ... لا أملك سوى الحب لها لتكمل مشوار
أبيها في طريق العلم والأدب ...
لك أولئك ... أهدى نجاحي ...

شكر وامتنان

بعد ان انعم الله عليّ بانجاز هذا الجهد العلمي المتواضع، اتقدم بجزيل الشكر ووافر الامتنان إلى استاذي الفاضل الدكتور حسن علي سبتي، الذي تقضل مشكوراً بقبول الاشراف على اطروحتي، وكانت لتوجيهاته وملاحظاته العلمية الدور المؤثر في توجيهه الاطروحة على هذا النحو، واثمن عالياً تقديره لظروفي الخاصة التي مررت بها راجياً من الله تعالى ان يوفقه في مجالات الحياة كافة.

واسجل امتناني وشكري إلى اساتذتي الافاضل للسنة التحضيرية الذين اسعدني ان انهل العلم عنهم وهم : المرحوم الدكتور صالح محمد العابد والدكتور كمال مظهر أحمد والدكتور عباس عطية جبار والدكتور هاشم التكريتي والدكتور إبراهيم العبيدي والدكتور صادق السوداني والرحوم الدكتور نوري السامرائي والدكتورة رجاء حسين الخطاب.

واقدم شكري وامتناني للشيخ شريف الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء لسعة صدره في اجابته عن اسألتني فضلاً عن اتاحته لي الاطلاع على مؤلفات الشيخ ووثائقه. ولايفوتني في هذه المناسبة ان اعرب عن عميق شكري وامتناني العاليين إلى عدد من الاساتذة الافاضل، للمساعدة التي قدموها لي وهي تأمين عدد من المصادر المهمة، وهم كل من الدكتور محمود عبد الواحد والدكتور حسن الحكيم والدكتور علاء حسين الرهيمي.

واسجل شكري وامتناني العالي إلى زميلي الاخ محمد جبار إبراهيم لتزويدي بالعديد من الكتب القيمة التي اغنت الاطروحة، واقتراحه عليّ اضافة مصطلح مشروع إلى عنوان الاطروحة.

واتقدم بالشكر الجزيل إلى الشيخ عبد النور الزبيدي والدكتورة شيما سالم، والشيخ محمد الكرياسي مسؤول الوثائق في مؤسسة كاشف الغطاء في النجف، للمساعدة القيمة التي قدموها لي من توفير مصادر او المساعدة في الحصول عليها.

والى موظفي المكتبة الحيدرية في النجف ومكتبة الحكيم، ومركز الأمير في النجف، ومسؤولة مكتبة قسم التاريخ السيدة مديحة جواد، ومسؤولة مكتبة الدراسات العليا السيدة نجاة علوان وموظفاتهما، والى موظفي وموظفات المكتبة المركزية كافة ، وادعو للجميع بالصحة والتوفيق.

الباحث

المختصرات والرموز المستخدمة في الاطروحة

ت	الرموز	
١	F.O	وزارة الخارجية (البريطانية) (Foreign office)
٢	C.O	وزارة المستعمرات (البريطانية) (Colonial office)

المحتوى

الصفحة	الموضوع
٦-١	المقدمة
٨٠-٧	الفصل الأول: تطور الفكر السياسي للمؤسسة الدينية في النجف حتى ١٩١٨
٢٤-٧	أولاً: مفهوم المؤسسة الدينية
٤٥-٢٤	ثانياً : تطور نظرية السلطة
٣٣-٢٤	١- نظرية التعامل مع السلطة
٣٨-٣٣	٢- نظرية النيابة العامة
٤٥-٣٩	٣- نظرية ولاية الفقيه
٨٠-٤٦	ثالثاً: تبلور التيار الاصلاحى وتأصيله الشرعى للدولة الدستورية
٦٠-٤٦	١- العوامل التي اسهمت في قيام التيار الاصلاحى
٨٠-٦٠	٢- موقف التيار الاصلاحى من احداث المشروطة والمستبدة في النجف واثرها في اعلانه عن فكره الاصلاحى ((طبيعة افكاره))
١٦٨-٨١	الفصل الثاني: موقف المؤسسة الدينية في النجف من نشأة الدولة في العراق وبناء نظامها السياسي ١٩١٨-١٩٢٥
١١٩-٨١	أولاً: تبلور مشروع الدولة العراقية المستقلة (١٩١٨-١٩٢١)
١٤٦-١١٩	ثانياً: تأسيس الدولة العراقية واشكالية السيادة الوطنية
١٢٧-١١٩	١- الحكومة العراقية المؤقتة
١٤٦-١٢٨	٢- ترشيح فيصل بن الحسين وتوجيهه ملكاً على العراق
١٦٨-١٤٧	ثالثاً: تثبيت النظام السياسي العراقى
١٥٢-١٤٧	١- المعاهدة العراقية البريطانية ١٩٢٢
١٦٣-١٥٢	٢- انتخاب المجلس التأسيسى ١٩٢٤

الصفحة	الموضوع
١٦٣-١٦٨	٣- القانون الاساسي ١٩٢٥
١٦٩-٢٦٨	الفصل الثالث :موقف المؤسسة الدينية في النجف في الحياة السياسية ١٩٢٦-١٩٤١
١٦٩-١٨٤	اولاً: موقفها من السلطة
١٨٣-١٨٩	ثانياً: موقفها من معاهدة ١٩٣٠
١٨٩-٢٣٨	ثالثاً: موقفها من ظاهرة عدم الاستقرار السياسي
١٨٩-١٩٧	١- ضعف مجلس الامة (البرلمان)
١٩٨-٢١٩	٢- الحركات العشائرية
٢٢٠-٢٣٨	٣- تدخل الجيش في السياسة
٢٣٩-٢٦٨	رابعاً: موقفها من الافكار السياسية الحديثة
٢٣٩-٢٤٦	١- الفكر القومي
٢٤٧-٢٥٠	٢- الفكر الليبرالي
٢٥١-٢٦٨	٣- الفكر اليساري ((الماركسية انموذجاً))
٢٦٩-٣٢١	الفصل الرابع: المؤسسة الدينية في النجف وعصرنة المجتمع ١٩١٨-١٩٤١
٢٦٩-٢٨٠	اولاً: موقفها من المرأة
٢٨١-٢٩٢	ثانياً: نظرتها للوضع الاقتصادي
٢٩٣-٣٢١	ثالثاً: اصلاح التعليم الديني واثره الفكري والثقافي في المجتمع
٣٢٢-٣٢٥	الخاتمة
٣٢٦-٣٦١	قائمة المصادر والمراجع
٣٦٢-٣٦٦	الملاحق
A-C	ملخص الاطروحة باللغة الانكليزية

المقدمة (نطاق البحث وتحليل المصادر)

يُعدّ تاريخ العراق الحديث والمعاصر مادة ثرية للبحث ، وعلى الرغم من حجم الدراسات الواسع التي عالجت مواضيعه المختلفة ، إلا أن بعضها لم يأخذ حقه الوافي في البحث ، ومنها موقف المؤسسة الدينية في النجف من التطورات السياسية في العراق وبعضها شكل ضرورة تاريخية أفرزتها معطيات الواقع السياسي العراقي والمتمثل بزوال الحكم العثماني في أعقاب الاحتلال البريطاني العراقي وما مثله ذلك من تحدي تاريخي للعراقيين وطبيعة تعاملهم مع الواقع الجديد.

مثلت المؤسسة الدينية قيم اسلامية يؤمن بها المجتمع العراقي ، لذا فلا غرو أن يتفاعل المجتمع مع مواقفها من قضاياها العامة ليكتسب موقفها ثقلاً كبيراً في معالجة المسائل المطروحة لاسيما في أوقات الأزمات ومن ثم دراسة هذا الموقف ذا أهمية في تحديد ميول قسم كبير من شرائح المجتمع فضلاً عن قيمته التاريخية والعلمية.

تكمن أهمية الموضوع أيضاً بوصفه يعالج موقف المؤسسة الدينية لنشأة الدولة في العراق وتطور مؤسساتها والظروف التي أحاطت بها لما لذلك من أهمية بارزة في التعرف على تقييمها للأسس البنيوية التي أقيمت عليها بغية استخلاص العبر التاريخية منها.

من جانب آخر لا يمكن إغفال دور المؤسسة الدينية في النجف في جوانب أخرى ذات علاقة وثيقة بالدولة منها المجتمع، فالأخير أحد عناصرها إلى جانب (الوطن) و(الحكومة)، ومن ثم بيان رؤيتها تجاه فالمجتمع يدخل في سياق رؤيتها الشاملة للأطر التي تُحيط بعملية بناء الدولة والذي لا يقتصر على الأسس القانونية والمؤسساتية لا سيما أن الحديث عن مشروع دولة وطنية من المفترض إنها قائمة على السيادة والمواطنة القاضية بوجوب المساواة وحق أفراد الشعب في المشاركة في إدارة شؤون الدولة من دون تمييز عرقي أو ديني أو مذهبي .

ولا بد من الإشارة بان الدور السياسي والوطني الذي أدته المؤسسة الدينية في النجف خلال الفترة الزمنية للأطروحة ، و بعد عام ٢٠٠٣ قد شجعه على الخوض في هذا الموضوع . جاء اختيار عام ١٩١٨ بداية لموضوع الأطروحة بعده نهاية الحكم العثماني في العراق وبداية تبلور مشروع الدولة المستقلة في العراق والتي مثلته مطالب الحركة الوطنية الاستقلالية، أما سبب توقفها عند العام ١٩٤١ بالتحديد بعد قيام " حركة مائس " لأنه العام الذي كشف ضعف النظام الملكي في العراق واعتماده على العامل الخارجي في ديمومته ، فضلاً عن كون أحداث هذا العام أشبه بنهاية حقبة من تاريخ العهد الملكي في العراق .

تفترض الأطروحة إن المؤسسة الدينية في النجف أسهمت في بلورة مشروع دولة حديثة في العراق قائم على السيادة ومشاركة الشعب في إدارة الدولة، لكن هذا المشروع اصطدم بالمشروع البريطاني القائم على خلق سلطة بثوب الدولة الحديثة ، ومن ثم غياب دولة المؤسسات الحقيقية في العراق أفضى إلى عدم استقرار الدولة بفصل الصراعات حول السلطة، والاستئثار بها ، مما أثر سلباً على مشروع الدولة الوطنية في العراق .

تتكون الأطروحة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة لاهم الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث .

عالج الفصل الأول : تطور الفكر السياسي في المؤسسة الدينية حتى عام ١٩١٨ ، لبيان مدى قدرتها للخوض في موضوع ذو جوهر سياسي مثل الدولة فضلاً عن الظروف التي مكنتها من ذلك. وابتداء بالحديث عن مفهومها من حيث المسوغ التاريخي والمقومات والخصائص بعد هذه المؤسسة كانت ولم تزل قائمة عليها، ثم وضح مدى تطور نظريتها السياسية من التعامل الحذر مع السلطة إلى تبنيها لمفهوم الدولة الدستورية بعدها نتيجة لتأثرها بالمتغيرات التي عاصرتها .

وتتأول الفصل الثاني موقفها من نشأة الدولة وبناء نظامها السياسي، في محاولة للتعرف عن طبيعة مشروع الدولة التي تؤمن بها فضلاً عن طبيعة التطورات السياسية التي مكنتها من أداء دور سياسي في هذه المرحلة . وبدء بتعريضها للوعي السياسي في مرحلة ما بعد الحكم العثماني ودورها في تبلور الحركة الوطنية الاستقلالية وفي صياغة ملامح مشروع الدولة الذي تبنته. ثم بيان موقفها من تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ الذي رأت فيها مشروعاً بريطانياً صرفاً لا يتفق ومصلحة الشعب العراقي لذا طالبت بنيلها السيادة التامة، وانسحب ذلك عن موقفها من ترسيخ نظامها السياسي الذي تمثل بالمعاهدة العراقية - البريطانية ١٩٢٢ وانتخابات المجلس التأسيسي ١٩٢٤ .

ودرس الفصل الثالث موقفها من الحياة السياسية ١٩٢٦-١٩٤١ وذلك للتعرف عن مدى استمرارها في مشروعها بشأن الدولة الوطنية ، ومدى توافق هذا المشروع مع المتغيرات على المستويين السياسي والفكري ، فتطرق لعدة جوانب منها موقفها من معاهدة ١٩٣٠ بعدها مهدت لادخال العراق إلى عصبة الأمم، ورؤيتها اتجاه السلطة ومن ثم ظاهرة عدم الاستقرار السياسي مبينا ابرز العوامل التي أدت إلى هذه الظاهرة وابرز مظاهرها .. كالحركات العشائرية وتدخل الجيش في السلطة ، أخيراً موقفها من الأفكار الحديثة التي نمت في المجتمع والتي أثرت بعضها في التوجهات الفكرية لبعض الشرائح وما لذلك من أثر على الدولة والمجتمع.

في حين اختص الفصل الرابع بموقفها من عصنة المجتمع العراقي، حيث طرح تساؤلاً مهماً مفاده هل تعاونت المؤسسة مع المجتمع كجزء من مشروعها وبوصفه اساس بناء الدولة الوطنية الحقيقية في العراق ، وتطرق لعدة جوانب مثل اهتمامها بقضية المرأة والوضع الاقتصادي وإصلاح التعليم الديني لما له من أثر فكري وثقافي، بوصف المجتمع - كما سبق - أحد عناصر الدولة الرئيسية والاهتمام بقضايا تنميته اجتماعياً واقتصادياً وفكرياً وثقافياً يدخل في صلب مفهومها للدولة الوطنية . ولم تكن

مهمة الباحث خالية من المشاق والعقبات ، فقد اعترضته صعوبات عدة ، إذ فرضت طبيعة الأطروحة ومنها معالجتها لجوانب مختلفة متزامنة تاريخياً ، اعتماده التتبع الزمني للاحداث وفي الوقت نفسه وحدة الموضوع منهاجاً لخطه البحث مما قد يوقع الباحث في زلة التكرار .

فضلاً عن إن طبيعة المؤسسة الدينية والضغوط السياسية التي مورست ضدها من السلطة جعل موقفها في بعض الجوانب التي عالجتها الأطروحة يكاد يكون ضعيفاً، مما قد يوحي إن الأطروحة تفتقر إلى العمق في هذه الجوانب كذلك طبيعة الموضوع اضطر الباحث إلى التطرق إلى مواضيع حساسة مثل الطائفية السياسية ونقد شخصيات ذات مكانة دينية وسياسية ، حاول الباحث فيها المواءمة بين الموضوعية التاريخية ومراعاة المشاعر الإنسانية .

طبيعة الموضوع دفعت الباحث إلى الاعتماد على مصادر متنوعة أثرت الأطروحة بالكثير من المعلومات القيمة.

اعتمدت الأطروحة من العديد من الوثائق غير المنشورة منها ملفات البلاط الملكي ووزارة الداخلية المحفوظة في دار الكتب والوثائق في بغداد وترجع أهميتها بوصفها تقارير رسمية سلطت الضوء على العديد من الجوانب منها أنشطة المعارضين للحكومة وطبيعة النشاطات العامة في البلاد، لا سيما في الفصل الثاني والثالث، فضلاً عن بعض وثائق وزارتي الخارجية والمستعمرات البريطانية وترجع أهميتها بوصفها تعبيراً عن وجهة نظر المسؤولين البريطانيين في العراق ولذلك تم التعامل معها بحذر.

كذلك أغنت الأطروحة الكتب الوثائقية وفي مقدمتها كتابا ((شيخ الشريعة الاصفهاني)) و ((محمد تقي الشيرازي)) لكامل سلمان الجبوري، إذ احتويا على مجمل الفتاوى التي حررها هذان المرجعان لا سيما في الفصل الأول والثاني، إلا إن الملاحظ أن الجبوري لم يعتمد إلى تحقيق الكثير منها تاركاً للباحثين تلك المهمة.

وافادت الأطروحة من بعض الكتب منها : كتاب (محاورة الإمام المصلح الشيخ محمد الحسين الكاشف الغطاء مع السفيرين البريطاني والأمريكي)، وعلى الرغم من إن الكتاب صغير الحجم إلا انه وثق موقف الشيخ من المتغيرات السياسية والاجتماعية التي شهدتها الدولة العراقية منذ تأسيسها حتى الخمسينيات .

وكتاب تاريخ الوزارات العراقية لمؤلفه عبد الرزاق الحسني لكون صاحبه من المعاصرين وحفل بالوثائق الرسمية للدولة العراقية مما جعله ذا قيمة كبيرة في الفصول الثلاثة الأخيرة بيد إن الملاحظ عليه غياب التحليل العميق في بعض الجوانب التي عالجها.

وكتاب العراق نشأة الدولة ١٩٠٨ - ١٩٢٠ لمؤلفه غسان العطية إذ عالج حقبة مهمة من تاريخ العراق ، وقد امد الأطروحة بمعلومات قيمة لاسيما في الفصل الاول فضلاً عن كونه من الدراسات الرائدة ، لكن ما يأخذ عنه اعتماده المفرط على المصادر البريطانية مما عكس في الكثير من جوانبه وجهة النظر البريطانية ومنها تجاهل حقيقة ان العامل الداخلي المتمثل بثورة العشرين قد اسهم في قيام الدولة العراقية اذ اضطر البريطانيون لذلك ، فضلاً عن احتوائه على بعض الاستنتاجات الخاطئة ثبّتنا بعضها في ثنايا الأخرى .

وكتاب (النجف الاشرف وحركة التيار الاصلاحي) لمؤلفه عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي وهو في الأصل رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب - جامعة الكوفة وقد رفد الأطروحة بمعلومات قيمة لاسيما في الفصل الأول والرابع إلا أن ما يؤخذ عليه عدم فصله بين الفئات المتبنية للإصلاح وخلفيتها الاجتماعية والفكرية مما أوقعه في بعض التناقضات في التحليل .

وشكلت الرسائل الجامعية مصدراً مهماً للأطروحة منها رسالة (تاريخ النجف السياسي ١٩٢١ - ١٩٤١) للباحث عبد الستار شنين الجنابي وتكمن أهميتها في كونها

أول دراسة أكاديمية تعالج موقف ودور النجف في الأحداث السياسية في هذه المرحلة وقد حفلت بمعلومات وتحليلات قيمة لا سيما في الفصلين الثاني والثالث إلا أن ما يؤخذ عليها إهمالها لأثر العوامل الاقتصادية والفكرية على الموقف السياسي للمدينة .

أما رسالة امجد اسعد شلال الموسومة الشيخ محمد حسين النائني دراسة تاريخية فقد عالجت مواقف الشيخ النائني من القضايا الفكرية والسياسية داخل العراق وخارجه مما أتاح للباحث التعرف أكثر على شخصية احد كبار مراجع المؤسسة الدينية خلال فترة البحث لا سيما في الفصل الأول والثاني لكن تمجيده لشخصية الشيخ النائني افقد الرسالة للتحليلات الموضوعية .

بينما رفدت رسالة إخلاص لفته حريز الكعبي المعنونة (موقف الحوزة العلمية في النجف الاشرف من التطورات السياسية في العراق ١٩١٤-١٩٢٤ م) بمعلومات قيمة لاسيما في الفصل الثاني. بيد أن من ما يؤخذ عليها افتقارها إلى التحليلات الموضوعية واقتصار الكثير من صفحاتها على المسح التاريخي للموضوع.

وافادت الأطروحة من المقابلات الشخصية لاسيما مقابلة الشيخ شريف نجل الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء عالجت موقف الشيخ محمد الحسين من بعض الأحداث المهمة والتي لم تنقلها المصادر .

هذا إلى جانب العديد من المصادر الأخرى من البحوث والمقالات فضلا عن المجلات والصحف مثل مجلتي (افاق نجفية) و(دراسات تاريخية) وصحيفة (النجف النجفية) المدونة في قائمة المصادر .

أولاً: مفهوم المؤسسة الدينية:

تُعد المؤسسة الدينية في النجف من المؤسسات العريقة، إذ يرجع تاريخها إلى القرن الحادي عشر الميلادي ، بيد أن تبنيها لمصطلح المؤسسة الدينية قد يثير حفيظة البعض، لوجود مصطلحات تعرف بهما وهما " الحوزة العلمية " ^(١) والمرجعية الدينية ^(٢).

فقد طرحت تسمية الحوزة العلمية لتوصيف هذه المؤسسة وهو خطأ شائع، لان الأخيرة هي مدارس دينية تشرف عليها المرجعيات الدينية علمياً ومالياً، ومهمتها الاساسية تهيئة طلابها لبلوغ درجة الاجتهاد ^(٣). وهي على هذا النحو اشبه بقاعدة الهرم ومن ثم لايمكنها قيادة القمة، اصف إلى ذلك ان مقارنة المؤسسة بالمكان الذي تشغله - كما هو الحال - في الازهر ، لاينطبق عليها بوصفها مدارس دينية منتشرة في انحاء النجف وليس حوزة واحدة.

مقابل ذلك طرح مصطلح المرجعية الدينية، وبالرغم من افتقار هذا المصطلح للعمق التاريخي، اذ شاع في الحوزات الدينية في الربع الاخير من القرن التاسع

(١) الحوزة لغة: مشتقة من الفعل حاز ، حوزاً، وحيازة، يراد به الشيء اذا ضمه او جمعه، والحوزة بمفهومها اللغوي العام، المكان المحدد بتحديد ما . ينظر: علي أحمد البهادلي ، الحوزة العلمية في النجف : معالمها وحركتها الاصلاحية ١٩٢٠-١٩٨٠، ط١، دار الزهراء، بيروت، ١٩٩٣ ص ٨٤-٨٥.

(٢) المرجعية لغة: تعود إلى كلمة مرجع، المشتقة بدورها من الفعل رجع ، يرجع ، رجوعاً، بمعنى العودة، ورجع إلى الشيء عاد اليه . ينظر: عبد الحميد واخرون، المختار من صحاح اللغة، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د.ت، ص ١٨٦ ؛ أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، م٣، مكتبة النهضة ، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢.

(٣) الاجتهاد لغة: بذل الجهد في طلب الأمر، علي أحمد البهادلي، الحوزة العلمية ، ص ٨٥.

عشر، بعد بروز المرجعيات الكبيرة واطلاق لقب " المرجع الاعلى " عليها ^(١)، هذا المصطلح مع انه اقرب الى حقيقة الدور الذي تقوم به في الوسط الاجتماعي ، لكن اشكالية اعتماده في الدراسات الاكاديمية تكمن في ان الوسط الفقهي في النجف لايتعامل معه بوصفه مؤسسة دينية، ويرجع ذلك لاسباب منها: الاعتقاد بأن اعتمادها كمؤسسة قد ينتهك خصوصية الفقه الشيعي الامامي ويساويها مع المؤسسات الدينية الاخرى ، وبالتالي تقويض قدسيته في نفوس اتباعها، فضلاً عن النظرة السائدة بشأن المؤسسة بعدّها كياناً يقوم على وفق نموذج تنظيمي محدد، بمعنى هيكلية هرمية لها انظمتها وقوانينها المكتوبة سيعطيها صفة بيروقراطية ؛ وهو ما نجده بوضوح في عبارة " نظامنا اللانظام "^(٢) المتداولة في النجف إلى يومنا هذا.

غير بعيد عن ذلك ان أي مؤسسة في الاساس تنطلق من قيم واعراف تشكل المنطوق العام لمجموعة من الافكار ونماذج التصرف والترابط بين الافراد حول مصلحة ما، وما القوانين والانظمة المكتوبة، الا مساهمة في تدعيم هذه القيم والاعراف وهو ما يحسب على المؤسسة الدينية في النجف، اذ تمتعت بذلك ، واسهمت في بلورة خبرتها عبر سنوات طويلة ظروف اجتماعية وفقهية وسياسية ، شكلت كيانها ونظامها الخاصين، وان الاحاطة بهما تستوجب التطرق للآتي:

١- المسوغ التاريخي " اصاله الفكرة " :

شانها شأن معظم المؤسسات الدينية الإسلامية ، ارتبطت فكرة وجودها بما يمكن ان نسميه (قاعدة الرجوع) المستقاة من الآيتين القرآنيتين الكريمتين [وَمَا كَانَ

(١) للمزيد ينظر: جودت القزويني، المرجعية العليا للشريعة الامامية، ط١، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص ٢١.

(٢) صدر الدين القبانجي، بحوث في خط المرجعية ، ط٣، المطبعة ١٢٨ ، قم ، ١٩٨٤ ، ص ٣٦؛ مقابلة اجريت مع الشيخ عبد النور الزبيدي الاستاذ في حوزة البخارائي في النجف، بتاريخ (٢٠ تشرين الثاني ٢٠٠٧).

الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ^(١) و [فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ]^(٢) . والتي في ضوءها حتم على المسلم الجاهل بالاحكام الدينية الرجوع إلى من يعلمها عن دراسة معمقة وهم الفقهاء .

تعود بداية نشوء المؤسسة الدينية الفعلية إلى محاولة ملء الفراغ الذي عاشته الشيعة الإمامية في اعقاب غياب الأمام. فوفقاً لعقيدة الإمامية التي يؤمنون بها، ان اولي الامر الواجب إطاعتهم في شؤونهم الدينية والدنيوية بعد وفاة الرسول محمد (ص) هم اثنا عشر اماماً معصومين من الخطأ والزلل، اولهم الأمام علي بن ابي طالب (ع) واخرهم محمد بن الحسن العسكري المعروف بالمهدي، الذي يؤمنون به بوصفه المهدي المنتظر او صاحب الزمان الذي بشر به الرسول في احاديث عدة منسوبة اليه. وبموجب هذه العقيدة، يصنف فقهاء المذهب الشيعي الامامي او الاثني عشري اصول الدين إلى اربعة " التوحيد، العدالة، الميعاد، الأمامة"، بينما لا يعد فقهاء المذاهب الإسلامية السنية الأمامة جزءاً منها^(٣).

جاء اختفاء الامام الثاني عشر، عن الانظار في العام (٢٦٠هـ ٧٣٠م)، شديد الوطأة على الشيعة الامامية، فلم يشاهده احداً، سوى وكلائه الاربعة، المعروفين بالسفراء^(٤). واستمر هذا الوضع إلى وفاة اخر سفير عام ٩٣١م. وتعرف

(١) القرآن الكريم ، سورة التوبة ، الآية (١٢٢).

(٢) القرآن الكريم ، سورة النحل ، الآية (٤٣).

(٣) صدر الدين القبانجي، بحوث في خط المرجعية، ص ٨٦.

(٤) وهم: عثمان بن سعيد العمري (ت ٨٧٥م) ، محمد بن عثمان بن سعيد العمري(ت ٩١٧م)، والحسين بن روح التونجتي (ت ٩٢١ م) ، ابو الحسن علي بن محمد السمري (ت ٩٣١سم). للمزيد ينظر : عباس القمي، الكنى والالقب، ج ٣، دار الوفاء، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٦٦.

هذه المرحلة عند فقهاء الامامية بالغيبة الصغرى، تليها الغيبة الكبرى، حيث اختفى الامام نهائياً وهي مستمرة إلى يومنا هذا، ويؤمن الامامية بأنه حي يرزق في مكان ما في الارض، وانه سيخرج وقيم الحكم الإسلامي، وبذلك تتحقق اهم المؤشرات عن قرب يوم القيامة ولايعد الامامي مؤمناً مالم يؤمن بذلك ، لان الايمان بأمامة المهدي جزء لايتجزأ من عقيدة الامامة ^(١). وفي ضوء ذلك يمكن فهم حالة الأمامية في السنوات الاولى من الغيبة الكبرى، لاسيما بعد ان ادعا البعض السفارة وانهم على اتصال بالأمام، مما زاد في حيرتهم فأسموها بـ " سنوات المحنة " ^(٢).

ولأجل الخروج من هذا الوضع الهش، عمد فقهاؤهم إلى كتابة عدد من الكتب الفقهية، دونت فيها احاديث وروايات الرسول والائمة الاثنى عشر، بأسانيدها، ورتبت الأحاديث الخاصة بكل باب من ابواب الفقه، دونما تعديل او تأويل. وهي المصادر المعتمدة للحديث عند فقهاء الشيعة الامامية ^(٣).

لم تأت هذه الخطوة أكلها ، ويعزو البعض ذلك ^(٤)، إلى ان الفقهاء قد واجهوا في مرحلة مبكرة من الغيبة الكبرى ، انسدادات فقهية خطيرة، وذلك مع بروز مسائل مستحدثة، أذ لم يكن بالأماكن تسويتها عبر الرجوع إلى متون النصوص ،

(١) للمزيد عن الامام المهدي المنتظر، ينظر: جواد علي، المهدي المنتظر عند الشيعة

الاثنى عشرية، ط ١ ، ترجمة ابو العيد دودو، منشورات الجمل ، كولونيا، ٢٠٠٥.

(٢) فؤاد إبراهيم، الفقيه والدولة، الفكر السياسي الشيعي، ط ١، دار الكنوز، بيروت ، ص ٤٠.

(٣) وتعرف بالكتب الاربعة وهي : " الكافي في الاصول " للشيخ ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني (ت ٩٤٠م) ، و " من لا يحضره الفقيه " للشيخ محمد بن علي القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٩٩١م) ، وكتابي " الاستبصار " و " تهذيب الاحكام " للشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي. ينظر : طراد حمادة، اعلام الفكر في الإسلام، ط ١، دار الهادي ، بيروت، ٢٠٠٣ ، ص ١٢٤-١٣٣.

(٤) ينظر: جودت القزويني، تاريخ المؤسسة الدينية الأمامية، دار الرافدين، بيروت،

٢٠٠٥، ط ١، ص ٤٠ ؛ فؤاد إبراهيم ، المصدر السابق، ص ٨١.

فافضى ذلك إلى حصول حراك فكري تمثل بتحول اهتمام فقهاء الامامية من علم الكلام (العقائديات-أصول الدين)، إلى علمي الفقه^(١) وأصول الفقه^(٢) ، لاسيما وان علم الكلام عند الشيعة قد فقد بريقه بعد غياب الامام الثاني عشر، أي ان الاولوية لم تعد تنصب على الدفاع عن حق الائمة بالخلافة او انهم اصحاب الحكم الشرعي؛ وهو ما يمكن ان نسميه بـ " واقعية المرحلة " . حيث اقدم ثلاثة من كبار الفقهاء وهم: الشيخ المفيد^(٣)، والشريف المرتضى^(٤)، والشيخ

(١) علم الفقه: العلم الذي يختص بالاحكام الشرعية الفرعية او ما يعرف بـ(فروع الدين) مثل الزواج والطلاق والبيع والاقواق وغيرها، من ادلتها التفصيلية. ينظر: سيف نجاح مبرزة ابو اصييع ، تاريخ النجف الفكري في عهد المماليك (١٧٥٠-١٨٣١م)، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية - الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥، ص ١١٩.

(٢) علم اصول الفقه: العلم الذي يختص بالقواعد الممهدة لاستنباط الاحكام الشرعية الفرعية، أي بالوسائل التي يتم على ضوئها استنباط هذه الاحكام، وهي في المذهب الشيعي الأمامي (الكتاب، السنة، الاجماع، العقل) وتسمى بالاصول الاربعة. ينظر: المصدر نفسه ، ص ١٢٠.

(٣) الشيخ ابو عبد الله محمد بن النعمان الحارثي الشهير بـ(ابن المعلم، والشيخ المفيد) فقيه اصولي واحد مؤسسي المدرسة الاصولية (الاجتهادية) ولد في عكبرا (تقع في قضاء الدجيل في محافظة صلاح الدين) عام ٩٤٩م، انتقل إلى بغداد للدراسة على يد علمائها، له مؤلفات فقهية عديدة، توفي في بغداد عام ١٠٢٢ م. للمزيد ينظر: طراد حمادة، المصدر السابق، ص ١٣٠-١٣٥.

(٤) السيد علي بن الحسن الملقب بـ(الشريف المرتضى) يرجع نسبه للامام موسى الكاظم (سابع أئمة آل البيت) فقيه اصولي واحد مؤسسي المدرسة الاصولية، ولد في بغداد في عائلة دينية معروفة، كان على علاقة وثيقة بالخلافة العباسية، وورث عن ابيه منصب نقابة نقباء الطالبين، وولي امرة الحج والنظر في المظالم وقاضي القضاة ثلاثين عاماً، له مؤلفات فقهية عديدة ، توفي في بغداد عام (١٠٤٤م) . للمزيد ينظر: نور الدين الشاهرودي، المرجعية الدينية ومراجع الأمامي، ط١، طهران، ١٩٩٥، ص٤٩.

الطوسي^(١)، على فتح باب الاجتهاد بعده منهجاً فقهيّاً مرناً.

٢- مقومات المؤسسة الدينية في النجف:

أ. الاجتهاد :

ارتبط مفهوم الاجتهاد ، بارهاصات الفقه الإسلامي في مرحلة ما بعد النبوة. ويتضح ذلك في حديث الخليفة عمر بن الخطاب (رض) إلى احد قضاته " ما وجدته في كتاب الله فلا تسأل عنه احداً، وما لم تستبين في كتاب الله ، فالزم السنة، وإن لم يكن في السنة ، فاجتهد برأيك " (٢). ثم تبلورت بعد ذلك مدرسة الرأي في العراق، والتي وصلت ذروتها على يد الامام ابي حنيفة النعمان، حينما تبنى الرأي والقياس بعدهما احد مصادر الحكم الشرعي (٣).

اما في الجانب الآخر من المعادلة المذهبية، فقد رفض ائمة آل البيت، العمل بالرأي والقياس، وعدوه رأياً شخصياً محرماً في الشريعة الإسلامية، وهو ما بينته العديد من الروايات المنقولة عنهم، منها للامام علي بن ابي طالب (ع) وهو يعرض احد اصحابه قائلاً " ان السنة لاتقاس ، ألا ترى أن المرأة تقضي صومها ولا تقضي صلاتها ... ان السنة اذا قيست محي الدين " (٤) .

(١) الشيخ محمد بن الحسن الطوسي الملقب بـ(شيخ الطائفة) فقيه اصولي واحد مؤسسي المدرسة الاصولية ولد في طوس في فارس، عام ٩٩٥م هاجر إلى بغداد عام ١٠١٧م طلباً للعلم، انتقلت له الزعامة الدينية بعد وفاة استاذ المرتضى، تتلمذ على يديه الكثير من الفقهاء حتى قيل انه اجاز ثلثمائة مجتهد، خصص له الخليفة العباسي (القائم بأمر الله) كرسي الكلام وهي مكانة علمية كبيرة انذاك هاجر إلى النجف عام ١٠١٨م، وتوفي فيها عام ١٠٦٧م. للمزيد ينظر: محسن الامين العاملي، اعيان الشيعة، ط ٥، ج ٤٤ ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت، ١٩٩٨، ص ٣٣.

(٢) نقلاً عن : محمد مهدي الاصفى، الاجتهاد والتقليد وسلطات الفقيه وصلاحياته، ط ٤، مركز الغدير للدراسات والنشر، قم، ٢٠٠٥، ص ٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٨.

(٤) حميد الدهلبي، المرجعية بين الواقع والطموح، ط ١، مؤسسة المعارف، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٦.

ادى دخول الاجتهاد ضمن المحظورات العقائدية عند الشيعة الأمامية، مع الحاجة الملحة للتعامل المرن مع النصوص والتي فرضتها طبيعة المرحلة، الى قيام المفيد والمرتضى والطوسي العمل على ايجاد صيغة توافقية تقوم على اخضاع نصوص الاحاديث للمعايير العقلية، من دون استخدام القياس ، الذي استمروا في معارضتهم له^(١). فصاغوا اراءهم الفقهية على وفق أسس عقلية وذلك باخضاع الروايات والنصوص سندها إلى النقد، فصنّفوها إلى (صحيحة، حسنة، موثوقة، ضعيفة)^(٢). أي حق الفقيه في أخذ الحكم الشرعي من النصوص المنقولة عن الرسول والائمة الاثني عشر، بما يراه مناسباً وبحسب امكانياته الفقهية. يؤشر هذا النهج بداية تبلور المرحلة التوافقية بين الرواية (النص) والعقل.

اثمرت البذرة التي زرعها الجيل الأول من المجتهدين التوافقيين، على يد فقهاء الحلة، فبجهدهم العلمية وصل الاجتهاد الشيعي الامامي إلى ذروته المعروفة إلى يومنا هذا ، وفي مقدمتهم الشيخ ابن ادريس الحلي^(٣)، حينما اضاف العقل الى

(١) يذكر ان هؤلاء الفقهاء قد شنوا حملة تشنيع عنيفة ضد اثنين من فقهاء الأمامية هما: الشيخ الحسن بن ابي عقيل العماني ، والشيخ ابو علي محمد بن الجنيد المعروف بـ(الاسكافي) حينما تبني الاجتهاد بصورة اقرب إلى الرأي والقياس: ينظر: الشيخ المفيد، المقنعة، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، د.ت، ص ١١١؛ الشريف المرتضى، الانتصار، دار الضواء، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٤٦؛ الطوسي، عدة الاصول، ط٢، ج١، مطبعة ستاره، قم ، ١٩٩٦ ، ص ٦٥٢.

(٢) ابو القاسم كرجي، نظرة في تطور علم الاصول، الثقافة الإسلامية ((مجلة)) ، بيروت، ١٩٨٦، عدد٧، ص ٤٨٨.

(٣) الشيخ فخر الدين محمد بن أحمد بن ادريس العجلي الشهير بـ(ابن ادريس الحلي)، فقيه اصولي وشيخ الأمامية في عصره، له مؤلفات عدة في الفقه واصول الفقه، اجاز الكثير من المجتهدين ، توفي في الحلة عام (١٢٠١م) ومرقده في الحلة يزار. ينظر: محمد حرز الدين ، مراقد المعارف، ط٢، ج١، مطبعة الاداب، النجف، ١٩٧١، ص ٥١.

مصادر التشريع - او مايعرف بأصول الفقه لتغدو اربعة (الاصول الاربعة) وهي (الكتاب، السنة ، الاجماع، العقل) ^(١). ويمكن القول ان بداية ازدهار المدرسة الاصولية الشيعية الامامية ترجع لجهود هذا الشيخ.

فتح هذا التطور الفقهي الافاق امام فقيهين هما، المحقق الحلي ^(٢) والعلامة الحلي ^(٣)؛ حيث عملا على إعادة تنظيم مفهوم الاجتهاد، نظراً إلى كثافة الاشكالات التي اثيرت بشأنه مثل القياس والرأي، ذلك ان مفهوم العقل قد يبدو نظرياً قريباً من الاخير فعرفه المحقق الحلي بقوله "أن الاجتهاد في عرف الفقهاء، هو بذل الجهد في استخراج الاحكام الشرعية ... من ادلة الشرع [الاصول الاربعة] ، لانها تبني على

(١) عبد الهادي الفضلي، التقليد: دراسة فقهية لظاهرة التقليد الشرعي، الغدير للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩، ط١، ص ١٣٣.

(٢) الشيخ نجم الدين جعفر بن الحسن الهزلي المعروف بـ(المحقق الحلي) فقيه اصولي وشيخ الشيعة الامامية في عصره، ولد في الحلة عام (١٢٠٥م) وفيما اكمل دراسته الحوزوية وكان ابرز اساتذته الشيخ ابن ادريس الحلي، له مؤلفات عدة ابرزها " منهج الوصول إلى معرفة الاصول" و"المسائل الغروية" و " النافع " ، توفي في الحلة عام (١٢٧٠م). ينظر: محمد حرز الدين، مراقد المعارف، ج٢، ص ٢٣-٢٣٨.

(٣) الشيخ جمال الدين بن الحسين بن سعيد الحلي المعروف بـ(العلامة الحلي)، فقيه اصولي وشيخ الشيعة الامامية في عصره ، ولد في الحلة عام (١٢٤٩م) يرجع له الفضل في تشيع الشاه المغولي الجاتيو محمد المعروف بـ شاه خريندا وبالتالي تشيع الدولة الاليخانية في العراق، له العديد من المؤلفات الفقهية، توفي في الحلة عام (١٣٢٥م). ينظر: نور الدين الشاهرودي، المرجعية الدينية ومراجع الامامية، ص ٦٥.

اعتبارات نظرية، ليست مستقاة من ظهور النصوص في الاكثر " (١)، بينما عرفه العلامة الحلي " بأنه استفراغ الوسع، في النظر فيما هو ظني من المسائل الشرعية، على وجه لزيادة فيه " (٢).

ومن سياق هذين التعريفين، يتضح مدى المرونة، التي وصل اليها مفهوم الاجتهاد، لدرجة تأويل باطن النص، وترجيح الظن ، مما اتاح للفقهاء الامامي الحصول على مجال اوسع في ممارسته للاجتهاد، وفقاً لتطور الحاجات وتعدد المسائل المستحدثة، وعلى خطى هذا المفهوم بنى الفقهاء الاصوليون اللاحقون اراءهم الاجتهادية (٣).

والجدير بالذكر ان الاجتهاد عند الشيعة الامامية واجباً كفائياً، بمعنى اذ انبرى له من يتمكن من استنباط الحكم الشرعي سقط عن الآخرين (١). وهذا

(١) المحقق الحلي، معارج الاصول ، تحقيق ، محمد حسين الرضوي، مؤسسة آل البيت، قم ، ١٩٨٣ ، ص ١٧٩.

(٢) العلامة الحلي ، مبادئ الوصول إلى عالم الأصول، تحقيق: عبد الحسين محمد علي البقال، دار الاضواء ، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٣٩.

(٣) ومنها " القدرة على استنباط الحكم الشرعي من مداركه المقررة " نقلاً عن : ابو القاسم الخوئي، المسائل المنتخبة، ج١٣، مطبعة الاداب، النجف ، ١٩٨٤ ، ص ٣؛ و " ملكة تحصيل الحج الشرعية او الوظائف العلمية الشرعية أو العقلية " نقلاً عن : محمد تقي الحكيم، الاصول العامة للفقهاء المقارن، مؤسسة آل البيت ، قم ، ١٩٧٩، ص ٥٦٣.

متأتي من ضرورات المجتمع ، فليس من الحكمة ان ينشغل جميع افراده بالشأن الديني ويتركوا الوظائف الحياتية الاخرى من جهة، وصعوبة الوصول إلى مرتبة الاجتهاد من جهة اخرى، فالمجتهد يقضي شطراً كبيراً من حياته في دراسات حوزوية شاقة وعلى مدى سنوات طويلة قد تصل إلى ثلاثين عاماً وربما اكثر، نظراً لنظام الدراسة المفتوح المتبع في الحوزات العلمية (٢).

وتتكون الدراسة من ثلاث مراحل ليس للانتقال بينهما زمن محدد وهي:

المقدمات ، وتدرس فيها علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة، وعلم المنطق، وبعض كتب التفسير. والثانية السطوح (الفضلاء) ، وتدرس فيها الكتب الاستدلالية والفقهية والاصولية. اما الثالثة فتسمى بـ(البحث الخارج) وهي اشبه بالدراسات العليا في الاكاديميات الحديثة، وفيها يدرس الطلبة علمي الفقه واصول الفقه بشكل تفصيلي مركز، فضلاً عن حضور محاضرات لكبار الفقهاء (مرجعيات التقليد) حيث يحق لهم مناقشة الفقيه في آرائه الفقهية الواردة في محاضراته. وفي حال قيام احدهم بصياغة رأي خاص به، في واحدة او عدد من المسائل الفقهية، معززاً ذلك بالادلة العلمية، ونال استحسان احد مراجع التقليد، يقوم الاخير باجازته

(١) أحمد عبد الهادي السعدون، المرجعية الدينية : دراسة في فكرها السياسي وموافقها السياسية في العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص ١٢ .

(٢) عبد الرزاق الهلالي، الدراسة العلمية في النجف الاشرف اهم مركز ديني عند الشيعة الامامية، العربي الكويتية ((مجلة))، عدد ٣٦، الكويت، ١٩٦١، ص ١٩٠-١٩٣ .

كتابياً، فيصبح حينئذ مجتهداً^(١). واجازة الاجتهاد نوعان: الاولى مطلقة تؤهل صاحبها الاجتهاد في مختلف فروع الفقه، والثانية جزئية تختص في بعض فروع الفقه^(٢).

ب- التقليد :

يعد التقليد عند الشيعة الامامية وسيلة الذين يعجزون عن الاجتهاد والاحتياط،^(٣) لمعرفة الاحكام الشرعية الخاصة بـ (فروع الدين) اذ لايجوز لأي وسيلة

(١) للمزيد ينظر: محسن محمد حسن، من التنظيم الدراسي في النجف الاشرف، ط١، بيروت، ١٩٩٨ ص ٩-١٠ ؛ محمد الغروي، الحوزة العلمية في النجف الاشرف، ط١، بيروت، ١٩٩٤، ص ٢٣٧-٢٣٨ ؛ عبد الهادي الحكيم، حوزة النجف الاشرف:

النظام ومشاريع الاصلاح ، ط١ ، مطبعة العدالة ، بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص ٨٨-١٣٤ ؛ فاضل الجمالي، جامعة النجف الدينية، ترجمة جودت القزويني، افاق نجفية ((مجلة))، مطبعة النجف ، النجف ، العدد الثاني ، ٢٠٠٦ ، ص ٦٨-٧٨ .

(٢) عز الدين بحر العلوم، التقليد في الشريعة الاسلامية ، ط٤ ، مطبعة الديواني ، بغداد، ١٩٩٠ ، ص ١٥٩ .

(٣) الاحتياط عند العامة : ان يعمل الفرد بمجموعة احتمالات او فتاوى ، والتي يتيقن منها فراغ ذمته من التكليف فلو قال بعض المجتهدين بحرمة عمل ما واجازه اخرون وجب عليه تركه ، لكن لو قال البعض بوجوب عمل ما ، وقال غيرهم بأستحبابه لزم الاتيان به . للمزيد ينظر : حسين شرقي ، التقليد في الاحكام الشرعية وموقفه من الثقافة الدينية ، من كتاب :اراء في المرجعية الشيعية ، ط١، دار الروضة ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص ٣٠ .

(٢) عز الدين بحر العلوم ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

فقهاء الخوض في المسائل المتعلقة بـ(أصول الدين) مثل الاعتقاد بـ(وجوب الصلاة، والصوم، والحج ، والزكاة).^(١) بكلمة أخرى حتم على الفرد الشيعي اللجوء إلى أهل الخبرة وهم مراجع التقليد.

ان استفتاء (السؤال الشرعي) المقلدين لمراجعهم عن الاشكالات التي قد تصادفهم في ممارساتهم الدينية، وتلك المتعلقة ببعض الأمور الحياتية، فضلاً على طرح الفقيه نفسه نائباً عن السلطة الشرعية (الامامة) - كما سيأتي - مكن الفقيه من تأسيس مكانة مميزة له في المجتمع الشيعي، وبالتالي هذه المكانة او السلطة الروحية افضت إلى ان يؤدي دوراً مهماً على الصعيدين الاجتماعي والسياسي، لاسيما اذا توفرت الظروف المناسبة وفي مقدمتها عدم وجود ضغوط سياسية من السلطات قد تحول دون ذلك ؛ وتعد الفتوى (صيغة الاعلان عن الحكم الشرعي) من اهم ادواته. بعدهم نواب الامام المهدي صاحب السلطة الشرعية فأن الشيعة الامامية يدفعون لهم الاموال الشرعية (الخمس^(٢) والزكاة والنذور) ، ومن

(٢) الخمس: من الضرائب الشرعية الإسلامية، والتي شرعتها سورة الانفال الآية (٤١) [**وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**] ، بيد ان المذاهب الإسلامية اختلفت في مقدار مساحته والامور التي يتعلق بها، فبينما حصره فقهاء السنة بغنائم الحرب، يرى فقهاء الشيعة الامامية انه متعلق بسبعة موارد هي : غنائم الحرب، والمعادن والكنوز التي يعثر عليها، وما يستخرج بالغوص في البحر، والارض التي يشتريها الذمي من المسلمين، والمال الحلال المختلط بالحرام ولم يعرف صاحبه، وكل ربح يصيب الانسان من محل

الجدير بالذكر ان المجتهد يحصل على مرتبة مرجع التقليد وفقاً لشروط يجب أن تتوفر فيه ومنها : الرجولة ، البلوغ ، الفقاهاة (الملكة الفكرية التي تساعد في الاجتهاد) ، الحياة (فلا يجوز تقليد الميت ابتداءً) ، العدالة ، العلمية^(١) (وتعني الاقدر من غيره من المجتهدين على استنباط الاحكام الشرعية و يفهم من ذلك غياب الضوابط المحددة لهذه الشخصية وهو ما توضحه ايضاً الوسائل التي حددها بعض الفقهاء لمعرفتها)^(٢).

او كسب، وما فضل عن المؤونة السنوية. ينظر: إسماعيل إسماعيلي، اسس التصرف بالحقوق الشرعية، من كتاب آراء في المرجعية الشيعية، ص ٥٢٢.

(١) ينظر: محسن الطبطبائي الحكيم، مستمسك العروة الوثقى، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٠ ، ص ٤١-٩٠؛ وهبة الزجيلي، التقليد في المذاهب الإسلامية، المنهاج ((مجلة))، الغدير للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦، عدد ١، ص ٣٤ ؛ محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، ط ١ ، ج ١ ، دار التعارف ، بيروت، ١٩٨١، ص ٢٦-٢٨ ؛ علي اكبر ذاكري ، المرجعية وشروط العلمية من كتاب اراء في المرجعية الدينية ، ص ١٩٨ .

(٢) وهي:

- ١ الاختبار، للمقلدين القادرين على تشخيص ذلك وهم في الاغلب من المجتهدين.
- ٢ شهادة عدلين، ويشترط فيهما ان يكونا من المجتهدين، وان لاتعارض شهادتهما اخرى من اثنين اخرين بالخلاف، وفي حالة حدوث ذلك يؤخذ بشهادة الطرف الاكثر خبرة .

-٣ الشيعاء، بأن يكون اجتهاد المجتهد متسالماً عليه عند الكثير من الناس.

ينظر: ابو القاسم الخوئي، المصدر السابق، ص ٨-٩.

وعلى الأرجح ان الاعلمية هي اقرب الى الاصطلاح العرفي وقفت خلف تبنيه مسوغات لا تنحصر في الجانب الفقهي انما تتعلق بأبراز تلك الشخصية ذي الامكانيات العلمية والثقيل الاجتماعي والمراد بها ما عرف بالمرجع الاعلى القادر على قيادة المؤسسة الدينية وديمومة نفوذها في المجتمع، بما يتوافق وطبيعة هذه المؤسسة الاجتهادية .

ويبدو ان الحاجة لها تتزايد بتزايد الضغوط، وهو ما يفسر التغيير الذي طرأ على مسألة وجوب تقليد الأعلم من صيغة الاولوية، التي افتى بها الشريف المرتضى، وهي صيغة مرنة بعض الشيء، إلى صيغة الألزام التي اوجدها الشيخ جعفر كاشف الغطاء^(١) ابان مرحلة صعبة عاشتها هذه المؤسسة^(٢)، على ان بعض الفقهاء يرى وجوبها على سبيل الاحتياطي مع ترك الحرية لمقلد في اختيار مرجعه^(٣).

اجمع الفقهاء عند توفر هذه الشروط في مجتهد ما ، على ان تقليده من مجتهد آخر، سيجوز تقليده^(٤). لكن حصول مرجع التقليد على المرتبة الاسمي

(١) الشيخ جعفر بن خضر الجناحي الشهير بـ(جعفر كاشف الغطاء)نسبة إلى كتابه "كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء" ، فقيه اصولي وابرز مراجع التقليد في عصره، ولد في جناحه (احدى نواحي الحلة)عام ١٧٤٣، انتشرت مرجعيته في العراق وخارجه ، ترك ارثاً فقهياً كبيراً . وهو مؤسس الاسرة الدينية النجفية المعروفة بـ(آل كاشف الغطاء)، توفي في النجف عام ١٨١٣ . ينظر: محمد حسين كاشف الغطاء، العباكات العنبرية في الطبقات الجعفرية، ط١، تحقيق: جودت القزويني، دار بيسان ، بيروت ، ١٩٩٨، ص ٢٠-٣١.

(٢) ينظر: محمد جناتي، المسار التاريخي لاطروحة لزوم تقليد الاعلم، من كتاب آراء في المرجعية الشيعية ، ص ٨٨.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٨.

(٤) محسن الطباطبائي الحكيم، مستمسك العروة الوثقى ، ص ٥٥.

(المرجع الاعلى) لا يخضع لتقييمات من لجان فقهية او اليات محددة، انما لبعض المعايير من قبيل حجم المقلدين والسمعة الفقهية^(١) ، والتي تسهم فيها عوامل مختلفة قد تكون عاطفية او تاريخية، مثل تأثير اسم العائلة او امتداد عمر المرجع الزمني، كذلك قوة الشخصية وتأثيرها الاجتماعي، فضلاً عن مساندة حاشيته له وهم في الاغلب من تلاميذه القادرين على الترويج لمرجعيتهم؛ يضاف إلى ذلك تزكية كبار المراجع لتلاميذهم او من يجدونه اهلاً لها، بوصفهم الاعلام من بعدهم فيكسبهم ذلك شهرة في الاوساط الفقهية والشعبية^(٢).

في اطار ما سبق يورد علي الوردي حادثة قد تختصر الكثير من الكلام ومفادها: أن ناصر الدين شاه القاجاري (١٨٢٧-١٨٩٦ / ١٨٤٨-١٨٩٦) ^(٣)، زار النجف عام ١٨٧٠ ، فخرج جميع المراجع لاستقباله، باستثناء الميرزا محمد حسن الشيرازي^(٤)، الذي وافق بعد الحاح شديد من حاشية الشاه ، ان يقابل الاخير في صحن الامام علي . بعدها قام الشيرازي بتوزيع الاموال التي اهداها اياه الشاه ،

(١) وبرز من يحددها رسالته العلمية " وهي عبارة عن كتاب يضم مجموعة ارائه في المسائل الفقهية المتعددة، والتي على ضوءها يقلد. مقابلة مع الشيخ علي كاشف الغطاء الاستاذ في مدرسة المهدية في النجف، اجريت معه في مدرسة المهدية بتاريخ (٥/كانون الثاني/ ٢٠٠٨).

(٢) مقابلة مع الشيخ عبد النور الزبيدي، بتاريخ ، ٦/كانون الثاني/ ٢٠٠٨.

(٣) يشير التاريخ الاول لفترة حياته، والثاني الى فترة حكمه.

(٤) الميرزا محمد حسن الشيرازي، فقيه اصولي والمرجع الاعلى للشيعة الأمامية في عصره، ولد في شيراز (شمال فارس) عام ١٨١٥ ، هاجر إلى النجف عام ١٨٤٣ ، وفي عام ١٨٧٦ انتقل إلى سامراء واسس مدرسة دينية فيها ذات نزعة فلسفية اصلاحية، اشتهر بلقب " المجدد " لارائه الاصلاحية ، وكذلك بفتوى تحريم التتباك له مؤلفات فقهية عديدة ، توفي في سامراء عام ١٨٩٥ ودفن في النجف. ينظر: آغا برزك الطهراني، اعلام الشيعة، ط١، ج١ ، النجف، ١٩٥٤ ، ص ٤٣٦-٤٤٠.

على الفقراء والمحتاجين في وقت عمت النجف موجة غلاء فاحشة، فزاد ذلك من مكانته عند الناس وانتشرت مرجعيته في العراق وخارجه (١).

ج- خصائص المؤسسة الدينية في النجف :

تمتعت هذه المؤسسة بمميزات عدة، مثل المستوى العلمي الناتج عن سنوات الدراسة الطويلة في الحوزات العلمية، وقدرتها الروحية المؤثرة ، المتأتية بصورة اساسية من قوة العامل الديني في المجتمعات الإسلامية وتمركزها في النجف حيث مرقد الامام علي بن ابي طالب، يضاف إلى ذلك شموليتها في التعاطي مع اتباعها وعلى مختلف الاصعدة.

بيد ان اهم ميزتين ميزتها عن غيرها من المؤسسات الدينية الإسلامية، واسهمت في حفظ كيانها وخصوصيتها هما:

١- **الفردية** : ان الاسس الفكرية المرنة لهذه المؤسسة والتي جسدتها استقلالية الرأي لاقطابها في المسائل الفقهية وغيرها، على الرغم من الانتماء إلى المدرسة الفقهية نفسها ، قد اضفى عليها صفة الفردية. وقد اسهمت هذه الصفة في منع حدوث انشقاقات خطيرة قد تؤدي إلى اضعافها واضمحلالها، وعلى وفقها دخلت الخلافات والاختلافات في آراء المرجعيات بشأن مسألة معينة واحدة او اكثر ضمن إطار متعارف عليه وهو الاجتهاد.

ويبدو ان الفقهاء قد ادركوا ذلك مبكراً ، لذا لا يستغرب ان ينظروا لها وبوسائل مختلفة، تارة تحت عنوان الاعلامية، وتارة اخرى بالفتوى الشرعية.

(١) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٣، ط١، دار الوراق،

بيروت، ٢٠٠٧، ص ١١٤.

وليس ادل على ذلك ما افتي به الشيخ مرتضى الانصاري^(١)، بقوله " للمجتهد الحق ان ينقض كل ادلة من سبقه، ويختار رأياً جديداً.." ^(٢).
لكن شخصنة المؤسسة الدينية، او كما تعرف في الوسط الفقهي " المرجعية فرد" ^(٣)، لايعني عدم توحيد المرجعيات الدينية جهودها، عندما تواجه المجتمع تهديدات جدية، لاسيما ان هذه المرجعيات تعمل في الاساس في إطار الاسس الفقهية التي انبثقت على وفقها المدرسة الاصولية وتبلورت في ضوئها هذه المرجعية او تلك.

٢- **الاستقلالية عن السلطات الزمنية:** إذ وفرت الأموال الشرعية التي يدفعها الشيعة الامامية إلى مراجعهم، من زكاة وخمس ووقف ونذور وهبات المحسنين، بعدّهم الجهة الشرعية النائية عن صاحبها الشرعي (الامام المهدي) ، للمؤسسة الدينية مصدراً مالياً مستمراً، مكنها من الاستغناء عن معونة السلطات الزمنية ، وبألتالي عدم الخضوع لارادة هذه السلطات. فمن خلال هذا الاستقلال المادي تمكن المراجع من الانفاق على معاشاتهم ومعاشات اساتذة وطلاب الحوزات الدينية، مما افضى إلى استقلالية قرارها وعدم خضوع مناهجها الدراسية لرقابة الهيئات الرسمية.

(١) الشيخ مرتضى بن محمد امين الانصاري، فقيه اصولي والمرجع الاعلى للشيعة في عصره ولد في الاحواز عام ١٧٩٩، يرجع نسبه إلى الصحابي ابو ايوب الانصاري. هاجر إلى كربلاء للدراسة، الف اكثر من خمسين كتاباً في علوم الفقه واصول الفقه وعلم الرجال، ابرزها كتاب "المكاسب" الذي يدرس في الحوزات إلى الان. تميز منهجه العلمي بسهولة اللفظ وعمق البحث حتى لقب بـ " خاتم المجتهدين " ، توفي في النجف عام ١٨٦٤ . ينظر: سيف ابو اصيبع، المصدر السابق، ص ٧٤-٨٧.

(٢) نقلاً عن : محمد جناتي، المصدر السابق، ص ٨٩.

(٣) صدر الدين القبانجي ، المصدر السابق ، ص ٣٧.

والى جانب العامل المادي، نجد ان العامل العقائدي قد اسهم بدوره في تحقيق هذه الاستقلالية، فعدم الثقة المتبادلة بين المؤسسة الدينية في النجف ومدن العتبات المقدسة الاخرى مع السلطات الحاكمة دفع بهذا الاتجاه. وتجدر الاشارة إلى ان جزءاً كبيراً من الاموال الشرعية تجبى عن طريق وكلاء المراجع المنتشرين في النواحي والاقضية والمدن داخل العراق وخارجه .

ثانياً: تطور نظرية السلطة

١ - نظرية التعامل مع السلطة:

تجسيدا لعقيدة الأمامة التي يؤمن بها الشيعة الأمامية ، مثلت الأمامة السلطة الشرعية، اما السلطات الزمنية القائمة ، وعلى الرغم من مبايعة اغلب الائمة الاثني عشر لها، وفي بعض الأحيان التعاون معها، تعد تلك السلطات غاصبة لحق أئمتهم، الذين وحسب اعتقادهم اما بايعوها " نقيّة " ^(١) للحفاظ على حياتهم، او لحفظ وحدة المسلمين ، وهو ما يعكسه حجم النص السياسي الذي يؤكد حقهم في السلطة داخل النصوص المروية عن الأئمة انفسهم ^(٢). وعلى وفق ذلك انصبت جهود الفقهاء في التنظير لها والدفاع عنها ضد المشككين بها، بوصفها لطفاً من الخالق، لمساعدة الأمة في معرفة السلطة الشرعية ^(٣). بمعنى ان السلطة قد بحثت في ضمن الأطار العقائدي.

(١) النقيّة: اظهار الفرد للعلن عكس ما يؤمن به من افكار واراء وممارسات.

(٢) عن هذه النصوص ينظر: محمد شقير، فلسفة الدولة في الفكر السياسي الشيعي " ولاية الفقيه انموذجاً " ، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٢ ، ص ٧٦-٩٨.

(٣) ينظر: الشريف المرتضى، رسالة في الحدود والحقائق ، في رسائل المرتضى، ج ٢، اعداد مهدي رجائي، دار القرآن الكريم، قم، ١٤٠٥هـ، ص ٢٨٠؛ ميثم البحراني، النجاة يوم القيامة في تحقيق امر الأمامة، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ١٩٩٦ ، ص ٤٥.

ان مبدأ اللطف الالهي ، يبين صعوبة بروز نظرية السلطة عند فقهاء عصر
الائمة ، شبيهة بتلك التي وجدت عند المذاهب الإسلامية الاخرى، مثل الشورى او
ولاية العهد او ولاية المتغلب (١). ذلك ان النظريات السياسية تمس اخطر مناطق
الفكر السياسي الإسلامي، المتمثلة بالشرعية .

وفي ضوء ذلك ، كان من المستحيل ان يغير الفقهاء نظرتهم بشأن السلطة
بعد غياب الامام الثاني عشر مباشرة، وجل ما جادت به قريحتهم الفكرية كان
تأصيل فكرة مقاطعة السلطة، تحت عنوان الانتظار، وبموجب هذه النظرية استمرت
مقاطعة السلطات الزمنية وتحريم التعامل معها بعدها جائرة ، فضلاً عن تعطيل
العمل بالوظائف الاساسية المرتبطة بقيام السلطة الشرعية، من إقامة الحدود وجباية
الاموال الشرعية، والجهاد وإقامة صلاة الجمعة وغيرها، بوصفها من وظائف الامام
المهدي (٢).

تطلب الأمر عقود من الزمن، حتى بدأت النظرة تقترب من الواقعية، بجهود
الجيل الأول من الفقهاء المؤسسين (المفيد، المرتضى، الطوسي) ، بتبنيهم الاتجاه
العقلي، وبالتالي تخلصهم من القيود الصارمة للنص، اذ انتهى بذلك الاشكال الذي

(١) بموجبها عُدَّ القائم بالسلطة هو (الأمام / الحاكم) ، نظراً للاعتقاد ان المقصود من
الأمامة هو فعليتها. فهي لكونها ضرورة للدين والدنيا، تكليف شرعي او اجتماعي،
مطلوب لذاته، بغض النظر عن القائم به، وبالرغم من ان الفقهاء حاولوا وضع شروط
ومواصفات خاصة لمستحق الأمامة، مثل العلم والورع والشجاعة والانتساب لقريش
والبيعة، لكن هذه الشروط يجب ان تتكامل بالسلطة الفعلية، ذلك لانهم اعتقدوا ان أي
صدام بين صاحب السلطة الفعلية مع أي مطالب آخر بها تحت أي غطاء شرعي
سيؤدي إلى الفتنة في المجتمع. توفيق السيف، نظرية السلطة في الفقه الشيعي، ط١،
المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٢، ص ٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٥.

احاط بموضوعة السلطة في الفقه الامامي، من حيث ارتباطها المزدوج بعلم الكلام (العقائديات) من جانب وعلم الفقه من جانب آخر، مما جعل البحث فيها عسيراً، فوظيفة علم الكلام هي تقرير الانموذج الأمثل الذي يدعى الناس اليه، بغض النظر عن امكانيات تطبيقه، بخلاف الفقه الذي يؤكد على المثال لكنه يعالج الفرص المتاحة لتجسيد متطلباته في الواقع، أذ انه لا يستهدف تثبيت أصول اعتقادية، بل وضع تكيفات شرعية لموضوعات مثل السلطة وغيرها؛ بعبارة اخرى ان فتح باب الاجتهاد منح الفقيه حرية اكبر في التعامل مع مسألة حساسة كأشكالية السلطة في مرحلة الغيبة الكبرى.

مكن هذا التطور الفقهي وما مثله من نجاح في ملء فراغ غياب الامام، محاكاة الفقهاء للائمة الاثنى عشر في معالجتهم لاشكالية (الامامة/ الرئاسة) ، فهم على الرغم من عدّهم الرئاسة من متطلبات الأمامة، اكدوا في الوقت نفسه على اصالة النظام ولكون السلطة بغض النظر عن شرعيتها ضرورة له. وجسدت ذلك طائفة من الروايات المنقولة عن معظمهم، منها مقولة الامام علي ابن ابي طالب الشهيرة بحق الخوارج، في اعقاب رفضهم التحكيم بينه وبين معاوية ابن ابي سفيان في معركة صفين، وجاء فيها "كلمة حق يراد بها باطل، نعم انه لا حكم الا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا امرة الا لله ، وانه لا بد للناس من امير بر او فاجر، يعمل في امرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الاجل ، ويجمع الفيء، ويقاقل العدو، وتؤمن به السبل ... " (١) فالامام علي يؤكد ان السلطة هي ركن من اركان التنظيم الاجتماعي وضرورة لاستمراره، وتحقيق الحد الادنى من مقاصده، بغض النظر عن شرعية هذه السلطة او عدالتها.

(١) نقلاً عن : الشريف الرضي، نهج البلاغة، ط ١، شرح الشيخ محمد عبده، دار الكتاب

العربي، بغداد، ٢٠٠٧ ، ص ٨٢.

وكذلك جواب الامام جعفر الصادق عن استفتاء بعثه له احد الشيعة بشأن شرعية عمله والياً لأقليم الاحواز في ظل الدولة العباسية، وجاء في فقرة منه "فأما سروري بولايتك فقلت : عسى ان يغيث الله بك ملهوفاً خائفاً من أولياء آل محمد Z ويعز بك ذليلاً، ويكسو بك عاريهم ويقوي بك ضعيفهم، ويطفئ بك نار المخالفين عنهم" (١) ، فضلاً عن روايات عديدة اخرى.

وبين هذا النص حقيقتين الاولى : ضرورة السلطة بعدّها وظيفة اجتماعية اساسية في المجتمع، ولاغنى عنها لتحقيق العدالة الاجتماعية، والثانية، حالة القلق التي كانت تتتاب الأمامية من مسألة شرعية السلطة ؛ مما يدفعهم إلى طلب إذن خاص من ائمتهم لتبديده. ويبدو ان هاتين الحقيقتين ، ضرورة وجود السلطة في المجتمع وشرعية الجهة التي تمثلها ، دفعت الائمة إلى التمييز بين شرعية السلطة القائمة وبين مشروعية التعامل معها.

تأسيساً على هذه النصوص، بنى الشيخ المفيد إطرachte، بشأن مسألة العمل مع السلطان، حيث اُفتى "ان معاونة الظالمين على الحق جائز ، ومن كل الاحوال واجب. واما معونتهم على الظلم والعدوان فمحظور لايحوز مع الاختيار، وإن التصرف معهم في الاعمال فإنه لايحوز الا لمن اذن له إمام الزمان وعلى من يشترط عليه في الفعال، وذلك خاص لأهل الإمامة دون من سواهم" (٢).

وعلى الرغم مما قد يكتنف هذا الرأي من تقييدات قد تصل إلى تعقيدات ، تجسدها الشروط الصارمة المدرجة في مسألة عمل السلطان، الا انها تؤسس لمناخ فقهي اجتهادي جديد يجرؤ على تطوير الاحكام الفقهية بشأن السلطة، على وفق

(١) نقلاً عن : علي الخرساني الكاظمي، كشف الريبة عن احكام الغيبة، ط٢، دار الاضواء ، بيروت، ١٩٨٧، ص ١١٤.

(٢) الشيخ المفيد، اوائل المقالات في المذاهب والمختارات، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣، ص ٤١.

موازنة تستند من جهة الى عدم تغييب الأمامة كعقيدة راسخة في الذهنية الأمامية، ويتجلى ذلك بالتأكيد على الأذن الخاص من الامام، والذي عالج المفيد اشكاليات غيابه بطرحه لمبدأ " النيابة " أي نيابة الفقيه عن الامام المهدي، في كتابه " المسائل الصاغانية " حيث قال " ولايحتاج [الامام] هو إلى تولي ذلك بنفسه، كما كانت دعوة الانبياء ^(١)، تظهر نيابياً عنهم، والمقرين بحقهم، وينقطع العذر بها فيما يتأتى عن علتهم ومستقرهم، ولايحتاجون إلى قطع المسافات لذلك بأنفسهم، وقد كانت الدعوة ايضاً نيسابياً عنهم بعد وفاتهم ، وثبتت الحجة لهم في ثبوتهم بامتحانهم في حياتهم وبعد موتهم، ومد مظلة النيابة إلى الحدود وتنفيذ الاحكام ..."^(١) تأكيد على التعامل مع السلطة حينئذ بعدّها مؤقتة، لايمكن تجاهلها لكونها ضرورة لحفظ النظام، إلى حين ظهور الامام. بعبارة اخرى ان الأمامة ومن بين شروطها الحياة ^(٢)، مستمرة نظرياً بشخص النائب عنها وهو الفقيه ، لذا فالتعامل مع السلطة القائمة شرعي وإن كانت غيرشرعية، على اساس ان ذلك يتم بأذن من الأمام الشرعي الممثل بنائبه؛ وبهذا يكون المفيد قد اضى على " الانتظار "لمسة تعد واقعية نوعاً ما تتعد به عن الاعتقاد الغيبي التام، وعزز في الوقت نفسه مكانة الفقيه عند الشيعة الأمامية.

(١) الشيخ المفيد، المسائل الصاغانية، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد، ط٢، دار المفيد، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٠٦.

(٢) من ابرز شروط الأمامة عند ائمة آل البيت ، العصمة والنص، الاولى تعني ان صاحبها منزّه عن الخطأ والثانية، تعني ان الامام الذي سبقه قد اوصى له ويذهب بعض الفقهاء إلى ان اسماء الائمة الاثنا عشر قد ذكرها الرسول محمد وهي متواترة عنه. للمزيد ينظر: توفيق السيف ، نظرية السلطة...، ص ٤٩-٥٧ .

مهدت آراء المفيد الطريق ، امام المرتضى والطوسي، ليدلوا بدلوهم لاسيما انها لم تحسم الجدل في الاوساط الفقهية والعامة، بشأن مسألة العمل مع السلطة ، بل فتحت الباب امام تساؤل لايزال مطروحاً إلى يومنا هذا، وهو ما مدى صلاحيات النيابة. والتي على وفقها تمحورت لاحقاً اغلب الآراء بشأن السلطة.

فالشريف المرتضى الذي كانت مسألة التعامل مع السلطة تهمه بشكل شخصي بسبب منصبه الرسمي وعلاقته الوثيقة بالخلافة العباسية والسلطة البويهية، فهو ينتمي إلى عائلة وثيقة الصلة بالسلطة، حيث شارك والده بنشاط في الحياة السياسية ونال من مغانمها ومغارمها، وورث عنه نقابة الطالبين، وأمارة الجمع والمظالم، وقضاء القضاء^(١)، يبدو انه شعر بضرورة تسويق سلوكه بعدما اعتلى الرئاسة الدينية فألف رسالة في سنة اربعمائة وخمس عشرة هجرية، أي في فترة الحكم البويهي، اسماها (مسألة في العمل مع السلطان)^(٢).

وردت في الرسالة ، عدة تأسيسات فقهية، رسمت أطراً عامة للمسألة، واهم ما جاء في فقراتها " ... ان السلطان على ضربين محق عادل، ومبطل ظالم متغلب، فالولاية من قبل السلطان المحق العادل لامسألة عنها، لانها جائزة ، بل ربما كانت واجبة إذا حتمها السلطان ووجب الاجابة اليها... الولاية من قبل المتغلب، وهي على ضروب : واجب وربما تجاوز الوجوب إلى الاجاء ومباح، وقبيح، ومحذور. فاما الواجب فهو ان يعلم المتولي [المعين من السلطان] او يغلب على ظنه بامارات لائحة، انه يتمكن بالولاية من إقامة حق ودفع باطل وامر بالمعروف ونهى عن

(١) فؤاد إبراهيم، المصدر السابق ، ص ٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٣.

منكر، ولولا هذه الولاية لم يتم شيء من ذلك، فيجب عليه الولاية بوجوب ماهي سبب اليه وذريعة للظفر به" ٢ (١).

وعلى وفق هذا الطرح، يؤسس المرتضى لنظريته، من خلال سوقه أسئلة افتراضية معارضة لها، مع محاولة دفعها، ليجعلها أكثر وقعاً ومصادقية. حيث يقول " فإن قيل كيف تكون الولاية من قبل الظالم حسنة، فضلاً عن واجبه ، وفيه وجه القبح ثابت وهو كونها ولاية من قبل الظالم، وجه القبح إذ ثبت في فعل كان الفعل قبيحاً، وإن حصلت فيه وجوه احسن، ... ؟ قلنا : غير مسلم ان وجه القبح للولاية للظالم ، هو كونها ولاية من قبله، وكيف يكون ذلك وهو لو اكره بالسيف على الولاية لم تكن منه قبيحة، فكذلك إذا كان فيها توصل إلى إقامة حق ودفع باطل يخرج عن وجه القبح، وإذا كان الشرع قد اباح التولي من قبل الظالم من الاكراه ... علمنا انه لم يكن وجه القبح في هذه الولاية، لمجرد كونها ولاية من جهة الظالم ... وقد نطق القرآن بأن يوسف ١٦، تولى من قبل العزيز وهو ظالم، ورغب اليه في هذه الولاية حتى ذكر نفسه، فقال [اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ] ، ولا وجه لحسن ذلك الا ما ذكرناه من تمكنه بالولاية من إقامة الحقوق التي يجب عليه اقامتها " (٢).

هذا الرأي يؤصل للسلطة بعدّها ضرورة للنظام العام. لكن أهمية هذه الرسالة، تكمن بأحتوائها على تأسيسات فقهية جديدة، شكلت الإطار العام ، للعديد من المباحث الفقهية اللاحقة، التي عالجت الموضوع نفسه، منها شرعنة العمل مع السلطة او ما يعرف في الاصطلاح الفقهي (التولية) ، بعدّها اداة لتحقيق العدالة

(١) الشريف المرتضى، رسائل الشريف المرتضى، اعداد مهدي رجائي، دار القرآن الكريم،

قم، ١٩٨٥، ص ٩٠.

(٢) الشريف المرتضى ، المصدر السابق، ص ٩١.

على وفق المفهوم الإسلامي (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وبالتالي رفعها من دائرة المحضورات او الاضطراريات، باسقاط القبح الشرعي عنها، فضلاً عن تأسيس آخر ورد ضمناً ، تمثل بتشريع المرتضى لمبدأ "الاذن العام " ، حيث لم ترد في ثناياها، الحاجة لاذن الامام او الفقيه.

ان اعطاء المرتضى هذا الحق للمجتمع في زمن الغيبة الكبرى، يعد مؤشراً عن النظرة الواقعية التي تعاطى معها، في صياغة نظريته، ويبدو ان عمله المباشر مع السلطة، اسهم في ذلك.

ولم يخرج الشيخ الطوسي عن القاعدة العامة التي تبناها من سبقه، فنسج على منوالها، حيث يقول: " ان الخلق لايجوز ان يخلو من رئيس في وقت من الاوقات" (١).

يتضح مما سبق، ان الفقهاء الثلاثة، قد اسسوا لنظرية سلطة، تجنبت الوقوع في المحظورات العقائدية، او في الاقل امتلكت مسوغات شرعية، بصياغتها على اساس التمييز بين النظام واللائظام ، وليس الشرعية واللاشرعية، وبالتالي اضحى الاعتراف بالنظام السياسي القائم، يستند - على ما يمكن ان نسميه - شرعية الامر الواقع.

تجذرت هذه الشرعية المسوغة بمرور الزمن في الذهنية الشيعية، مقابل عقلنة الوعي الانتظاري، ويبدو ان سبب ذلك ، يرجع إلى ان الفقيه والشيعية الأمامية بصورة عامة ، قد واجهوا اشكالية قيام السلطة الشيعية ، وتمثلت في البداية بالسلطة البويهية، فمن الناحية العقائدية عُدت السلطة القائمة، غاصبة لحق الأمامة ، بغض النظر عن طبيعتها ، لانها لم تأت بتفويض منها، لكن من الناحية الواقعية ، نظر الشيعة اليها بعدّها نهاية لسنوات طويلة من التهميش السياسي الممارس ضدهم (٢).

(١) نقلاً عن : فؤاد ابراهيم ، المصدر السابق ، ص ٦٤

(٢) حسن منيعة، تاريخ الدولة البويهية، الدار الجامعية ، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٠-٥٠

وعلى الرغم من ان الفقهاء عدّوا ذلك محاولة للالتفاف على السلطة الشرعية، باستقطاب الشيعة، لترسيخ حكمهم وشرعنته، ونجد صدى ذلك بتبلور المؤسسة الدينية الاصولية في تلك الحقبة، لكنهم أذ وجدوا فيها فرصة لازدهار التشيع، واقامة العدل على وفق منظورهم العقائدي؛ ولهذا اخذ التنظير لباحة العمل في السلطة مديات اوسع من الحقب السابقة.

هذا التقارب بين الفقيه والسلطة، ولد معادلة - نجدها منطقية في قياسات ذلك الزمان لقيام السلطات على اسس مذهبية - تقوم على الغاء القيود الشرعية، المانعة للعمل مع السلطة اياً كانت، مع تفضيل العمل لدى السلطة الشيعية او التي لاتعادي الشيعة، باسباغ شيء من الشرعية الدينية عليها، لكونها تعترف بحق الامام الغائب، من خلال احتضان نوابه وهم هنا فقهاء الشيعة الامامية؛ ويتجلى ذلك ، بأطلاق الفقهاء لمصطلح " الحاكم العادل " ، وبطبيعة الحال لايقصد به الامام الغائب؛ وكذلك تمجيد السلطة الشيعية والدعاء لها بالبقاء إلى الابد ^(١). وان قيام الشيخ عبد العزيز سalar ^(٢)، بتجميد إقامة صلاة الجمعة، بعد زوال الحكم البويهي، وسيطرة السلاجقة على السلطة ، له دلالاته الواضحة ^(٣).

تجسد تجربة الشيعة مع الحكم العثماني، هي الأخرى حقيقة هذه المعادلة، فعلى الرغم من عدم وجود مانع شرعي يمنع التعامل معه، لم يبذل فقهاء الشيعة جهداً

(١) أحمد عبد الهادي السعدون، المصدر السابق، ص ٦٢.

(٢) الشيخ ابو يعلي حمزة بن عبد العزيز الديلمي الطبرساني الملقب بـ(سalar) من تلاميذ الشيخ المفيد والشریف المرتضى، له مؤلفات عديدة ابرزها كتاب " المواسم " ، توفي في تبريز عام (١٠٧٠م) . ينظر: محمد مرز الدين، مراقد المعارف، ج ١، ص ١٤٨.

(٣) اضى فقهاء الشيعة الأمامية طابعاً سياسياً ، على صلاة الجمعة، حينما اشترطوا في إقامتها وجود الأمام المعصوم او موافقة نائبه (الفقيه الجامع للشرائط) ، للمزيد ينظر:

فؤاد إبراهيم، المصدر السابق، ص ١٥٣-١٥٤.

لإقامة صلات طيبة بين الطرفين، وهذا متأثراً أيضاً من أن العثمانيين شأنهم شأن الصفويين، مارسوا التمييز الطائفي منذ دخولهم إلى العراق عام ١٥٣٤م، ويبدو أنها سياسة مدروسة من الجانبين، لآحداث استقطاب طائفي، بغية تعزيز سيطرتها. وتعزز هذا التمييز مع استمرار الصراع العثماني - الصفوي والقوى التي خلفت الصفويين، إذ عدّ العثمانيون رعاياهم، الشيعة متعاطفين مع الصفويين، لذا تمت معاملتهم رعاياه من الدرجة الثانية، فحرموا من الدخول في الوظائف الحكومية المدنية والعسكرية، فضلاً عن التعليم على قلة المدارس الموجودة^(١)، علاوة على أن السياسة العثمانية بشأن التعامل مع الأقاليم الخاضعة لها هي في الأصل ولفترات طويلة سطحية، تتمثل بجباية الأموال .

٢ - نظرية النيابة العامة :

يتضح مما سبق، أن نضوجاً ملحوظاً قد تحقق في ذهنية الفقه السياسي الشيعي بشأن فكرة وجود السلطة، بعدّها أداة لتحقيق غايات عدة، لا تقف عند حفظ النظام العام فقط. وعلى الأرجح أن هذا الميل اتجاه السلطة قد عززه تكرار قيام " الامارات والدول الشيعية " ^(٢).

(١) تجدر الإشارة أن منع أبناء المذهب الشيعي من دخول المدارس الحكومية، كانت تقف خلفه الخشية من مطالبة هؤلاء بحق التوظيف في الدوائر الرسمية، ومع ذلك كانت هنالك استثناءات محدودة تبعاً لحاجة الحكومة . ينظر: كامل الجادرجي، من أوراق كامل الجادرجي ، ط١، بيروت، ١٩٧١، ص ١٨٤-١٨٥.

(٢) من هذه الدول : الامارة المزيديّة، في الحلة وحكمت ما بين المدة (٩٩٧-١٦١١م)، وتشيع الدولة الأليخانية في العراق وبلاد فارس عام ١٣٠٣م، والدولة السريديارية في خراسان (وسط فارس) حكمت ما بين المدة (١٣٣٧-١٣٨٠م)، والامارة المرعشية في مازندران (في فارس) وحكمت ما بين المدة (١٣٦٠-١٣٩٢م)، والامارة المشعشعية في

وتجربة الشيخ الكركي^(١) مع الدولة الصفوية خير مثال. فالأخيرة قد أسست نموذجها على أساس مذهبي بأعلانها التشيع مذهباً رسمياً لها. في خطوة يمكن عدها محاولة لربط مصالحها الخاصة بقيم المذهب الإمامي ، وهو امر لا يخرج عن المألوف ، بعد ان اضحى المذهب مرتكزاً شرعياً لاية سلطة، على وفق معطيات الواقع السياسي الإسلامي في تلك الحقبة. فالدولة العثمانية نفسها قد تبنت المذهب الحنفي، لا لقيمته الروحية، انما لأجازته لغير العربي القريشي تولى الخلافة

الاحواز (جنوب غرب فارس) واجزاء من جنوب العراق، وحكمت ما بين الفترة (١٣٨١-١٦٠٨م). والدولة الصفوية (١٥٠١- ١٧٢٢). للمزيد ينظر: كامل مصطفى الشبيبي، الطريقة الصفوية وروايتها في العراق المعاصر، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٧ ص ٣٥-٣٦ ؛ محمد وصفي ابو مغلي ، ايران دراسة عامة، مركز دراسات الخليج ، البصرة، ١٩٨٥، ص ٣٢٠-٣٣٣.

(١) الشيخ نور الدين علي بن الحسين بن عبد العالي الكركي، فقيه اصولي يعد من اشهر فقهاء الشيعة الإمامية في القرن العاشر الهجري حتى لقب بالمحقق الكركي، ولد في بلدة كرك نوح في جنوب لبنان عام ١٤٦٥م كان كثير الاهتمام بالدراسات الفقهية، فسافر إلى القاهرة ثم دمشق لهذا الغرض، حتى استقر عام ١٥٠٣ م في النجف، وحصل فيها على اجازة الاجتهاد، مازالت اراؤه الفقهية تدرس في الحوزات العلمية إلى يومنا هذا وهو من اهم الفقهاء الذين اسهموا في نشر التشيع في بلاد فارس ، مات على الأرجح في فارس عام ١٥٢٤م . للمزيد ينظر: صابرينا ميرفان، حركة الاصلاح الشيعي " علماء جبل كامل وادباؤه من نهاية الدولة العثمانية إلى بداية استقلال لبنان، ط١، ترجمة هيثم الامين، دار النهار، بيروت، ٢٠٠٣ ، ص ٢٤ ؛ سامي زبيدة، الإسلام الدولة والمجتمع، ج ١، ترجمة ، عبد النعيم محمد حسين ، دار المدى، دمشق، ١٩٩٥ ، ص ٦٦-٦٧.

والحكم^(١)، فضلاً عن ان الصفويين كانوا بأمس الحاجة إلى خلق هوية مشتركة لرعاياهم ، بغية تحقيق الاستقرار الاجتماعي والسياسي لحكمهم، وإيجاد تمايز عقائدي عن العثمانيين أقوى منافسيهم في المنطقة، لاحتواء صراع الشرعية المحتمل بينهما، نظراً لطموحاتهما التوسعية.

يبدو ان تبني دولة كبيرة وقوية للتشيع، انه قد ضرب على الوتر الحساس عند كثير من فقهاء الشيعة في العراق وجبل عامل (جنوب لبنان حالياً) والقطيف (شرق السعودية) وفي مقدمتهم الشيخ الكركي، اذ وجدوا البيئة الاجتماعية والسياسية التي طالما افتقروا اليها، للحفاظ على جذوة التشيع ونشره - ضمن ما يعرف بـ " نصرته المذهب " - فلبوا دعوة الشاه اسماعيل للقدوم إلى بلاده ومساعدته في مشروعه^(٢). وربما رأى الأخير ان فرض التشيع بالقوة، لن يؤدي إلى النتائج المرجوة ، من دون الاقتناع الحقيقي به، وهذه مهمة الفقيه وليس السيف.

طرح هذا التحالف بين الفقيه والسلطة ، اشكالاً جدياً يتعلق بالتكيف الفقهي لوضع السلطة الجائرة من الناحية النظرية، والعدالة عملياً بهذا التحالف الذي اضفى نوعاً من الشرعية عليها. وكان على الفقيه الاجتهاد لايجاد مشروعية له ؛ وهو ما دفع الكركي إلى تطوير مبدأ النيابة (نيابة الفقيه عن الامام المهدي)، من الأطر

(١) علي الوردي، لمحات اجتماعية ... ، ج١، ص ٦١.

(٢) عن علاقة الشاه إسماعيل بهؤلاء الفقهاء ينظر: علي مروة، التشيع بين جبل عامل وإيران، دار الرئيس ، لندن، ١٩٨٧ ، ص ٣٧-٤٤؛ جعفر المهاجر، الهجرة العالمية إلى إيران، اسبابها التاريخية ونتائجها الثقافية والسياسية ، بيروت، ١٩٨٩ ، ص ١١٣ ؛ وجيه كوثراني، الفقيه والسلطان، دار راشد، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٣١-١٤٠.

الفقهية المتعلقة ببعض المسائل كالقضاء وعلى نحو محدود الحدود^(١)، إلى نظرية فقهية سياسية ، بادخال الولاية العامة (الحكم) في ضمن صلاحيات الفقيه. حدد الكركي الخطوط العامة لنظريته في عدد من آرائه الفقهية، ومنها " اتفق اصحابنا رضوان الله عليهم على ان الفقيه العدل الإمامي الجامع لشرائط الفتوى [مرجع التقليد] ، المعبر عنه بالمجتهد في الاحكام الشرعية نائب من قبل ائمة الهدى (صلوات الله وسلامه عليهم) في حال الغيبة في جميع ما للنيابة من مدخل ...، فيجب التحاكم اليه والانقياد إلى حكمه، وله ان يبيع مال الممتنع من أداء الحق ان احتيج اليه ... إلى اكثر ما يثبت للحكم المنسوب من قبل الإمام عليه السلام " ^(٢) . ثم استشهد برواية عمر بن حنظلة الشهيرة " بالمقبوله " ^(٣) في معرض الاستدلال

(١) ويقصد بالحدود احكام الاعداد او قطع يد السارق (الجرح) ، والتعزيزات (العقوبات الشرعية) وقال في نشأتها المفيد ((واما الحدود ... وقد فوضوا [لائمة] النظر فيه إلى فقهاء شيعتهم مع الامكان ...)) ، نقلاً عن : المفيد ، المقنعة، ص ٨٠.

(٢) نقلاً عن: محمد صادق المزياني، الحكم والفتوى مساحتها وموقعها، من كتاب آراء في المرجعية الشيعية، المصدر السابق، ص ٥٩.

(٣) ونصها " قال عمر بن حنظلة سألت الأمام الصادق عن رجلين من اصحابنا بينهما منازعة في دين وميراث، فتحاكما إلى السلطان ايحل ذلك، قال [الصادق] من تحاكم اليهم في حق او باطل فانما تحاكما إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً وإن كان حقاً ثابتاً له، لانه اخذ بحكم الطاغوت، وما امر الله ان يكون به. قلت فكيف ينصفان قال: إلى من كان منكم ممن روى حديثنا في حلالنا وحرامنا وعرف احكامنا فليرضوا به حكماً، فاني قد جعلته حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما استخف بحكم الله ، وعلينا رد والرد علينا راد على الله وهو على حد الشرك بالله " . وقد اصبحت هذه المقولة مثار اختلاف الفقهاء الشيعة إلى يومنا هذا بين من يجوز العمل السياسي للفقيه وبين من عدّها خاصة بالقضاء فقط. ينظر: ابو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١٣ ، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٥ ص ٣٧٤-٣٧٦.

على النيابة العامة ، بقوله " والمقصود من هذا الحديث .. ان الفقيه الموصوف بالاولصاف المعنية ، منصوب من قبل أئمتنا ^ع نائبه عنهم في جميع ما للنيابة فيه مدخل بمقتضى قوله [الأمام الصادق] : فأني قد جعلته عليكم حاكماً، وهذه استتابة على وجه كلي " . وعلى وفق تفسيره لسعة هذه الاستتابة، أجاز الكركي للفقيه إقامة الحدود اذ تطلبها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ^(١)، فضلاً عن اقامة صلاة الجمعة، وقال بشأنها " ... لايقال الفقيه منصوب للحكم والافتاء، والصلاة امر خارج عنها ... لان الفقيه منصوب من قبلهم ^ع ، حاكماً كما نطقت الاخبار ... " ^(٢) والمعروف ان هذه الصلاحيات ذات المعنى السياسي هي من صلاحيات الأمام، بمعنى آخر، ان السلطة التي يمارس الفقيه صلاحياته في ظلها تكتسب ثقلاً شرعياً - كما تقدم ذكره - وهو ما يفسر سبب تلقي الشاه اسماعيل الصفوي بترحيب كبير فتاوى وجوب إقامة صلاة الجمعة العيني او التخيري كونها تضي في احد وجوهاها شرعية على سلطته السياسية ^(٣).

هدف الكركي بأيماء بالنيابة الفقيه العامة، من دون ذكرها مباشرة ، والذي قد يكون الكركي هدف منه عدم اثارة الصفويين، لاسيما انه طرحها في عهد الشاه إسماعيل ، المعروف بسياسة احتواء الفقيه، وعدم فسح المجال له في الشأن السياسي، الا بقدر ما يخدم مصالحه، دفع البعض إلى مجانية الصواب، والادعاء ان النيابة العامة التي تبناها الكركي لاتدخل فيها الولاية العامة، ونجد صدى ذلك في قول توفيق السيف: ان الكركي لم يذهب إلى ان للفقيه ولاية في الشأن السياسي ^(٤). والواقع ان الولاية العامة قد مارسها الشيخ عملياً بنفسه، حينما سنحت له الفرصة،

(١) الكركي ، جامع المقاصد، ط٢، ج٢، المؤسسة الإسلامية، قم، ١٩٨٨، ص٣٧٨.

(٢) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٣٧٩.

(٣) فؤاد إبراهيم، المصدر السابق، ص ١٥٤.

(٤) ينظر: توفيق السيف ، نظرية السلطة ... ، ص ١٣٠.

بعد وفاة الشاه اسماعيل الصفوي، وتولي ابنه الشاه طهماسب (حكم بعده ١٥٢٣-١٥٧٦م)، الذي عمل على اعادة الحياة لتحالف (الفقيه/ السلطة) ، ووجد في الشيخ الكركي واطروحته الفقهية، القوة المعنوية الكبيرة التي يحتاجها لضمان استقرار حكمه (١).

وعلى اثر رسالة (٢)، ارسلها له الشاه، يعترف بها بولايته العامة ، على وفق نظرية النيابة العامة، ترك الكركي النجف وانتقل إلى فارس. في اثناء لقائهما قال له الشاه " انت احق مني بالملك، لأنك انت نائب امام الزمان عليه السلام ، وانما اكون من عمالك، اقوم بأوامرك ونواهيك " (٣) بعدها منح الكركي بعدّه نائباً للامام المهدي، الشاه حق ادارة البلاد بالنيابة عنه. ولقبه الشاه بنائب الامام، ومنحه الحق المطلق في ادارة شؤون البلاد الشرعية (٤).

وهكذا تعد إجازة الكركي للشاه بالحكم نيابة عنه، تعد ترجمة لارائه في حدود ولاية الفقيه في الشأن السياسي . والتي شكلت في جوهرها انعطافة مهمة في الفكر السياسي للشريعة الامامية، اذ تبين ان بعض الفقهاء، بدأ يتخطى اخر الحواجز في

(١) ينظر : علي الدواني، مفاخر الإسلام، ج٤، امير كبير، طهران، ١٩٨٥، ص ٤٤١.

(٢) ينظر نص الرسالة: عبد الله افندي الاصفهاني، رياض العلماء وحياض الفضلاء، مكتبة آية الله المرعشي العامة، قم ، ١٩٨٠، ص ٤٥٤.

(٣) علي الدواني، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٤١.

(٤) من الاعمال التي قام بها الكركي بهذا الشأن ، هدمه الحانات والمواخير، وصالات القمار واللهو، ترويجه للشعائر والفروض الدينية، وتأكيده على إقامة صلاة الجمعة والجماعة، وبيان احكام الصلاة والصوم، واجتثاث الفساد، والاهتمام بالفقهاء والدراسات الفقهية. ينظر: علي الدواني، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٤٢؛ محمد باقر الخوانساري، روضات الجنان ... ، ج٤، ص ٣٦٢.

وعيه الانتظاري " ، بإسباغه الشرعية على السلطة القائمة، على وفق قاعدة قسمة السلطة بين الفقيه والسلطة الزمنية، بتولي الاول المسائل الشرعية والثانية الشأن السياسي.

٣- نظرية ولاية الفقيه :

يبدو ان تجربة تقاسم السلطة، وبروز ما اسماه السيد محمد باقر الصدر ^(١)، مرجعيات " التمرکز والاستقطاب " ممثلة بمرجعية جعفر كاشف الغطاء، حينما طغت شخصيتها الفقهية في اعقاب استرداد المدرسة الإصولية جذوتها الفقهية بعد جمود دام اكثر من قرنين واستقطابها لكثير من المقلدين من داخل العراق وخارجه، قد دفعت الشيخ احمد النراقي ^(٢)، إلى الدعوة لدور اجتماعي وسياسي اكبر للفقيه، يتناسب وثقله في المجتمعات الشيعية.

(١) يقسم السيد محمد باقر الصدر مراحل تطور المؤسسة الدينية إلى اربع: الاولى: مرحلة الاتصال الفردي. وفيها كانت اتصالات المرجعيات بالمقلدين مباشرة وضمن البلد الواحد. والثانية: الجهاز المرجعي. حيث اصبحت للمرجعيات اجهزة من الوكلاء، كانوا حلقة الوصل بين المرجع ومقلديه والثالثة: التمرکز والاستقطاب اما الرابعة . فمرحلة القيادة. وتتمثل بقيادة الشعوب ضد الاستعمار. للمزيد ينظر: محمد باقر الصدر، المحنة ، منشورات ذو الفقار، قم ، د.ت، ص ٤٠-٤٤.

(٢) الشيخ أحمد بن مهدي بن ابي ذر الكاشاني النراقي، فقيه اصولي ومرجع تقليد ولد في نراق في فارس عام (١٧٧١م) ، كان بارعاً في علم اصول الفقه وشاعراً بليغاً بالفارسية، هاجر إلى النجف ودرس الفقه على يد الشيخ جعفر كاشف الغطاء والشيخ بحر العلوم الطباطبائي، له العديد من المؤلفات الفقهية اشهرها عوائد الايام، ومفتاح

ففي كتابه " عوائد الايام في بيان قواعد الاحكام " ، خصص النراقي عائدته من عوائده الثمانية والثمانين، لبحث هذا الدور، تحت عنوان " ولاية الفقيه " ، اصل خلالها لحق الفقيه بتولي السلطة بشخصه. وفي هذا الصدد يقول " لما كان الفقهاء السابقون، ينسبون إلى الفقيه صلاحيات متعددة، وينظرون إلى الفقيه هو الحاكم في زمن الغيبة [ربما قصد الكركي] ولكنهم لم يذكروا دليلاً على ذلك، عرفتُ على إثبات هذا المطلب بالدليل: ان كل ما للفقيه العادل توليه وله الولاية فيه امران: احدهما: كل ما كان للنبي والإمام الذين هم سلاطين الانام وحصون الإسلام، فيه الولاية فللفقيه العادل ايضاً ذلك، الا ما اخرجته الدليل من اجماع أو نص أو غيرهما.

وثانيهما: كل فعل متعلق بأمر العباد في دينهم أو دنياهم، ولا بد من الاتيان به ولا مفر منه، اما عقلاً او مادة ، من جهة توقف امور المعاد والمعادين لواحد او جماعة واناطة انتظام امور الدين او الدنيا به فهو وظيفة للفقيه وله التصرف فيه والاتيان به ^(١).

وفي سياق هذا التطور ونتائجه، يبلور النراقي موقع الفقيه عبر تناوله وظائفه في زمن الغيبة، وتشمل جانبين : ^(٢)

١- الامور الحسبية ^(١): وهي الافتاء ، القضاء، الحدود والتعزيزات ، اموال اليتامى، اموال السفهاء والمجانين، اموال الغائب (المسافرين...) ، انكحة

الاحكام في الاصول، ومنهاج الوصول إلى علم الاصول، توفي في طهران. ينظر: محسن الامين العاملي، اعيان الشيعة ، ج٤، ص ٥٦٧-٥٦٩.

(١) أحمد النراقي، عوائد الايام، ط٣، مكتبة بصيرتي ، قم ، ١٩٨٦، باب ولاية الفقيه، ص ١٨٧-١٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٧-١٨٨.

الصغار الفاقدين للولي، ولاية السفهاء والايتام في اجارتهم واستيفاء حقوقهم المالية.

٢- الامور الولائية (السلطة) : وهي التصرف في اموال الامام من الخمس ومجهول المالك وارث من لاوارث له، وجميع ما ثبت مباشرة الامام له من امور الرعية كبيع مال المفلس وغيره، كل فعل لابد من ايقاعه لدليل عقلي او شرعي، كل مورد من عمل السلطان والامام ، فكل مورد ثبت لهما الولاية فيه، حكم للفقيه به.

واستدل لأثبات شرعية اطروحته، بأدلة عقلية، منها قوله " ... انه لو كان حاكم او سلطان في ناحية واداء المسافرة إلى ناحية اخرى، وقال في حق شخص ... فقال : فلان خليفتي ، وبمنزلتي ، ومثلي، واميني، والكافل لرعيتي، والحاكم من جانبي ، وحجتي عليكم في جميع الحوادث لكم، وعلى يده مجاري امورك واحكامكم، فهل يبقى لأحد شيء في انه له، فعل كل ما كان للسلطان في امور رعية تلك الناحية ؟ ... " (٢). ويقصد هنا أن الرسول والأئمة قد اوصوا بالفقهاء.

ثم عزز هذه الأدلة، بأخرى فقهية، تجسدت في طائفة من النصوص المروية عن الائمة الاثني عشر، ومن ابرزها : ما يعرف بـ التوقيع الشريف " وهو رسالة موقعة من الامام المهدي، رداً على اسئلة طرحها عليه شخص يدعى إسحاق بن

(١) الحسبة لغة: اسم من الاحتساب، كالعدة من الأعتداد ، والاحتساب في الاعمال الصالحات هو البذر إلى طلب الاجر، أي التقرب إلى الله. ولايختلف معناها في اصطلاح الفقهاء عن معناها اللغوي، اذ تعد من الامور التي شرعها الدين، ولايجوز اهمالها ، دون خصوصية لمن يقوم بها لانها مصلحة عامة. للمزيد ينظر: ابو يعلى محمد بن الحسين الماوردي، الاحكام السلطانية، ج٢، مكتب الاعلام السلامي، قم، ١٩٨٦، ص ٢٤٧؛ محمد بحر العلوم، بلغة الفقيه، ط٢، م٣، مكتبة الصادق، طهران، ١٩٨٣، ص ٢٩٠.

(٢) أحمد النراقي ، المصدر السابق، ص ١٨٨.

يعقوب ، بوساطة السفير الثاني للإمام في زمن الغيبة الصغرى ، وورد فيها قوله " واما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة احاديثنا، فإنهم حُجتي عليكم، وانا حجة الله عليهم " (١).

ما يمكن الخروج به من ولاية الفقيه ، ان صاحبها حاول من خلالها معالجة اهم الاشكالات التي تواجه نظريته، بعدّها تتناقض والعرف الفقهي، الذي يعارض تولي الفقيه للسلطة، وهو ما نجده في قول الشريف المرتضى " لايجوز بيعه أحد فقيهاً او غير فقيه، لان الرئاسة منصب خاص للإمام " (٢).

بعبارة اخرى، اعاد النراقي مسألة السلطة إلى موقعها الاصلي في علم الكلام، بوصفها حسب العقيدة الامامية شأنًا عقائدياً ، نظراً للترابط الوثيق بين الامامة والسلطة، بغية التخفيف من حدة الانتقادات التي ستواجهها بابعادها عن المقاييس الفقهية للسلطة زمن الغيبة الكبرى.

لم تؤد العودة بولاية الفقيه إلى الاصول العقائدية ، بالايعاء انها نظرياً تعزيزاً للنيابة العامة، وعملياً هي استمرار لمبدأ اللطف الالهي، الغاية الفقيه منها بل عرضها للنقد اللاذع من الكثيرين، اذ عُدت تجاوزاً للمنطقة المحرمة في العقيدة الامامية، حينما ساوت او قاربت صلاحيات الفقيه بصلاحيات الأمام، متجاهلة " النص والعصمة " رُكني الأمامة الرئيسين ، من دون دليل صريح ، على قاعدة الأصل في التكاليف عدم التقيد الا بدليل، وهو ما تفتقر اليه النظرية التي ركزت في الأدلة العقلية وتوظيف النصوص لدعمها (٣). وهذا يدل على ان الاجتهاد في المدرسة الامامية الأصولية، وبالرغم من المساحة الكبيرة التي يشغلها ، الا انه

(١) ينظر نص الرسالة: الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق علي اكبر

الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، ١٩٨٥، ص ٤٨٤.

(٢) نقلاً عن : توفيق السيف، نظرية السلطة ... ، ص ١٧٦.

(٣) احمد جيهان برزك، المصدر السابق، ص ٤٠٩..

يخضع لضوابط " المقدس " . ليفرز هذا التباين في آراء الفقهاء ، إلى بروز خطين فقهيين في المدرسة الأصولية الاجتهادية هما :

أ- ولاية الفقيه العامة :

وتعرف أيضاً بالمطلقة، ويذهب مؤيديها ومن أبرزهم الشيخ محمد حسن النجفي^(١). إلى ما ذهب اليه النراقي، في القول بأن للفقيه العادل (الجامع لشروط مربع التقليد) الحق بممارسة صلاحيات الإمامة في الامور الحسبية والسياسية، إلى حين ظهور الأمام المهدي، وعدّ هؤلاء تولي الفقيه للسلطة، ضماناً للقيام بالامور الحسبية، وتحقيق العنايات المرجوة منها، لاسيما ان بعضها كالقضاء والحدود ، من الصعب القيام بها من دون موافقة السلطة^(٢). بكلمة اخرى عُدت الحسبة دليلاً آخر لهذه الولاية، وللولي الفقيه حق التدخل في الشؤون العامة والخاصة للأفراد، لاسيما التي تتعارض والمصلحة العامة للمجتمع.

(١) الشيخ محمد حسن النجفي، عميد أسرة آل الجواهري النجفية. فقيه اصولي والمجتهد الاكبر للشيعة الامامية في زمانه، ولد في النجف عام ١٧٧٨ أشتهر بلقب صاحب الجواهر نسبة إلى كتابه "جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام" ، والذي يعد اكبر موسوعة فقهية عند الشيعة ، وقد اوصى لخلافته تلميذه الشيخ مرتضى الانصاري، مات في النجف عام ١٨٤٩ . للمزيد ينظر: جعفر باقر محبوبية، ماضي النجف وحاضرها ، ط ٢، ج ٢ مطبعة الاداب، النجف ، ١٩٥٨ ، ص ١٢٨-١٣٠.

(٢) نقلاً عن: عباس علي عميد زنجاني، الفقه السياسي في التراث الشيعي، من كتاب مدخل إلى الفكر السياسي في الإسلام، ط ١، اعداد صادق حقيقت، مؤسسة الهدى للنشر، طهران، ٢٠٠١، ص ٨٨-٨٩.

اما كيفية تعيين الولي الفقيه، فقد عد الشيخ النجفي قدرة الفقيه للوصول إلى السلطة الاساس في ذلك، بوصفها واجباً كفائياً^(١). بمعنى اذا قام بها فقيه ما ، سقط عن الآخرين الذين عليهم عدم مزاحمته في سلطته، وعلى الناس إطاعته والعمل على إقامة وتثبيت سلطته، لكونها واجباً شرعياً.

بـ ولاية الفقيه الخاصة :

وتعرف ايضاً بالمقيدة او الجزئية، ويذهب انصارها ومن ابرزهم الشيخ مرتضى الأنصاري ، إلى نقد الولاية العامة وتفنيد شرعيتها، فضلاً عن القول بأن صلاحيات الفقيه في زمن الغيبة، لا تتجاوز الامور الحسبية او اغلبها وبحسب اجتهاد الفقهاء ورجاحة ادلتهم^(٢). اذ يفسر النص المعروف بالتوقيع الشريف، بما نصه " ان امر الأمام بالرجوع إلى رواة الحديث في الحوادث الواقعة، يفيد عموم الاذن في القيام بالحسيات ... " وهذا يعني ان الشيخ لا يقر بأنه (التوقيع) خاص للفقهاء وفي الامور كافة كما ذهب اليه النراقي. كما انه يفسر النص المعروف بـ (المقبولة) بأنه خاص بالامور القضائية وليس السياسية^(٣).

وعلى الرغم من اقرارهم ان الولاية العامة هي جزء من الامور الحسبية ، بيد انهم يعدوها من صلاحيات الامام دون غيره. وبهذا الصدد يقول الانصاري يحق للفقيه في التصرف (التصرف بالاموال الشرعية) والنفوس (إقامة الحدود) ، وهما من اساسيات السلطة الشرعية، ما نصه "... ان اثباتهما كمد اليد في غصن كثير

(١) المصدر السابق، ص ٨٩.

(٢) أحمد جهان بزرگ، المصدر السابق، ص ٤٠٩.

(٣) ينظر: مرتضى الانصاري، المكاسب، ج ١، ص ٤١١.

الاشواك " ^(١)، واكتفى بولاية الفقيه في الافتاء والقضاء، او كل ما يستطيع القيام به بشأن " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " بوصفه نائباً عن الامام ^(٢). وهذه دلالة على انه قد سار على وفق النهج الفقهي التقليدي في معالجته لموضوع السلطة. والجدير بالذكر ، ان ولاية الفقيه الخاصة قد طغت على الحياة الفقهية، أذ بحثت بشكل مستفيض مفصل في المدونات الفقهية ولسنوات طويلة، على العكس من الولاية العامة التي طرحت بشكل عرضي وفي سياق بحث عام، الا في حالات محدودة. وسبب ذلك يرجع إلى قوة شخصية الانصاري الفقهية ، وتسيد مرجعيته. بناءً على ماسبق ، لا يوجد مجال للشك ، ان النراقي قد وضع اللبنة النظرية الاولى لحق الفقيه بتولي الحكم، لذا نجد ان توفيق السيف يجانب الصواب حينما يذكر ما نصه : " ويتضح من التأمل في عرض النراقي لادلته والموارد التي يرى ولاية الفقيه فيها ، ان حدود الولاية، لا تتجاوز موردي الافتاء والقضاء " ^(٣) مع انه لاحقاً في حديثه عن الادلة النقلية للقائلين بهذه الولاية يقول: " وينفي النراقي تعارض هذه الروايات، مع الاخبار التي تحصر الحكومة (الحكم) في النبي ووصيه، لان الاذن الوارد في تلك الروايات يعد - لغة - وصية او توصية ، فيكون العلماء من جملة الاوصياء المعنيين " ^(٤)، وهذا دليل على رؤية النراقي السياسية، الا اذا كان السيف يفسر الحكومة بمعنى اخر .

من مناقشة ما طرح بشأن ولاية الفقيه العامة نرى ان ظهور هذه النظرية ، هي قمة ما وصل اليه الفكر السياسي في المؤسسة الدينية، من منظور ان المسوغ لنشوء هذه المؤسسة كان لشغل الفراغ الذي سببه غياب الامام الثاني عشر؛ لكن من

(١) نقلاً عن : أحمد جيهان بزرك ، المصدر السابق ، ص ٤٠٨.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٠٩.

(٣) توفيق السيف ، نظرية السلطة ... ، ص ١٥٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٧٦.

وجهة نظر أخرى بعيدة عن ذلك نرى انها صورة أخرى لنظرية الحق الالهي بثوب فقهي شيعي . اذا انها تعطي الحق لرجل الدين في الحكم بأسم المقدس ، ومن ثم لا يمكن محاسبته على الاخطاء في حال ارتكابه لها .

ثالثاً: تبلور التيار الاصلاحى وتأصيله الشرعى للدولة الدستورية

١- العوامل التي أسهمت في قيام التيار الاصلاحى:

مما لا شك فيه ان التطورات الفكرية والاجتماعية التي شهدتها اوربا بعد صراع بين المجتمع وبين السلطة سواء أكانت سياسية ام دينية (الكنيسة) ، وأبرز نتائجها ظهور مجال جديد في الحياة الاجتماعية هو المجال السياسي. بمعنى انتقال مفهوم الدولة من وصفها مجرد سلطة تتمثل بالسلالات الحاكمة، إلى هيئة اجتماعية تستمد مشروعيتها وجودها وممارستها لوظائفها من رضا الشعب (المجتمع) بصيغة تعاقدية على وفق مبدأى العقد الاجتماعى والفصل بين السلطات، كان لها صداها في ارجاء عديدة من العالم ؛ وقد تأثر تياراً في المؤسسة الدينية في النجف بهذا التطور في الفكر السياسي العالمى.

ويتبادر إلى الازهان تساؤل كيف وصلت إلى هذه المؤسسة الدينية وما هي طبيعة ما تبنته منها؟ ان أي اجابة وافية لاتكتمل ابعادها من دون التطرق إلى ابرز المتغيرات في الحياة الفكرية في النجف في القرن التاسع عشر الميلادى وبداية القرن العشرين .

فالنجف منذ ان عادت مركزاً للمؤسسة الدينية ، أي منذ ان اعيد لها اعتبارها بوصفها المركز الحوزوي الرئيس، بعد عقود طويلة كانت كربلاء في اعقاب تسيد المدرسة الاخبارية ^(١) ، تحظى بهذه المكانة، فضلاً عن تعاظم مكانة المؤسسة

(١) أسسها محمد امين الاستريادى (ت ١٦٤٠م) حرمت الاجتهاد وحصرت مصادر

التشريع بالقران والسنة (احاديث وروايات الرسول وائمة ال البيت) .للمزيد ينظر :

الحر العالمى ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦٠.

الدينية ، ببيئة مناسبة لدعاة الإصلاح والتغيير فمن ناحية كان تبوأ المؤسسة الدينية دوراً قيادياً في المجتمع النجفي بعد تصدي الشيخ جعفر كاشف الغطاء للغزوات الوهابية و نجاحه في صد هذه الغزوات (١) .

من ناحية اخرى ، ان التطور الفقهي الذي أسسه الشيخ جعفر كاشف الغطاء في كتابه " كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء " ، ليأخذ مديات اوسع على يد مرجعيات تقليد برزت منذ منتصف القرن التاسع عشر، ووضعت بصماتها في السجل الفقهي والفكري للمؤسسة الدينية في النجف ، ومن أبرزها مرجعيتا الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر والشيخ مرتضى الأنصاري، وتزايد اعداد طلبة الحوزات الدينية من داخل العراق وخارجه، والعديد من هؤلاء قدم النجف من بلدان مفتوحة على العالم، لا سيما فارس(٢) لذا حمل افكاراً جديدة، وكتب قيمة (١) ، يبدو

(١) الوهابية حركة سلفية متشددة اسسها في نجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣-١٧٩٢) نادت باتباع النهج الصالح (الصحابة والتابعين ٩ لكنها كفرت كل من يختلفها الرأي وبعد تحالفها مع امير الدرعية محمد بن اسعود ١٧٣١-١٨٠٣) عملت على اخضاع الجزيرة العربية لمبادئها بالقوة ومنذ عام ١٧٨٨ قام الوهابيون بعدة غزوات قاسية على مدينتي كربلاء والنجف فضلاً عن المناطق العشائرية الحدودية ولم تنتهي الا اواخر العشرينات قرن العشرين بعد تحسن العلاقات العراقية - السعودية . للمزيد ينظر ناصر السعيد ، تاريخ آل سعود ، ج١، منشورات اتحاد شعب الجزيرة العربية ، د.ت ، ص ٣٤-٦٠؛ عبد الوهاب إبراهيم الشمري ، الحركة الوهابية الحقيقة والجذور، دار العروبة ، بيروت، ١٩٩٢، ص ١٠-٤٥.

(٢) تبلور في فارس اتجاهين فكريين الاول : المنقفون الانتلجنيسيا المتأثرون بالثقافة الغربية، ونادوا بأصلاح الدولة على وفق الانموذج الغربي، متخذين من مبدأ فصل الدين عن الدولة والحياة العامة ، أي علمنة الدولة شعاراً لهم (٢). اما الاتجاه الآخر فمثله المصلحون الإسلاميون، واهم مانادوا به اصلاح الدولة على أسس إسلامية مع الاستفادة قدر الأمكان من بعض جوانب الثقافة والحضارة الاوربية التي لا تتعارض وهذه الأسس . للمزيد ينظر : عبد الهادي الحائري ، التشيع ومشروطيت در فارس ، سبهر ،

انه اسهم بدرجة كبيرة في ازدهار الدواوين او ما يسمى بـ(المجالس النجفية)، بمعنى ان النجف عادت إلى سابق عهدها بوصفها اشبه بمدارسها الدينية وجوامعها التي هي اماكن للدراسة ايضاً، جامعة إسلامية كبيرة، تشجع على العمل الأدبي والفكري، ومن ابرزها:

١- **مجال الافتاء** : وتسمى ايضاً " مجالس الاستفتاء " (٢) . ويعد الميرزا محمد حسين النائني (٣) أول من انشأ مجلساً من هذا النوع، والغرض من إقامته كان الإجابة على الاسئلة الشرعية التي ترد إلى مراجع التقليد من مدن العراق والبلدان الإسلامية . ويحضرها عادة عدد من المجتهدين وطلبة البحث من الخارج،

تهران ، ١٩٥٢ ، ص ٢٦-٣١ ؛ رائد عبد الوصف المشروع الاصلاحى للنائني ، من كتاب الدين والسياسة ، ص ٢٨٠-٢٨١ .

(١) محمد مهدي الأصفى، مدرسة النجف ... ، ص ٣٤-٣٥.

(٢) مقابلة مع الشيخ عبد النور الزبيدي اجريت بتاريخ (٢٠/١١/٢٠٠٧) .

(٣) الشيخ محمد حسين الغروي النائني فقيه اصولي وواحد من كبار مراجع التقليد للفترة (١٩٢٠-١٩٣٦) ولد في مدينة نائين قرب اصفهان (وسط فارس) في العام (١٨٥٧) من اسرة دينية معروفة ، وفيها درس المقدمات ، ثم هاجر إلى سامراء حيث حضر دروس الميرزا محمد حسن الشيرازي، واصبح كاتب رسائله وثقته، وكانت تربطه علاقة قوية مع جمال الدين الافغاني، وعلى الأرجح انه تأثر ببعض افكاره الاصلاحية. وبعد وفاة الشيرازي انتقل إلى كربلاء ثم إلى النجف . دعم التيار الاصلاحى المؤيد للحركة الدستورية الفارسية، افتى بالجهاد ضد القوات البريطانية. وكان له دوراً بارزاً في معارضته النظام الملكى في العراق، والانتداب البريطانى حتى ١٩٢٤ ، حيث تعهد بوقف نشاطه السياسى ، توفى في بغداد عام ١٩٣٦ ، ودفن في النجف . للمزيد عن حياته ينظر: المحقق النائني تنبيه الأمة وتنزيه الملة، تعريب: عبد الحسين آل نجف، مؤسسة احسن الحديث، قم ، ١٩٩٨ ، ص ٢٩-٤٤ ؛ امجد اسعد شلال المحاولي، محمد حسين النائني " دراسة تاريخية " ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الكوفة ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٠-٤٠.

وعندما يطرح التساؤل المرسل يبدأ النقاش حوله بين الحضور في النهاية يستقر رأي المرجع في الاجابة على رأي احد الاطراف او قريب منه، بعد ذلك يطرح سؤال اخر وهكذا، وهذه المجالس تعقد عادة في الليل ^(١). ويبدو ان هذه المجالس أشاعت جواً من الحوار والنقاش وقبول الآخر، ما كان له صدى داخل المؤسسة الدينية .

٢- **مجالس الأسر العلمية** ^(٢) : وهي مجالس تقيمها الأسر العلمية، وتحضرها فئات عدة في مقدمتها رجال الدين والمتقنون، وأشهرها مجلس آل الجزائري ، ذو النزعة الإصلاحية ، وكان له دوره في توجيه النخبة المثقفة من القضايا السياسية او غيرها، كقيام الحركات الدستورية في فارس والدولة العثمانية، حتى انه كون الرأي السياسي عند الاصلاحيين النجفيين بالحكم اللامركزي للعراق عن الدولة العثمانية بعد عام ١٩٠٨ ^(٣) . فضلاً عن المناقشات العلمية والادبية التي تجرى فيها تتحول هذه المجالس في ليالي محرم ورمضان إلى مجالس للوعظ ورثاء الامام الحسين بن علي(ع) .

(١) محمد مهدي الاصفى ، مدرسة النجف ...، ص ٣٤-٣٥ .

(٢) من ابرز هذه الأسر: آل الجزائري، آل كاشف الغطاء، آل بحر العلوم، آل البراقي، آل الاعسم، آل الجواهري، آل حرز الدين، آل الطريحي، آل مرزة، آل الخرسان، آل النوحى، آل الخليلي ، آل الشرقي . وغيرهم. ينظر: ناهدة ويسن، المصدر السابق، ص ٩١ ؛ محمد باقر البهادلي، الحياة العلمية في النجف الاشرف ، ص ٦٤-٨٢؛ سيف نجاح ابو صبيح، المصدر السابق، ص ١٥٨-١٦٠ .

(٣) أسرة عراقية معروفة، يرجع نسبهم إلى قبيلة بني اسد العدنانية، وهم من اقدم الأسر التي سكنت النجف . واقدم من عرف فيها: أحمد بن إسماعيل المتوفى عام ١٧٣٨ ، وكان محققاً ومؤلفاً، واليها ينتسب الشيخان عبد الكريم الجزائري ومحمد جواد الجزائري ، ممن اسهموا في الحركة الوطنية في العراق. علي البهادلي ، المجاهد الشيخ محمد جواد الجزائري، مجلة المواسم، الهند، ١٩٩٠، عدد ٨٠ ، ص ١٥٤٨ .

٣- **المجالس الأدبية:** من المجالس المهمة في النجف، تهتم بالفكر والثقافة عامة، وبالأداب خاصة، وتتنوع في مواضيعها، فضلاً عن أنها تتناول في أروقتها مختلف أنواع العلوم والمعارف ، وتعقد في أماكن مختلفة. وقد انبثقت منها مجموعة من المساجلات الشعرية والأدبية، كان أبرزها مساجلة يوم الخميس وتعرف بـ(معركة الخميس)^(١) ويحضر هذه المجالس مجموعة من الأعلام والشخصيات البارزة، من رجال دين وأدب وثقافة، فضلاً عن من يود حضورها من عامة الناس. وشكلت إحدى العوامل المؤثرة في تبلور الوعي الفكري عند مثقفي النجف، ففيها تطرح الأفكار والآراء السياسية المختلفة القديمة والحديثة^(٢).

٤- **مجالس المكتبات :** وتعقد في مكتبات النجف ، وفي مقدمتها مكتبة الصحن الكبرى الغائرة في القدم (المكتبة الحيدرية حالياً) ، ويحضرها رجال الدين وأدباء وشعراء ، ويتم فيها مناقشة أنواع العلوم والمعارف الانسانية شتى ، لاسيما ان هذه المكتبات زاخرة بأنواع الكتب الادبية والسياسية وغيرها^(٣).

وكانت هذه المجالس تسودها المساجلات الأدبية والمطارحات العلمية، ولاتخلو من تبادل الآراء والأفكار السياسية، فضلاً عن ما تقوم به بعضها من مهمة الفصل بين الخصوم والتوسط في حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية^(٤). وقد أثمرت نخب اصلاحية مدركة للظروف والمتغيرات التي يمر بها المجتمع، إذ لا تخلو

(١) عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي، النجف الاشرف وحركة التيار الاصلاحى ١٩٠٨-١٩٣٢، دار القارئ ، بيروت، ٢٠٠٥ ، ص ٢٢.

(٢) عنها ينظر: جعفر باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ج٣، ص ٣٣٤ ؛ محمد مهدي بحر العلوم، رجال السيد بحر العلوم (الفوائد الرجالية) ، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، ج١، طبعة الآداب، النجف ، ١٩٦٥، ص ٨١-٨٨

(٣) كوركيس عواد، خزائن الكتب القديمة في العراق، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨ ، ص ١٣٠-١٣١.

(٤) محمد باقر البهادلي، الحياة الفكرية في النجف، ص ٨٥.

اسرة علمية في النجف من منتدى ادبي او مجلس علمي خاصاً بها، ومعظمها يرتادها فئات مختلفة. لذا عدّها مثقفو المدينة " وسائل جبارة تعمل على تنوير الازهان" ^(١) وعلى الأرجح ان هؤلاء قد ادركوا اهمية النظام الدستوري، وكونهم نخب شيعية مستبعدة من الوظائف الحكومية طيلة فترة الحكم العثماني كما سبق ، يبدو انه اسهم في ترسيخ هذه القناعة ؛ لاسيما أن عموم النجفيين بعد قيام السلطات العثمانية بحفر قناتين مائيتين لارواء مدينتهم عامي ١٨٨٧ و ١٨٩٣ ^(٢)، بدأوا يعون تدريجياً على اقل تقدير، الدور الذي يمكن ان تضطلع به الحكومة في حل مشاكلهم المستعصية؛ ويتضح ذلك بجلاء في عام ١٨٩٩، حينما طلبوا ، من السلطات العثمانية فتح قناة اروائية جديدة، لحاجة المدينة الماسة لها، نظراً لطبيعتها الصحراوية وتزايد عدد الدارسين في حوزاتها العلمية ^(٣).

علاوة على هذه العوامل اسهم بعض المصلحين الإسلاميين ، في انضاج النخبة الاصلاحية في النجف وعلى رأسها التيار الاصلاحى في المؤسسة الدينية ، وفي مقدمتهم السيد جمال الدين الافغانى ^(٤)، لاسيما انه جاء إلى النجف في العام

(١) نقلاً عن : محمد باقر البهادلي، الحياة الفكرية في النجف، ص ٨٥-٨٦.

(٢) اتبعت الحكومة العثمانية سياسة اروائية في منطقة الفرات الاوسط، تقوم على استغلال حاجة المدن والعشائر للمياه في الضغط عليها، فتضخه لمن تشاء وتمنعه عن من تشاء. للمزيد ينظر : محمد جبار إبراهيم، البنية الاجتماعية والاقتصادية وتأثيرها في الفكر السياسي الحديث في العراق ١٨٦٩- ١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب - جامعة بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص ١٢٧.

(٣) حسن الحكيم ، المفصل في تاريخ النجف...، ج٩، ص ٢١٠

(٤) السيد محمد جمال الدين خضر الحسيني الافغانى، مصلح إسلامي كبير، ولد في قرية كنو احدى ضواحي كابل [عاصمة افغانستان] عام ١٨٣٨ ، تلقى ثقافة دينية على يد والده ، سافر إلى الهند لاكمال دراسته، ثم إلى النجف لمواصلة علومه، اشتغل في سلك الحكومة الافغانية، الا ان الحروب الطاحنة في افغانستان وسيطرة البريطانيين ومضايقتهم له اضطره إلى الرحيل. كان كثير الترحال فزار بلدان عدة ، تركزت دعوته الاصلاحية على محاربة الاستبداد والاستعمار الاجنبي، اشتهر بالدعوة إلى الجامعة الإسلامية ، اصدر مع محمد عبده عام ١٨٨٤ مجلة (العروة الوثقى) الاصلاحية ، توفي عام ١٨٩٧ . ينظر: معد صابر رجب التكريتي، جمال الدين الافغانى وأثره في

١٨٤٨ لغرض الدراسة وكانت تربطه مع اسرها العلمية علاقات طيبة. وفي زيارته الثانية عام ١٨٩١، تحدث مع دعاة الاصلاح ومنهم محمد سعيد الحبوبي^(١)، وحسين الخليلي^(٢)، وغيرهم في النجف والمدن الاخرى ، عن ضرورة مقارعة الاستبداد بأنواعه وتبني سبل للاصلاح، وتطوير وسائل التعليم والتصدي للنفوذ الاوربي^(٣).

الفكر السياسي العراقي، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة بغداد، ١٩٩٩ ، ص ٧-٤٠؛ محمد عمارة، الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني، مطبعة الدار العربية ، القاهرة، د.ت، ص ١١.

(٣) الشيخ محمد سعيد الحبوبي، فقيه اصولي وشاعر معروف ولد في النجف عام ١٨٥٠، احد دعاة التيار الاصلاح في المؤسسة الدينية، أسس مع دعاة الاصلاح جمعية اخوان الصفا التي اضطلعت بمهمة شراء الصحف والمجلات، ومن ثم توزيعها مجاناً على ابناء المدينة المهتمين بالاصلاح، كان من اوائل الذين حثوا العشائر ضد الاحتلال البريطاني للعراق في سنة ١٩١٤ . قاد بنفسه المجاهدين ، وجرح في معركة الشعيبة فتوفى متأثراً بجراحه في الناصرية عام ١٩١٥. ينظر: هدى جاسم محمد البطيحي، محمد سعيد الحبوبي حياته وشعره، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد - كلية الآداب، ١٩٩٦ ، عدي محمد كاظم السبتي ، محمد كاظم الآخوند ١٨٣٩-١٩١٨ : دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب - جامعة الكوفة ، ٢٠٠٧، ص ٥١.

(٢) الميرزا حسين خليل الطهراني، فقيه اصولي واحد كبار مراجع التقليد، ولد في طهران عام ١٨١٢ ، وفيها درس المقدمات، هاجر إلى النجف درس على يد كبار اساتذة الحوزات فيها، اجازه الشيخ مرتضى الانصاري، قضى سنوات طويلة في التدريس والفتوى، وله مؤلفات فقهية عديدة، توفي في النجف عام ١٩٠٨ . ينظر: محمد حرز الدين، معارف الرجال في ترجمة العلماء والادباء، ج ٢، ص ٢٧٦-٢٨٠.

(٣) عن اثر السيد جمال الدين في الفكر السياسي في العراق . للمزيد ينظر: معد صابر رجب التكريتي، المصدر السابق؛ عبد المحسن القصاب، ذكرى الافغاني في العراق، مطبعة الرشيد، بغداد، ١٩٤٥ ، ص ٨٥-٨٦.

وبلغ تأثر مصلي النجف ومتفقيها بهؤلاء إلى درجة ان هبة الدين الشهرستاني (١) اطلق دعوة أصلحية اقتصادية شبيهة بدعوة الشيخ محمد عبده (٢)، الذي شجع الاستثمار في المصارف المصرية، ومنها اخذ الفائدة من صناديق التوفير (٣).
روج هؤلاء المصلحون والمتفقون العرب وغيرهم، لافكارهم الاصلحية والتحديثية من خلال المجلات والصحف التي أسسوا الكثير منها لهذا الغرض (٤)،

(١) السيد محمد علي هبة الدين الحسيني، رجل دين ومصلح وسياسي، اشتهر بـ(هبة الدين الشهرستاني) نسبة إلى اخواله (من شهرستان) ولد في سامراء في العام ١٨٨٤ ، وفيها تلقى تعليمه الحوزوي الاولي ثم انتقل عام ١٩٠٣ إلى النجف لاستكمال تحصيله العلمي، وفيها مارس نشاطه الاصلحي الهادف إلى الاخذ بسبل الحضارة الغربية لاسيما التي لا تتعارض والإسلام ولاجل ذلك اسس عام ١٩١٠ ، مجلة العلم ، أيد الحركات الدستورية في فارس والدولة العثمانية، والجهاد ضد الاحتلال البريطاني وشارك في ثورة العشرين، عين وزيراً للمعارف في حكومة عبد الرحمن النقيب الثانية، وشغل عدة مناصب حكومية ، توفي في بغداد عام ١٩٦٧. ينظر: محمد باقر البهادلي، السيد هبة الدين الحسيني آثارة الفكرية ومواقفه السياسية، ط ١ ، شركة الحسام للطباعة، بغداد، ٢٠٠١.

(٢) الشيخ محمد عبده مفكر ومصلح إسلامي، ولد في القاهرة عام ١٨٤٩ ، اسهم في حركة النهضة العربية الحديثة، أيد حركة أحمد عرابي عام ١٨٨٢ ، اكد ضرورة مواجهة التغلغل الاجنبي عن طريق الاصلاح على وفق منهج توفيق بين الإسلام والحداثة، توفي عام ١٩٠٥ . ينظر: عيسى شحاتة، زعماء الوطنية في مصر في العصر الحديث ، مطبعة الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٤١.

(٣) ينظر: عدي حاتم المفرجي، النجف الاشرف ، ص ٦١-٦٢.

(٤) عرفت هذه البلدان النهضة الأدبية والفكرية قبل غيرها من البلدان العربية لاسباب عدة: منها الغزو الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨، ومحاولات محمد علي باشا في التحديث، والبعثات إلى الدول الاوربية، فضلاً عن موقعهما الجغرافي واطلاتهما على البحر المتوسط.

ونشروا مقالاتهم بها، ومن أهمها تلك الصادرة في مصر وبلاد الشام^(١). والتي كانت تصل بصعوبة إلى النجف ومدن عراقية أخرى، بسبب منع السلطات العثمانية تداول العديد منها لخشيتها من افكارها الاصلاحية. وكان لمحلات بيع الكتب الموجودة بكثرة في النجف نظراً لطبيعتها العلمية ، دوراً في توفير هذه المجالات وكتب علمية وفكرية أخرى ؛ مما ساعد في وصول المؤثرات والرؤى الفكرية الحديثة للعديد من المثقفين فضلاً عن علماء الدين وطلبة الدراسات العليا^(٢).

بيد ان النخبة الاصلاحية لم تتمكن من ايصال مفاهيمها الحديثة لشرائح كثيرة في المجتمع النجفي ، لوجود معوقات عدة تحول دون ذلك، منها موقف السلطات المعادية للفكر الاصلاحى^(٣)، ورفض القوى المحافظة في المؤسسة الدينية والزعامات، المحلية، ، فضلاً عن كون الكثير من العامة لا تتقبل الافكار الحديثة

(١) من ابرز المجالات والصحف باللغة العربية : مجلة المقتطف، شهيرة علمية ادبية صدرت في بيروت عام ١٨٧٦، ومجلة الهلال عنيت بالآداب والتاريخ والاجتماع، صدرت في القاهرة عام ١٨٩٢، ومجلة المقتبس ، عنيت بالآداب والشعر صدرت في القاهرة عام ١٩٠٥ ونقلت إلى دمشق عام ١٩٠٨، وصحيفة المقطم يومية سياسية تجارية ادبية، تأسست في القاهرة عام ١٨٨٩، وصحيفة المؤيد يومية سياسية تجارية، تأسست في القاهرة عام ١٨٨٩ . للمزيد ينظر: عدي محمد السبتي، المصدر السابق، ص ٥٢؛ اما الصادرة باللغة الفارسية والتي كان يترجمها الطلبة الفرس الاصلاحيون وبعض المثقفين الذين يجيدونها فهي: مجلة " حبل المتين"، اجتماعية سياسية صدرت في كلكتا عام ١٨٩٣ ، وصحيفة " قانون " اجتماعية وسياسية صدرت في لندن عام ١٨٩٠. ينظر: عدي محمد السبتي ، المصدر السابق، ص ٥٠.

(٢) محمد باقر البهادلي، الحياة الفكرية في النجف، ص ٨٧.

(٣) انشأ السلطان عبد الحميد الثاني شرطة سرية عرفت ب (شعبة الجاسوسية) ، وظيفتها التضييق على دعاة الاصلاح ومعارضى حكمه.

لتعارضها مع موروثها الفكري والاجتماعي؛ وهو ما يفسر خشية هذه النخب من الاجتماع في كثير من الاحيان بصورة علنية، واضطرارها - حسب هبة الدين الشهرستاني - لعقدها في سراديب البيوت في مرحلة ما قبل الثورة الدستورية واعادة العمل في الدستور العثماني عام ١٩٠٨^(١). حيث انتعش النشاط الاصلاحى بصورة لم تألفها النجف من قبل.

اسهمت هذه المتغيرات الفكرية في النجف ، في خلق مناخات مؤاتية للتغيير عند بعض اقطاب المؤسسة الدينية في النجف، اذ عززت من قناعتها في تبنيها " للنهج الفلسفي " ، وان كان هذا النهج ليس بغائب عن المناهج الدراسية في الحوزات العلمية، بوصفها قائمة على وفق المدرسة الاصولية الاجتهادية، والتي تعد العقل مصدراً من مصادر التشريع لكنه هنا اخضع النص الديني لتجلياته الحديثة التي تلامس واقعية المرحلة.

تبدو العلاقة الوثيقة بين الفلسفة والسياسة اكثر في مدى الارتكاز على العقل في تحديد النظام الافضل ، وضرورة وجود الرابطة السياسية، بعدها مدخلاً موضوعياً لتطوير الانسان وتنمية الفضائل بما يميزه عن المخلوقات الاخرى. هذه الرابطة تقوم على اساس رؤية فلسفية للكون والوجود والانسان^(٢)، لاسيما وان الحديث هنا عن وسط ديني فقهي، يحاول ان يؤطر رؤيته السياسية بمبادئ اخلاقية، تتسجم ومكانته السامية في نفوس اتباعه.

(١) ينظر : عدي المفرجي، النجف الاشراف ... ، ص ٧٣.

(٢) فؤاد إبراهيم، المصدر السابق، ص ٢٣٨.

والجدير بالذكر ان ابرز من تبني هذا النهج ، الميرزا محمد حسن الشيرازي ، الذي تأثر به في العديد من تلامذته ، وفي مقدمتهم الشيخ محمد كاظم الخراساني^(١)، والشيخ محمد حسين النائني، والميرزا حسين خليل، والميرزا محمد تقي الشيرازي^(٢)، ونجد صدى ذلك في مؤلفاتهم الفقهية^(٣)، فضلاً عن مواقفهم

(١) الشيخ محمد كاظم الخراساني الشهير بـ الآخوند (الاستاذ بالفارسية) ، فقيه اصولي، تقاسم المرجعية العليا مع السيد محمد كاظم اليزدي بعد وفاة استاذهما الشيرازي، ولد في خراسان (غرب فارس) عام ١٨٣٩ ، وفيها درس المقدمات، هاجر إلى النجف لاكمال دراسته الحوزوية وفيها اجازة الميرزا الشيرازي. يعد من ابرز المراجع الذين نادوا بالاصلاح حتى لقب بالمصلح، له مؤلفات فقهية عديدة ابرزها كفاية الاصول ، توفي في الكوفة عام ١٩١١ . ينظر: عبد الرحيم محمد علي، المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني، ط١، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٢ ، ص ٤٢-٤٥ ؛ عدي محمد كاظم السبتي، المصدر السابق ، ص ١٥-٤٥ ؛ محمد هادي الامين، المصدر السابق ، ج ٣، ص ٣٩-٤٠ .

(٢) الميرزا محمد تقي بن محب علي الشيرازي، فقيه اصولي والمرجع الاعلى للشيعة (١٩١٩-١٩٢٠) ولد في شيراز (شمال فارس) عام ١٨٤٠ ، هاجر إلى كربلاء لاكمال دراسته، وفيها لقب بـ(الحائري) نسبة إلى تسمية اخرى لكربلاء، انتقل إلى سامراء حيث اجازه الميرزا محمد حسن الشيرازي. وكان من المقربين منه واشد المتأثرين بأرائه، صاحب فتوى ثورة العشرين الشهيرة والتي نصت على الجهاد ضد الاحتلال البريطاني.. توفي عام ١٩٢٠. ينظر: علاء عباس نعمة ، محمد تقي الشيرازي الحائري ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني (١٩١٨-١٩٢٠)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية التربية، ٢٠٠٥ ، ص ١٨-٤١ ؛ كامل سلمان الجبوري، محمد تقي الشيرازي، ط١، مطبعة برهان، قم ، ٢٠٠٦، ص ١٣-٤٦ .

(٣) على سبيل المثال ينظر : التوجه الفلسفي في : محمد كاظم الخراساني، كفاية الاصول عن عبد الرحيم محمد علي ، المصدر السابق، ص ٨٠ .

الاصلاحية والسياسية - كما سيأتي - كذلك لاغرو ان ابرز ما افرزته مدرسة الميرزا الشيرازي في سامراء ^(١) ذات النزعة الفلسفية، تكوين مناخ ثقافي وفكري يهيء بذاته مجالاً لتخريج زعامات دينية اصلاحية.

كان الاختبار الحقيقي للتيار الاصلاحى في ترجمة افكاره ، حينما حدثت ازمة أمتياز التتباك (التبغ) . وخلاصتها ان الشاه ناصر الدين القاجاري منح عام ١٨٩٠ امتيازاً لشركة بريطانية تدعى " شركة الدخان الفارسية البريطانية الممتازة" ^(٢) لاحتكار تجارة التبغ في فارس مع الحق في تحديد اسعار شراء وبيع التبغ داخل فارس وخارجه، لمدة خمسين عاماً، نظير مبلغ خمسة عشر الف جنيه ونسبة سنوية

(١) تورّد بعض المصادر اسباب مختلفة لانشاء الشيرازي مدرسته الدينية في سامراء، ومنها :

- ١- الصراعات بين حملة السلاح في النجف.
- ٢- انتشار الاوبئة في النجف انذاك.
- ٣- عدم رغبته بالزعامة الدينية بعد وفاة الشيخ مرتضى الانصاري.
- ٤- رغبته بنشر التشيع بين سنة سامراء، لاسيما انه اقام مشاريع خيرية وقدم مساعدات مادية إلى بعض سكانها، الامر الذي اثار حفيظة رجال الدين السنة في بغداد، فارسلوا بدعم من السلطات العثمانية الشيخ سعيد النقشبندى لاقامة مدرسة دينية في محاولة لتهميش مدرسة الميرزا الشيرازي.
- ٥- الابتعاد عن القوى المحافظة داخل المؤسسة الدينية والحوارات العلمية بغية تأسيس مدرسة ذات توجهات اصلاحية تخرج مرجعيات دينية تتبنى الرؤيا نفسها.

ينظر: علي الوردي، لمحات اجتماعية ... ، ج ٣ ، ص ٦٠ ؛ عبد الرحيم محمد علي، المصدر السابق، ص ٢٦. ويرى الباحث ان السبب الاخير هو الاقرب إلى الصواب.

(٢) وتشتهر باسم تاليوت نسبة إلى ماجبور تاليوت مفوض الشركة للتفاوض مع الشاه.

من الأرباح؛ مما اضر بشدة مصالح تجار البازار الفارسي (المركز التجاري الرئيسي في فارس). وبعد أن اخفقت احتجاجاتهم في ثني الشاه عن قراره، انهالت رسائلهم ورسائل المتعاطفين معهم من المثقفين ورجال الدين الأصلاحيين، على المرجع الأعلى في العراق وعموم الشيعة الميرزا محمد حسن الشيرازي، فما كان منه الا ان وقف إلى جانب التجار، وبعد ان رفض الشاه وساطته بحجة ضخامة الشرط الجزائي المنصوص في الاتفاقية، اصدر الشيرازي فتواه الشهيرة بـ " فتوى تحريم التتباك " ونصها " بسم الله الرحمن الرحيم: استعمال التتباك والتتن حرام بأي نحو كان، ومن استعمله، كمن حارب الامام .^(١)، وقد سرت الفتوى في فارس كالنار في الهشيم ، فامتنع الاهالي عن التدخين واتلفت ادوات التدخين من اراكيل وغيرها، وشمل ذلك حاشية الشاه وزوجاته. ولخشيته من تطور المسألة إلى ابعد من ذلك، تخلى ناصر الدين عن الاتفاقية^(٢).

والجدير بالذكر ان البعض^(٣) بالغ بوصف ان تحرك الشيرازي كان بتأثير رسالة، ارسلها اليه جمال الدين الافغاني تحرضه ضد الشاه^(٤)، بالرغم من ان

(١) نقلاً عن : ذبيح الله المحلاتي، المآثر الكبراء في تاريخ سامراء، ج٢، مطبعة المرتضى ، النجف ، ١٩٤٨، ص ٦٩.

(٢) للمزيد عن الحادثة ينظر: آرون ابراهيميان ، ايران بين ثورتين، ترجمة مركز البحوث والمعلومات، بغداد، ١٩٨٣، ص ١١ - ٢٥.

(٣) ينظر: رسول محمد رسول، فقهاء وائمة : جذور العمل الإسلامي في العراق الحديث، ط١، الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٣٨؛ فؤاد إبراهيم، المصدر السابق، ص ٢٠٢.

(٤) ينظر نص الرسالة ، العقيقي البخشايشي، كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٢٣-٢٦.

الرسالة كانت جزءاً من السياق التاريخي للحادثة، ويؤكد ذلك رفض الشيرازي استقبال الافغاني عند قدومه لرؤيته في سامراء عام ١٨٩٠ (١).

اشترت حادثة التتباك بداية ما يمكن تعريفه بـ " تسييس الفتوى " التي شكلت العنصر الأساسي لأي تحرك سياسي لاحق في المؤسسة الدينية، ولانبالغ اذا ما قلنا انها كانت بداية تدخل المؤسسة الدينية المؤثر في الشأن السياسي في العصر الحديث ، كذلك لانذهب بعيداً بقولنا، ان الحركة الدستورية في فارس عام ١٩٠٥ قد ولدت من رحم هذه الحادثة.

اشر هذا الحراك الفكري - ان جاز التعبير - في التيار الاصلاحى، إلى خروجه عن المتوارث الذي لايؤمن بحق المجتمع في تحديد الحاكم وشكل الحكم - وهو ما يمكن وصفه بوصاية الفقيه على المجتمع الى عد المجتمع احد مصادر لشرعية النظام السياسي.

والواقع ان هذه المفاهيم كان من المفترض ان تكون اساساً أصيلاً في الفقه السياسي للشيعية الإمامية، منذ أن ابعدت السياسة عن علم الكلام ونوقشت كشأن فقهي على وفق معادلة الفصل بين النظام الاسمى (الامامة) والنظام الزمني (السلطة) في مرحلة ما بعد الغيبة الكبرى ذلك ان للأمام علي ابان خلافته (٣٦هـ - ٤١هـ) العديد من الخطب المحفوظة في كتاب نهج البلاغة الشهير تحض على ذلك من قبيل قوله " ولعمري لئن كانت الامامة [الخلافة او الحكم] لاتعقد حتى يحضرها الناس ... " (٢) ، و " فأن اجتمعوا على رجل وسموه اماماً كان ذلك لله رضى فان خرج عن أمرهم خارج بطعن او بدعة ردوه إلى ما خرج ، فأن ابى فقاتلوه على

(١) من المرجح ان اراء الافغاني بشأن الجامعة الإسلامية، كانت سبباً في رفض الشيرازي مقابلته، اذ استقبل الفقهاء الشيعة تلك الدعوة بالفتور، نظراً للعلاقة غير الطيبة بينهم وبين الدولة العثمانية وخشيتهم من ان يزيد ذلك من عزلتهم وتهميشهم داخل الدولة العثمانية.

(٢) نقلاً عن : محمد عبده ، نهج البلاغة، ص ١٦٤.

اتباعه غير سبيل المؤمنين " (١) وقوله لأهل الكوفة بشأن رغبتهم بتنصيب نجله الحسن خليفة من بعده " لا امركم ولا انهاكم ... " (٢).

لكن يبدو أن انشغال فقهاء الشيعة بعلوم الفقه واصول الفقه والشرعيات قد ابعدهم عن فهم معاني عديدة لها دلالاتها العميقة في نهج البلاغة، والتي من المفترض ان تلقى اهتماماً اكبر لكون صاحبها أول الائمة الاثني عشر وقد مارس الحكم بنفسه.

٢- موقف التيار الاصلاحى من احداث المشروطة والمستبدة في النجف واثرها في اعلانه عن فكره الاصلاحى ((طبيعة افكاره)):

وجد التيار الاصلاحى في المشروطة الفارسية (الدستورية بالفارسية)، فرصته للأعلان بقوة عن افكاره. وبقدر تعلق الأمر بموقفه منها وتأثيره باحداثها، لاسيما ان الحديث عن المشروطة الفارسية يجب ان لا يخرج عن هذا الإطار ، للخروج بمضامين ما وصل اليه الفكر السياسى في هذه المؤسسة.

وفر الحراك الفكرى الذى شهدته فارس - كما سبق - فضلاً عن سوء الاوضاع العامة لاسيما الاقتصادية (٣)، مناخاً مناسباً لأحداث تغييرات مهمة في هذا البلد . وكان من الطبيعى ان يتولى تحالف مكون من تجار البازار والمتقنين ورجال الدين ذوي التوجه الاصلاحى بأسم الحزب الشعبى الدستورى وجموع المحتجين في انحاء مختلفة من فارس ، مطالبين بأقامة حياة دستورية متمثلة بدستور

(١) نقلاً عن : المصدر نفسه، ص ١٦٤.

(٢) نقلاً عن : ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ط٢، ج٧، بيروت، ١٩٦٠، ص ٢٢٠.

(٣) صور تقرير ارسله دبلوماسى بريطانى إلى مراجعة هذه الاوضاع وجاء في قسم منها " يمكن شراء أي من الوزراء او الموظفين الكبار بالدولة ببضعة تومانات دون مبالغة ...

" نقلاً عن: امجد اسعد شلال، المصدر السابق، ص ٩١.

ومجلس برلماني^(١). وتبنت الحركة الدستورية اسلوبين لتحقيق ذلك وهما الالتجاء (البه ست)^(٢)، ونيل دعم المؤسسة الدينية في النجف وقد أتيا اكلهما، اذ ازداد حجم التأييد الشعبي المناصر للملتجئين في السفارة البريطانية بفعل الفتاوى المؤيدة لمطالب الحركة بوصفها شرعية لاتتعارض وتعاليم الإسلام، رداً على الاستفتاءات المرسلة إلى النجف، وبينت رغبة اصحابها في معرفة حكم الشرع بشأن مطالبهم^(٣). والجدير بالذكر ان النجف لم تكن بعيدة عن ما يجري في فارس في هذه المرحلة وتعكس ذلك الرسائل التي ارسلها قسم من الفقهاء الاصلاحيين إلى الحكومة الفارسية في اوائل عام ١٩٠٢ ، حثوها فيها على اجراء اصلاحات ، لأجل التخفيف من

(١) تم الاعلان عن هذا الحزب في بداية الاحتجاجات . ينظر: خضير مظلوم فرحان البديري، الموقف البريطاني من الثورة الدستورية في ايران (١٩٠٥-١٩١١)، ط ١، مكتبة ابن رشد، واسط، ٢٠٠٥ ، ص ١٨.

(٢) (البه ست) : عرف اجتماعي معروف في فارس ، يحتمي من خلاله المتهم او المطلوب للعدالة ، او الثأر العشائري ، في الاماكن الدينية المقدسة ، او السفارات لكي يكون بعيداً عن الملاحقة، بعدها اماكن ذات حرمة وحصانة. ويذكر ان الاحتجاجات - عمت طهران وانتقلت إلى المدن الاخرى، بسبب قيام السلطات بمعاقبة بعض تجار البازار بصورة مهينة (الفلقة) لعدم تقيدهم باسعار السكر التي حددتها، نظراً لارتفاع اسعارها في اعقاب تأثر الاقتصاد فارسي باحداث الحرب اليابانية - الروسية (١٩٠٤- ١٩٠٥) ، لارتباط الفارسي بالاقتصاد الروسي، فضلاً عن ان انتصار اليابان فيها وهي دولة اسيوية قد فسر داخل فارس والدول المجاورة لها ، بانتهاج اليابان " للنظام الدستوري " . وقد التجأ المحتجون في جامع الشاه عبد العظيم في طهران، ثم انتقلوا في تموز ١٩٠٦ إلى السفارة البريطانية بتشجيع من الاخيرة التي كانت ترى في العلاقات الوطيدة بين فارس وروسيا القيصرية خطراً على مصالحها . للمزيد ينظر: خضير مظلوم، المصدر السابق، ص ١١؛ امجد اسعد شلال، المصدر السابق، ص ٩٥.

(٣) عنها ينظر: عبد الرحيم محمد علي، المصدر السابق ، ص ٨٢-٨٣.

معاناة المواطنين الذين اوصلوا صوتهم إلى المرجعيات الدينية عن طريق وكلائها في المدن الفارسية والزوار الفرس القادمين إلى مدن العتبات المقدسة^(١).
قسمت الاستفتاءات الفارسية المؤسسة الدينية ومن خلفها المجتمع النجفي الى جماعتين:

الاولى: اصلاحية ، مؤيدة للحركة الدستورية في فارس، وتزعمها الشيخ محمد كاظم الخراساني وضمت مجموعة من رجال الدين ، منهم الميرزا حسين الخليلي والشيخ محمد حسين النائني والشيخ فتح الله شيخ الشريعة الاصفهاني^(٢) والسيد هبة الدين الشهرستاني وغيرهم^(٣)، ونالت تأييد معظم متقفي النجف من دعاة الاصلاح، ولم يكتف هؤلاء بالاجابة عن هذه الاستفتاءات بل شكلوا لجنة سميت بـ(هيئة المجتهدين) برئاسة الشيخ الخراساني، اتخذت من بيته مقراً لها ثم انتقلت إلى المدرسة العلوية^(٤). وكانت مهمتها مراقبة تطورات

(١) عبد الكريم آل نجف، الشيخ محمد حسين النائني : دراسة في حياته العلمية والسياسة، من كتاب الدين والسياسة، ص ٢٣٤.

(٢) الشيخ فتح الله بن الميرزا محمد جواد الاصفهاني الشهير بـ(شيخ الشريعة الاصفهاني)، فقيه اصولي والمرجع الاعلى للشيعة في العراق بين المدة (١٩٢٠-١٩٢١)، ولد في اصفهان عام ١٨٤٩م وفيها تلقى المقدمات، هاجر إلى العراق وانتقل بين مدنه الكاظمية وكرلاء حتى استقر في النجف واكمل دراسته فيها. اجازه الشيخ محمد كاظم الخراساني، تميز في القائه لدرسه ، الذي كان يحضره جمع من المصلحين، قاد ثورة العشرين بعد وفاة الميرزا محمد تقي الشيرازي، توفي في النجف عام ١٩٢١م . ينظر: كامل سلمان الجبوري، شيخ الشريعة: قيادته في الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ ووثائقه السياسية ، ط١، دار القارئ، بيروت، ص ٢١-٥٢.

(٣) علي الخاقاني، شعراء الغري، ج ١٠، المطبعة الحيدرية ،النجف ، ١٩٥٦ ، ص ٨٨.

(٤) هي المدرسة التي أسسها الميرزا حسين الخليلي في العام ١٩٠٨، لغرض الدراسة امجد اسعد شلال ، المصدر السابق، ص ٩٩.

المشروطة وتقديم كل ما يمكن ان تساعدنا، وعرفت هذه الجماعة بـ(المشروطة).

والثاني: محافظة غير مؤيدة وتزعّمها السيد محمد كاظم اليزدي^(١) الذي حرّفتوى مناهضة للمشروطة مما جاء فيها " ان مصلحة الدولة يجب ان تكون بيد شخص مسؤول عنها لا يشاركه مشارك ويحتج برأيه " وقد ساندته بعض علماء الدين ومن ابرزهم الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء^(٢)، وايدتها الغالبية الساحقة من الزعامات المحلية وعامة النجف ، فضلاً عن العشائر

(١) السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، فقيه اصولي، والمرجع الاعلى للشيعة الامامية بين المدة (١٩١١-١٩١٩)، ولد في مدينة يزد (وسط فارس) عام ١٨٣١، ومنها هاجر إلى النجف لاكمال دراسته الدينية وتتلّمذ على يد كبار الفقهاء وفي مقدمتهم الميرزا محمد حسن الشيرازي قبل انتقاله إلى سامراء عام ١٨٧٦. عدت رسالته العلمية المعروفة بـ " العروة الوثقى " موسوعة فقهية لازالت تدرس إلى يومنا هذا، عرف بنهجه المحافظ ولم يغيره حتى وفاته في العام ١٩١٩. ينظر: كامل سلمان الجبوري، السيد محمد كاظم الخراساني: سيرته واهـواءه على مرجعيته ومواقفه ووثائقه السياسية ، ط١، مطبعة ذوي القربى، قم، ٢٠٠٦ ، ص ١٧-٢١.

(٢) الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، فقيه اصولي واحد كبار مراجع التقليد في عصره، ولد في النجف عام ١٨٧٦ في عائلة دينية معروفة، اذ يرجع نسبه إلى الشيخ جعفر كاشف الغطاء، تتلمذ على يد كبار الفقهاء امثال محمد كاظم الخراساني والسيد محمد كاظم اليزدي، يعد من كبار الفقهاء الذين نادوا بالاصلاح الاجتماعي والسياسي حتى لقب بالمصلح والمجدد ، تقلد المرجعية عام ١٩٢٧ . عرف بكثرة التأليف في شتى العلوم مثل الفقه والاصلاح الاجتماعي والتاريخ والسياسة، توفي في بغداد عام ١٩٥٤ ودفن في النجف. ينظر: حيدر نزار عطية السيد سلمان، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، ط١، معهد المعلمين للدراسات العليا، النجف، ٢٠٠٧، ص ٢٩، ٧٩.

المحيطة بالنجف ^(١)؛ نظراً لمرجعية اليزدي الطاغية انذاك ^(٢)، وخشية تلك الزعامات من الاصلاح وعدم تقبل العامة للافكار الحديثة التي لها - كما يرى رشيد خيون - متطلباتها الثقافية والحضارية، اما المحافظة على السائد فلا تتطلب سوى تقوية العامل الديني ^(٣) . وعرفت هذه الجماعة من قبل المشروطة باسم (المستبدة)، برفضها النظام الدستوري

ويثار تساؤل : ما السبب الحقيقي لسلبية موقف اليزدي من المشروطة، لدرجة انه نشط في معارضتها لها؟ ان الخلفية الفكرية له التي في ضوءها بنى موقفه منها، قد تجيبنا على ذلك ، فهو من متبني ولآية الفقيه الخاصة ^(٤) القائمة على أساس استبعاد الشأن السياسي من صلاحيات الفقيه، الا بحدود ضيقة، لاسيما ما يتوافق وضرورات تطبيق مبدأ " الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " ، الذي يدخل عند

(١) حسن الأسدي، ثورة النجف على الانكليز او الشرارة الاولى لثورة العشرين، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٥، ص ٦٨؛ محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، معلومات ومشاهدات ، مطبعة التضامن، النجف، ١٩٧١، ص ١.

(٢) ازدادت شعبية اليزدي في اوساط العامة وكثر مقلديه بعد ان فضل ان يكمل رسالته العلمية (العروة الوثقى) على حضور تشييع جنازة استاذة محمد حسن الشيرازي؛ اما في الاوساط الفقيه - وكما سبق - عُدت العروة الوثقى موسوعة فقهية؛ تميزت باستيعابها لمسائل الفقه الفرعية وبتنظيم ابوابه ومسائله بشكل يسهل الرجوع اليه ؛ مما زاد في مكانته العلمية وكثر عدد طلابه. ينظر: فؤاد إبراهيم ، المصدر السابق، ص ٢١٧؛ جودت القزويني، المرجعية العليا، ص ٢٤٤. حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر ، ط ١، ج ٢ ، دار المنتدى، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٢٩-١٣٣.

(٣) رشيد خيون، الفقه الشيعي والدستور (النائني نموذجاً) ، ط ١، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد ، ٢٠٠٦، ص ٦.

(٤) عن آرائه الفكرية. ينظر : كامل سلمان الجبوري، السيد محمد كاظم اليزدي، ص ٩٩-١٣٤.

الفقهاء ضمن ما يعرف بالفقه السياسي او الاحكام السلطانية، لان الفقيه قد يضطر لأقامة الحدود وبدورها تحتاج لسلطة؛ وهو ما يعكس تردد الكثير من الفقهاء في ادراجها ضمن صلاحيات الفقيه، الا في حالة وجود خطر مؤكد يهدد مصالح المجتمع العليا، مثل الغزوات الخارجية ، ومحاولة مسخ شخصيته الإسلامية، بمعنى ان اليزدي وجد في مبدأ المشروطة نفسه تهديداً للتقاليد الدينية وتفريطاً بسيطرتها على المجتمع؛ مما يؤشر ترسخ فكرة الوصاية في ذهنيته، وبالتالي استبعاده لفكرة الدولة الدستورية؛ وهو ما نلمسه في احدى فقرات رسالته إلى احد رجال الدين في بلاد فارس، حيث جاء فيها : " لقد تمكن القلق من تجرؤ المبتدعين، واشاعة كفر الملحدين ، نتيجة الحرية الزائفة، وسوف لن يتمكنوا من تنفيذ مآربهم بعون الله، وبالطبع كان الوقوف بوجه الكفر وصيانة العقيدة وتطبيق القوانين القرآنية القويمة ... يعتبر من اهم فرائض العلماء الريانيين..."^(١).

احدثت فتاوى النجف اثرها المتوقع اذ شدت من عضد الحركة الدستورية، وزادت في الوقت نفسه موقف الشاه مظفر الدين القاجاري [١٨٥٣-١٩٠٧) - (١٨٩٦-١٩٠٧)]^(٢) صعوبة، والذي على الأرجح خشية من تكرار تجربة فتوى " تحريم التتباك " التي عاشها والده؛ فأعلن عن قبوله للنظام الدستوري، بأصداره عدة قرارات بهذا الصدد أهمها: فرمان (مرسوم) باسم (فرمان مشروطيت) اصدره في الخامس عشر من آب ١٩٠٧، قرر فيه تأسيس مجلس برلماني بأسم (مجلس الشورى الوطني) ، وحدد الثاني عشر من ايلول موعداً لاجراء انتخابات لاختيار اعضائه^(٣). وتقع على عاتقه مسؤولية صياغة وقرار دستور للبلاد ؛ وفي السابع

(١) مذكرات محمد الحسين آل كاشف الغطاء نقلاً عن : كامل سلمان الجبوري ، السيد

محمد كاظم اليزدي ، ص ٦٩٩ .

(٢) يشير التاريخ الاول الى حياته والتاريخ الثاني الى فترة حكمه .

(٣) آرون ابراهيميان ،المصدر السابق ، ص ١١٦-١١٧.

عشر من تشرين الأول من العام نفسه، افتتح المجلس أولى جلساته بحضور الشاه، الذي مات بعد اقل من شهرين (١).

صادق مجلس الشورى على الدستور والذي نسجت بنوده على منوال الدستور البلجيكي الصادر عام ١٨٣٠ ، مع إجراء بعض التعديلات على المواد المخالفة للشريعة الإسلامية (٢). ويبدو ان الدستور الذي أكد مبدأ الفصل بين السلطات، وبعض قرارات المجلس التي منعت الحكومة من الاستدانة من الدول الاجنبية، قد اثارت حفيظة الشاه محمد علي (١٨٤٠-١٩٢٦ / ١٩٠٧ - ١٩٠٩) (٣) الذي خلف والده مظفر الدين، وبدأ يخطط لانهاء النظام الدستوري، على الرغم من ترحيبه المعلن " بالوصايا العشرة " التي ارسلها له الشيخ محمد كاظم الخراساني بأسم هيئة المجتهدين، والتي اختزلت النظرة التحديثية لهذا التيار؛ والذي حثه فيها على ضرورة تنمية شعبه ثقافياً واقتصادياً، من خلال نشر التعليم، وحماية وتشجيع الصناعة الوطنية، بغية تحقيق الرفاهية وضمان السيادة الوطنية من التدخلات الأجنبية؛ وأكدت احترام حقوق الإنسان بأشاعة قيم العدالة والمساواة بين افراد الشعب بمختلف طبقاتهم (٤).

(١) رشيد خيون، الفقه الشيعي والدستور ... ، ص ٦.

(٢) في هذا الصدد اقر " مجلس الشورى الوطني " قانوناً نص على ان يرشح الفقهاء من بينهم عشرين فقيهاً إلى المجلس، لكي يختار بدوره منهم خمسة، يدخلون إلى المجلس بصفة مستشارين يقدمون النصيحة له بمدى انسجام قراراته مع الشريعة الإسلامية. ينظر: أحمد عبد الهادي السعدون، المصدر السابق، ص ٩٨-٩٩.

(٣) يشير التاريخ الاول الى حياته و الثاني الى مدة حكمه .

(٤) عن نصها . ينظر: عبد الرحيم محمد علي، المصدر السابق، ص ٧٥-٧٧ ؛ عدي محمد كاظم السبتي، المصدر السابق، ص ٢١٢.

ولاغرو ان نجد الشيخ الخراساني يقوم بأرسال المعلمين على نفقته الخاصة إلى القرى النائية لتعليم ابنائها ^(١)، وان يخصص قاعة في مدرسته الدينية، لعدد من متقفي النجف ذوي النهج الاصلاحى ليناقشوا بحرية تامة ما يجول بخاطرهم من قضايا ^(٢)؛ مما يدل على تجذر الفكر الاصلاحى عند هذا الشيخ وجماعته.

دفعت الضغوط التي مارسها الشاه ضد مجلس الشورى ووصلت درجة التكتيل ببعض اعضائه ، والتشكيك بشرعية المجلس وقراراته، بذريعة تعارضها والشرعية الإسلامية لكون اغلب اعضائه ذي ميول علمانية، تمهيداً لانهاء دوره ، مما دفع اعضاء المجلس إلى الطلب من هيئة المجتهدين بيان موقفها من شرعية قوانين المجلس، فاصدرت الهيئة فتوى ابرز ما جاء فيها : " هذا ما قرره المجتهدون الاعلام، بسمه تعالى وبه نستعين ... : ان قوانين المجلس المذكور على الشكل الذي ذكرتموه هي قوانين مقدسة ومحترمة، وهي فرض على جميع المسلمين ان يقبلوا هذه القوانين وينفذوها. وعليه نكرر قولنا: ان الاقدام على مقاومة المجلس العالي بمنزلة الاقدام على مقاومة احكام الدين الحنيف فواجب المسلمين ان يقفوا دون أي حركة ضد المجلس " ^(٣).

(١) طلال مجذوب، المصدر السابق، ص ٤٤.

(٢) عدي حاتم المفرجي، النجف الاشرف ... ، ص ٤٧.

(٣) نقلاً عن : عبد الرحيم محمد علي، المصدر السابق، ص ٨٤ ؛ علاء حسين الرهيمي،

حقائق عن الموقف في النجف من الثورة الدستورية الفارسية ١٩٠٥-١٩١١، السدير

((مجلة)) ، النجف، ٢٠٠٣ ، عدد ١ ، ص ٣١٨.

بيد ان هذه الفتوى لم تثن الشاه محمد علي على تنفيذ ما مهد له، فقام في الثالث والعشرين من حزيران ١٩٠٨، بإعلان حالة الطوارئ وفرض الاحكام العرفية ثم تعليق العمل بالدستور وحل مجلس الشورى (١).

وفي ظل تطور الاحداث في فارس، وتصعيد المحافظين من حدة انتقاداتهم، عاش الاصلاحيون في النجف اوقاتاً عصيبة، اضطرتهم إلى عقد اجتماعاتهم في سراديب النجف لخشيتهم من انصار المحافظين الذين بدأوا يمارسون الايذاء الجسدي ضدهم - وزاد الامر سوءاً - اعلانات الصقها مجهولون على الجدران تصور اليزدي وقد وجهت يد نحوه مسدساً، فعدّها مؤيدوه تهديداً له ليتراجع عن موقفه، واشيع بين العامة ان ابن رسول الله في خطر (٢)، مما زاد من غلواء المشاعر المضادة للاصلاحيين، والتي دفعت نسبة قليلة من المصلين لاي تجاوزون الثلاثين للصلاة خلف الشيخ الخراساني بينما كان السيد اليزدي يئم الآلاف (٣).

وخيرُ وصف لحالة النجف انذاك ما كتبه هبة الدين الشهرستاني ونصه " وفي خلال عام ١٣٢٥هـ [١٩٠٨] بدأ النزاع على اشده بين جماعة شيخنا الخراساني والسيد اليزدي وقويت الخصومة التي بلغت منتهى الوحشية من ايذاء العوام لآخواننا وهيئتنا، بتسميم فكرة العوام من اننا نريد الحرية التي هي ضد الدين، وكثيراً ما كانوا

(١) ينظر: صباح كريم رياح الفتلاوي، ايران في عهد محمد علي شاه (١٩٠٧-١٩٠٩)، دراسة تاريخية للتطورات السياسية الداخلية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الاداب - جامعة الكوفة، ٢٠٠٣، ص ١٠٢ ؛ مهدي ملكزاه، تاريخ انقلاب مشروطيت فارس، تهران، ١٣٣٠ هـ ش ، ص ٨٩.

(٢) كامل سلمان الجبوري، السيد محمد كاظم اليزدي، ص ٦٩٩.

(٣) سليم الحسيني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ط ١، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم، ٢٠٠٤، ص ٢٥.

يضرِبونهم على رؤوسهم ... " (١) ، والواقع ان الاصلاحيين بذلوا جهداً لفهام العامة ان الشريعة الإسلامية لم تنص على الدستور، الا انها لا تتعارض ومبادئها . لكن الاصلاحيون تنفسوا الصعداء في اعقاب قيام الاتحاديين بثورتهم الدستورية عام ١٩٠٨ ، واجبارهم السلطان عبد الحميد الثاني في الثالث والعشرين من تموز من العام نفسه، على إعادة العمل بدستور ١٨٧٦، إذ أيدّها الاصلاحيون سواء في المؤسسة الدينية ام مثقفي النجف على اختلاف ميولهم وشرائحهم، بعدها تُجسد لما نادوا به، وكذلك أمل في رفع الحيف الذي عاشه الشيعة العراقيون من سياسات التهميش الممارسة ضدهم طوال قرون، لاسيما ان شعار الاتحاديين كان (الحرية/ العدالة/ المساواة).

وبطلب من " انجمن سعادة " (٢) أي لجنة السعادة افتت " هيئة المجتهدين " دعماً للاتحاديين، بوجوب تنفيذ الدستور، وحذرت من الاقدام على مقاومته، لان ذلك - كما وصفته - بمنزلة الاقدام على مقاومة الدين (٣). ونال مثقفو النجف شأنهم شأن معظم رعايا الدولة العثمانية نصيباً من الحرية، فكانت اجتماعاتهم وتظاهراتهم المؤيدة للدستور تقام في الصحن العلوي والجوامع والمدارس والاماكن العامة الأخرى، على نحو علني(٤)؛ ويذكر محمد الحسين آل كاشف الغطاء في مذكراته ان قائداً عسكرياً عثمانياً وبتقويض من الاتحاديين شهر مسدسه نحو اليزدي وحذره من مغبة

(١) مذكرات السيد هبة الدين الشهرستاني، نقلاً عن : كامل سلمان الجبوري، السيد محمد

كاظم اليزدي ، ص ٧٢٠.

(٢) وهي لجنة اسست في اسطنبول بعد قيام الحركة الدستورية الفارسية من قبل المرجعيات اللدينية في النجف لدعم موقف الحركة الدستورية في البلاط العثماني.

(٣) ناهدة ويسن، المصدر السابق، ص ٤٤.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٤.

استمراره في منهجه وهدده بالنفي إلى خارج العراق^(١)، في مؤشر إلى بداية انكفاء المحافظين.

مكنت هذه المستجدات ، الاصلاحيون من التفرغ التام لمعالجة الوضع الخطير الذي تعانيه الحركة الدستورية في فارس والشبهات التي اثيرت بشأن النظام الدستوري، وتم لهم ذلك بعد تبنيهم لاسلوبين هما: المباشر: وهوما نسميه بـ(الفتوى الشرعية) أذ حرر الخراساني فتوى تحت الاهالي على الثورة ضد الشاه ونصت " ... اني اعلن حكم الله لجميع الشعب الفارسي ان مسؤولية دفع هذا السفاك الجبار [الشاه محمد علي] والدفاع عن نفوس واعراض واموال المسلمين، تعد اليوم من اهم الواجبات " (٢).

اشرت الفتوى تحولاً في الفكر السياسي للمؤسسة الدينية في النجف، يرتقي بشرعية السلطة لمديات واقعية، تتخطى التحفظات الفقهية التي أثرت بشأن مسألة الخروج عى السلطان^(٣)، بأبحاثها الاخذ بسبل العنف (الثورة) كأداة للتغيير السياسي؛ بعبارة أخرى ادخلت المجتمع فعلياً في معادلة شرعية السلطة القائمة.

(١) مذكرات الشيخ محمد الحسين ، نقلاً عن : كامل الجبوري، السيد محمد كاظم اليزدي...، ص ٦٦٩.

(٢) نقلاً عن : حسن الاسدي، ثورة النجف ... ، ص ٧٢.

(٣) في اعقاب مقتل الأمام الحسين بن علي (ع)(الامام الثالث من ائمة آل البيت) عام ٦٨٠م في واقعة الطف بكربلاء، على اثر ثورة ضد السلطة الاموية، لم يحبذ أئمة آل البيت وفقهاء الشيعة الثورة ضد السلطات، وقد زحرت المؤلفات الفقهية لفقهاء عصر الغيبة الكبرى، بالعديد من الروايات التي تؤكد فضائل الصبر وتحمل اضطهاد السلطات الزمنية؛ ومع اننا لانشاطر كولن تيرنر الرأي في تفسيره القاضي بأن ذلك نابع من رغبة المرجعيات الدينية ، في ترسيخ سطوتها على الشيعة، من خلال ابقاءهم في دائرة الوعي الانتظاري الجامد، وهو امر تناقضه نظريات السلطة التي تبنتها هذه المرجعيات على مدى الزمن، الا انه لايمكن تجاهل حقيقة ان للانتظار اثاره السلبية على الوضع

اما الثاني : الغير مباشر ويمكن تسميته بـ " التنظير الفقهي للنظام الدستوري " وانبرى له الشيخ محمد حسين النائني في كتابه الموسوم " تنبيه الامة وتنزيه الملة " ، والمعروف بـ (رسالة النائني) ، وقد حظي بتعظيم هيئة المجتهدين وعلى رأسها الشيخ محمد كاظم الخراساني^(١). ويعد الكتاب وثيقة مهمة عن النظرية السياسية الحديثة للتيار الاصلاحى في المؤسسة الدينية في النجف ، تلك النظرية التي تسعى إلى تحقيق الوفاق بين استمرار وعي اختفاء الامام المهدي المنتظر أي الايمان بحجة ظهور عن الانتظار واستحالة شغل شرعيته، وبين الحاجة الماسة لشكل من اشكال الحكم لايسيء كثيراً إلى املاءات المذهب الأمامي. وذلك عن طريق الممازجة بين العقيدة والواقع.

وبالرغم من اصالة الفكرة، الا انها عند النائني اتخذت شكلاً مختلفاً، فهي من جهة بنت اساسها الفكري على وفق البنيان الفقهي للمرحلة التاريخية والمتمثل بالفتاوى التي اصدرها التيار الاصلاحى، ومن جهة اخرى رتبت استدلالاتها بطريقة المقاربة مع الفكر السياسي الحديث ، متأثراً على ما يبدو بالمصلحين العرب والمسلمين لاسيما الشيخ عبد الرحمن الكواكبي^(٢) وتحديداً كتابه طبائع الاستبداد.

السياسي للشيعة، وصعب من اندماجهم مع نظرائهم السنة. ينظر: كولن تيرنر، التشيع والتحول في العصر الصفوي، ترجمة: حسين علي عبد الستار ، ط١، منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٨، ص ٣٧١-٣٧٣.

(٣) عدي محمد كاظم السبتي ، المصدر السابق ، ص ١٥٩.

(٢) عبد الرحمن الكواكبي كاتب واديب ومصلح ولد في حلب عم ١٨٤٩ ، وانشأ فيها صحيفة الشهاب التي اقلتها الحكومة لتوجهاتها الاصلاحية، ثم اصدر صحيفة الاعتدال فعطلت ايضاً ، هاجر إلى مصر في العام ١٨٩٨ واشترك في تحرير صحيفة " المؤيد". قام برحلات عديدة إلى بلدان عربية وافريقية، اشهر مؤلفاته " ام القرى " وطبائع الاستبداد ومصارع الاستعمار " الذي جسّد تأثره الكبير بكتاب " الاستبداد " للثوري الايطالي فتوريو فيري (١٧٤٩-١٨٠٣) والذي اصدره في عام ١٧٧٧، توفي

ولاغرو أن ينال كتاب النائب، اهتمام عدد غير قليل من المهتمين بالفكر السياسي الشيعي، إلى درجة عدّ صاحبه مؤسس الفكر السياسي الشيعي الحديث^(١). وبغية فهم الكتاب بشكل واف ارتأينا التعرض لأهم المرتكزات التي احتواها وهي على النحو الآتي:

أولاً: شرعية النظام الدستوري : ويستمد شرعيته من رضا الشعب وتأييد الفقهاء، وذلك على وفق معادلة يمكن ايجازها على النحو الآتي:

ان السلطة نوعان شرعية وغاصبة، الأولى يمثلها الامام بينما الاخرى السلطات الزمنية، وبما ان غياب الامام قد عطل الاولى، فأن الخيار أمام الامة هو أنموذجان هما: السلطة المستبدة والسلطة الدستورية^(٢). والمستبدة حسب رأيه " ... صاحب السلطة يتصرف او يتعامل مع مملكته كما يتعامل المالكون مع اموالهم الشخصية... فهم كالاغنام والعبيد والاماء لم يخلقوا الاله، فيقرب من كان وافياً بهذا الغرض .. " ^(٣) ، ويصف الامة الخاضعة لمثل هذا النظام بـ " امة مسخرة في خدمة مصلح السلطان ولم يكن حظها

في القاهرة عام ١٩٠٢. ينظر: خير الدين الزركلي، الاعلام، ط٤، ج٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٩٨؛ محمد عمارة، عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام، دار المستقبل العربي، بيروت، ١٩٨٤.

(١) ينظر : رشيد الخيون، الفقه الشيعي والدستور (النائني نموذجاً) ، ط١، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠٠٦، ص ٥٠-٨٠؛ أحمد عبد الهادي، المصدر السابق، ص ١٠٢-١١٦؛ فؤاد إبراهيم، المصدر السابق، ص ٢٢٥-٢٣٢؛ محمد أحمد صالح ابو الطيب، اشكالية الاستبداد السياسي في رسالة النائب، ط١، مطبعة الرفاه، بغداد، ٢٠٠٥، ص ١٠-٩٠.

(٢) ينظر: المحقق النائني المصدر السابق، ص ١٠١-١٠٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٢.

من حياتها الا كحظ النباتات التي خلقت لغيرها لا لنفسها " (١). اما الدستورية فيصفها قائلاً : " ان لا تقوم السلطة على الملكية ولا القاهرية ... بما يشاء ولا الحاكمية بما يريد، وانما على اساس إقامة تلك الوظائف والمصالح الشرعية المطلوبة من السلطة، وان تكون امتيازات الحاكم محدودة بحدود هذه الوظائف " (٢). وتتمثل ب :

١- ايجاد دستور واف، يحدد صلاحيات السلطان السلطة التنفيذية وحقوق الشعب (٣).

٢- اقامة مجلس نيابي ، منتخب من الشعب، وظيفته محاسبة ومراقبة السلطان لمنعه من التحول إلى الاستبداد، وإن يكون المجلس مسؤولاً امام الشعب. ويضيف قائلاً: " اذ لم يقيد الحاكم الظالم بأي حال بدستور او مجلس ... يغتصب امرين، حق الامام الغائب وحق الناس " (٤).

ولاجل اضاءة الشرعية على اطروحاته ادعى النائب ان الامام المهدي قد ايدها (٥). وهذا يعني ان النائب دعا في كتابه إلى الخروج من معادلة

(١) المصدر نفسه ، ص ١٠٣.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٥-١٠٦.

(٤) المحقق النائب، المصدر السابق ، ص ١٠٦.

(٥) اذ يذكر في كتابه ان الميرزا حسين الخليلي المتوفى سنة ١٩٠٨ قد زاره في منامه ودار بينهما حديث بشأن المشروطة، وان النائب قد سألته عن رأي الامام المهدي بها فأجابه الخليلي ان الامام قال بشأنها : " ان مثل المشروطة مثل تلك الامة السوداء التي تلونت يدها فأجبروها على مسحها " ؛ بمعنى ان الدستورية اسم جديد لمطلب قديم. ينظر: المصدر نفسه، ص ١٣٦.

"السلطة العادلة " التي تتمثل بسلطة شيعية او تلك التي لديها علاقات طيبة مع فقهاء الشيعة ، إلى فضاء اوسع وهو الشرعية الشعبية.

ثانياً: ولاية الفقيه الوسطى : وهي ولاية تتوسط بين ولاية الفقيه العامة التي تتيح للفقيه ممارسة السلطة بنفسه وبين ولاية الفقيه الخاصة التي لاتحذف تدخل الفقيه في الشأن السياسي الا ضمن حدود ضيفه - كما سبق - وتتجسد عند النائب في الدعوة إلى تشكيل هيئة بأسم " الاشراف والتسيد " تتكون من الفقهاء او من ينوب عنهم داخل المجلس الدستوري، وظيفتها الزام اعضائه بالقيام بالوظائف المطلوبة والحيلولة دون وقوع تجاوزات ومخالفات وعدّها تقوم مقام " العصمة " بنسبة من النسب (١).

ويبدو أنه رمى من خلف ذلك ضمان عدم تقاطع قوانين المجلس مع الشرعية الإسلامية، فضلاً عن الشرعية التي سيضيفها الفقهاء إلى المجلس وجعله اكثر تقبلاً عند عامة الناس، ولا يمكن تجاهل ان هذه الولاية غير المطروحة في الوسط الفقهي انذاك قد جسدها التيار الاصلاحى عملياً في مواقفه من الحركة الدستورية في فارس، فرجال الدين لم يهدفوا إلى اسقاط النظام والحلول محله، بل شاركوا بقوة بدعم تلك الحركة.

ثالثاً: الاستبداد الديني : وعدّه اشد وطأة من الاستبداد السياسي بقوله : " والايخبر [الاستبداد الديني] صعب التخلص منه لقوة العامل الديني في النفوس " ؛ ويبدو ان رأيه هنا جاء منسجماً مع الفتوى التي اصدرتها هيئة المجتهدين " وكفرت بها الشيخ فضل الله نوري (٢)، كذلك لاشك ان جزءاً كبيراً منه موجه إلى السيد اليزدي.

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٥.

(٢) جاء في الفتوى " ... لان النوري مفسد ومخل بالاستقرار لذا تصرفاته في كل الامور حرام ... " . ينظر: اسعد محمد شلال، المصدر السابق، ص ١٠٥.

رابعاً: السيادة الوطنية: ونجدها بوضوح بقوله: "ومما هو معلوم بالضرورة ايضاً انه لايمكن حفظ شرف استقلال أية أمة أو توصية وحفظ خصائصها الدينية والوطنية الا اذا كان النظام الحاكم فيها منتزعاً منها، وكانت الامارة عليها من نوعها، وألا ذهب ناموسهم الاعظم وشرف استقلالهم وقوميتهم هباءً منثوراً ... " (١)، وعلى الرغم من ما ذهب اليه من ان استقلال الشعوب يتوقف على كون حكوماتها ممثلة حقيقية لها ، لم يغفل عن عناصر اخرى من جهة لأتمام ذلك الاستقلال وهي (٢):

١- حماية الوطن من تدخل الاجانب، والحذر من حيل الاعداء، واعداد القوة الدفاعية والمعدات الحربية وغير ذلك من الامور التي عبر عنها الفقهاء بـ(حفظ بيضة الإسلام).

٢- حفظ وصيانة الانظمة الداخلية للدولة والتربية النوعية للشعب.

ولابد من القول ان تاكيده الشديد على السيادة الوطنية او كما عبر عنه بـ(الاستقلال الوطني) يبين الحساسية المفرطة لفقهاء الشيعة انذاك تجاه التدخل الأجنبي، ويبدو ان هذا لم ينجم عن ارهاصات عقائدية فقط، انما الحالة السيئة التي عاشتها فارس وعد النفوذ الاجنبي احدى اسبابها الرئيسية، ولانستبعد ان يكون قد قصد بذلك تنبيه العراقيين لواقعهم، لكونه لم يدخل " الحاكم المسلم " ضمن دائرة ما ذكره ، وان كان قد كتب كتابه باللغة الفارسية، ذلك ان عدداً من النحفيين يُجيدونها فضلاً عن طلبة الدراسات الدينية من الفرس، في مؤشر واضح عن ان النائي نظر إلى الدولة بوصفها نتاج المجتمع وخصوصياته.

(١) المحقق النائي ، المصدر السابق، ص ٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٠.

خامساً: حقوق الانسان والديمقراطية : يبني النائي فرضيته بشأنها ، بوصفها مفاهيم أسهم الاوربيون بأiversalها إلى المسلمين، وقد اثنى عليهم، بيد انه يُرجع الاسس الفكرية لها إلى الإسلام، اذ استفادوا منها بينما تركها المسلمون؛ على الرغم من كونها من اهم اسباب قيام حضارتهم الإسلامية، وتختصر الآية الكريمة [هَذِهِ بَضَاعَتُنَا رُدتْ إِلَيْنَا] ^(١) التي استشهد بها ما يعنيه، وفي هذا الصدد يقول: " نعم ، وهذا متمثل بالحكم الإسلامي، الذي يتصف بمبادئ الحكومة الإسلامية " الحرية " و " المساواة " و " الشورى " ... " ^(٢).

ووصف الحرية بقوله : " ... فهي ليست فكرة زائفة ولا مستوحاة من الفكر الغربي وديانته المسيحية، وهي هبات لقد ولى ذلك الزمن ، لذا ان الحكم الاستبدادي غاصباً للحرية وليس الحكم الدستوري الذي ينعم بها، ويعمل على استردادها ... " ^(٣).

سادساً:الاصلاح الاجتماعي : وتتجلى معالمه في دعوته إلى تحصين المجتمع وتوعيته ضد انواع الاستبداد شتى، ويتم ذلك بحسب رأيه : " من خلال العلم والمعرفة واسناد زمام الامور في البلاد لاصحاب الخبرة والكفاءة وعدم الخضوع والتملق للسلطان وتوحيد كلمة الشعب، والاتحاد بين الافراد... " ^(٤).

لاشك ان هذه المضامين التي احتواها كتاب النائي ، قد ضربت على الوتر الحساس عند اقطاب الحركة الدستورية ومؤيديها من دعاة الاصلاح الاجتماعي والسياسي في العراق وبلاد فارس ، وشكلت في الوقت نفسه انعطافة مهمة في المسار

(١) القرآن الكريم ، سورة يوسف ، الآية (٦٥).

(٢) المحقق النائي ، المصدر السابق، ص ١٤١.

(٣) المحقق النائي، المصدر السابق، ص ١٥٥-١٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢١٢.

التاريخي للفكر السياسي الشيعي جاء تتويجاً لتطور نظرية السلطة في الفكر السياسي لهذه المؤسسة ، يتماشياً مع التطور في الفكر السياسي العالمي .

لاقت جهود الفقهاء في التاصيل الشرعي للنظام الدستوري صدًى كبيراً في الحركة الدستورية، التي ما لبثت ان تبنت الخيار الثوري لحسم معركتها مع الشاه محمد علي، اذ تم الاطاحة بالشاه محمد علي عن طريق ثورة شعبية في السادس عشر من تموز ١٩٠٩ وتتصيب نجله ميرزا أحمد ^(١) ذا الثاني عشر ربيعاً شاهاً على فارس تحت الوصاية ^(٢) . وفي ردهم عن رسالة المجلس الاعلى للثورة الراغب في معرفة مدى شرعية تنصيب الشاه الجديد على الرغم من صغر سنه، اجاب الفقهاء وبخط الشيخ النائني " ... نعلن تأييدنا وموافقتنا له " ^(٣) .

ولم تكتف هيئة المجتهدين بتأييد الشاه، فهي ما لبثت ان بعثت برسالة اليه، نجدها قد لخصت بكلمات مقتضبة رؤية التيار الاصلاحى لطبيعة شرعية الحكم في عصر الغيبة الكبرى، وجاء في جانب من هذه الرسالة ما يأتي " تقضي ضرورة المذهب ان تكون الحكومة الإسلامية في عهد غياب صاحب الزمان (الامام المهدي) بيد الجمهور " ^(٤) ؛ وهذا يعني ان النظرة الاسلامية العامة اتجه مفهوم الدولة

(١) الشاه ميرزا أحمد القاجاري، اخر شهاب الدولة القاجارية في فارس، ولد في مدينة تبريز عام ١٨٩٧ ، اشتهر بكثرة رحلاته إلى اوربا؛ مما افقده شعبيته، اطيح بحكمه عام ١٩٢٥ من قبل وزير دفاعه رضا خان مؤسس الاسرة البهلوية (١٩٢٥-١٩٧٩) توفي في منفاه بباريس عام ١٩٢٩ . ينظر: اسعد محمد زيدان الجوراني، سياسة ايران الخارجية في عهد أحمد شاه (١٩٠٩-١٩٢٥)، دار الحكمة ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ٧٧ .

(٢) للمزيد ينظر : خضير مظلوم البديري ، المصدر السابق ، ص ٩٠-٩٣ .

(٣) نقلاً عن : اسعد امجد شلال ، المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

(٤) نقلاً عن : كاظم قاضي زاده ، الشورى في الحكومة الإسلامية ، من كتاب : مدخل الى الفكر السياسي في الإسلام ، ص ٧٠ .

الاسلامية عند التيار الاصلاحى أصبحت اقرب الى مفهوم الدولة الحديثة في العالم الغربي .

والجدير بالذكر، ان وفاة الشيخ محمد كاظم الخراساني في الثالث عشر من كانون الاول ١٩١١ ، بعد ان كان يروم قيادة متطوعي العشائر العراقية التي تحشدت على أثر اصداره فتوى الجهاد ضد الغزو الروسي لبلاد فارس ^(١)، وانتشاء وسادت المرجعية العليا للسيد محمد كاظم اليزدي ؛ قد اشترت بداية انحصار نشاط التيار الاصلاحى في هذه المؤسسة الدينية واستمر ذلك حتى عام ١٩١٨ كما سيأتي ، ونهاية احداث " المشروطة والمستبدة " في النجف .

و نتفق إلى حد كبير مع احد المعاصرين الذي عدّ ما وصفه بـ (العناد السياسى) و(الحراك الفكرى) الذي شهدته النجف في الربع الاول من القرن العشرين جاء بتأثير من تداعيات الثورتين الدستوريتين في فارس والدولة العثمانية^(٢)، حيث عكست اصداءهما في النجف والعراق عامة، اهمية الدور السياسى الذى يمكن للمؤسسة الدينية ادائه في صالح قضايا المجتمع العامة. فضلاً عن انها اسهمت في تعزيز التوجهات الاصلاحية للنخبة المثقفة في العراق والتي كان لها دوراً في احداث العراق لاحقة^(٣).
مثل الاحتلال البريطانى للعراق (١٩١٤-١٩١٨) ^(٤) تحدياً تاريخياً

(١) سليم الحسنى ، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ص ٣٠ .

(٢) ينظر: علي الشرقى، الحركة الفكرية في النجف ، النجف ((مجلة))، النجف ، ١٩٢٦ ، عدد ٤٠ ، ص ١٤ .

(٣) عن موقف النخبة المثقفة العراقية من احداث المشروطة والمستبدة ينظر : علاء حسين الرهيمي، حقائق عن موقف ... ، ص ٣٢٢-٣٢٦ .

(٤) انزلت بريطانيا جيشها في الفاو في (٦/تشرين الثانى/ ١٩١٤) واحتلت بغداد في (١١/آذار/١٩١٧) ثم الموصل بعد اعلان الهدنة في (١/تشرين الثانى/١٩١٨) ولم يكن احتلال العراق جزء من مقتضيات الحرب بعد دخول الدولة العثمانية الحرب إلى

للمؤسسة الدينية في النجف، لكونه استعماراً يهدف إلى السيطرة على العراق وطمس هويته الإسلامية، وعلى وفق ذلك جاءت استجابة معظم المرجعيات الدينية لمناشدة الحكومة العثمانية في اعلان الجهاد وتحريض العشائر ضد الجيش البريطاني ، اذ اعلنت المرجعيات الكبيرة ومنها مرجعية السيد محمد كاظم اليزدي الجهاد، ويذكر ان اليزدي قد ارسل الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء إلى العشائر لاستنهاضها، كما كان اليزدي في مقدمة من اعلن فتاوى الجهاد الثانية في تشرين الثاني ١٩١٥. ويبدو ان غسان العطية لم يطلع على هذه الفتاوى، لذا فهو يخطئ بقوله ان اليزدي لم يستجيب لمناشدة السلطات العثمانية ^(١). ولم يكتف بعض المراجع بذلك بل

جانب المانيا، انما تجسيدا لاطماع بريطانيا في السيطرة على العراق لاهداف جيوسياسية واقتصادية محضة، فالمصالح البريطانية في العراق تعود جذورها إلى القرن السابع عشر، وقد ازدادت في القرن التاسع عشر وبلغت ذروتها اوائل القرن العشرين، فضلا عن ان الحرب العظمى او ما بات يعرف لاحقا بـ (الحرب العالمية الاولى) هي بامتياز حرب استعمارية. للمزيد ينظر: زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى ١٩١٤ : دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري، بغداد، ١٩٦٨ ؛ شكري محمود نديم ، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، ط٤، بغداد، ١٩٦٤ . ؛

E.Grey, Twenty – Five Years 1892-1916 , London, 1925, Vol.1, PP.150-175; S.H.Longrigg, Oil in the Middle East, London, 1954, PP.25-65; E.M.Earle, Turkey, The great Powers and the Baghdad Railway, PP. 14-35; G.Gooch and H.Temperley, British Documents on the Origin of the war 1898-1914, London, 1927, Vol.I-IV.

^(١) غسان العطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١ ، ترجمة عطا عبد الوهاب ، ط٢، دار السلام ، لندن ، ١٩٨٨ ، ص ١١١؛ محمد الحسين ال كاشف الغطاء، مذكرات خطية بعنوان عقود حياتي محفوظة في مكتبة كاشف الغطاء العامة، النجف؛ سليم الحسني ، دور علماء الشيعة ... ، كامل سلمان الجبوري، ٦٣ عاماً على حرب العراق

شاركوا في حركة الجهاد وفي مقدمتهم السيد محمد سعيد الحبوبى الذي قاد بنفسه المجاهدين في معركة الشعبىة (١٢-١٤ نيسان ١٩١٥) واصر على مواصلة القتال بالرغم من هزيمة الجيش العثمانى ، فضلاً عن قيادته العشائر في جبهة الناصرية في العام نفسه (١).

مؤازرة المرجعيات الدينية للعثمانيين الذين سعوا اليها بشدة لحاجتهم إلى دعم العشائر العراقية نظراً لقلّة عدد القوات العثمانية في العراق لانشغالها في جبهات القتال الاخرى ، تاركة جانباً قرون من السياسات العثمانية الطائفية، لاتخرج عن سياق ايمانها بأن كل احتلال اجنبى غير مسلم لارض مسلمة هو جزء من حملة صليبية جديدة، ويدخل في ذلك موقفها من الاحتلال الروسى لشمال فارس أبان الحركة الدستورية - كما سبق - وفتاوى الجهاد ضد الاحتلال الايطالى لليبيا عام ١٩١١^(١). من جهة ومن جهة أخرى عدم الاختلاف حول الثوابت وفي مقدمتها رفض الاحتلال.

يتضح مما سبق ان عوامل مختلفة قد اسهمت في تطور الفكرالسياسى في المؤسسة الدينية في النجف وابرزها:

- ١- مكن التطور الفقهي والمتمثل بفتح باب الجتهاد ،الفقيه من التعامل بمرونة مع المسائل السياسية وغيرها.
- ٢- شجعت الازوضاع السياسية التي عاصرتها المؤسسة الدينية على خروجها عن المألوف في التعامل بواقعية مع المحضورات المذهبية مثل شرعية السلطة زمن الغيبة الكبرى.

، ١٩١٤-١٩١٥ ووثائق لم تنشر، افاق عربية " مجلة " عدد ١٠، ١٩٧٨، ص ٣٢-٥٥.

(١) عن نص هذه الفتاوى ينظر: سليم الحسنى، دور علماء الشيعة، ص ٢٠-٢١.

- ٣- بروز المرجعيات الدينية ذي المستوى العلمي العالي والادراك العميق لطبيعة المتغيرات السياسية والاجتماعية، جعلها اكثر انفتاحا على الفكر السياسي العالمي.
- ٤- شجعت المنافسة بين المرجعيات الكبيرة المحافظة ونظيرتها الاصلاحية ، الاخيرة على التعاطي بجرأة مع مسألة مهمة كحق المجتمع في تحديد واسباغ الشرعية على السلطة.
- ٥- كان للمجتمع دوره في دفع المؤسسة الدينية الى تبني مواقف اسهمت في تطور نظرية السلطة فيها بما ينسجم وتطلعات القوى المؤثرة في المجتمع.

أولاً: تبلور مشروع الدولة العراقية المستقلة (١٩١٨-١٩٢١)

لم يعرف العراق عبر تاريخه الغائر في القدم ككيان سياسي ذو حدود محدد ، الا في عام ١٩٢١. إذ شهدت الاراضي الواقعة ما بين نهري دجلة والفرات وما يحيط بهما وروافدهما، أي المنطقة التي اطلق عليها الاغريق تسمية (بلاد ما بين النهرين Mesopotamia) منذ اقدم العصور حضارات عديدة وضعت بصماتها المميزة في السجل التاريخي للانسانية ، ونشأت فيها كيانات سياسية مختلفة، كان نفوذها يمتد غالباً إلى ابعد من هذه المناطق ، وينحصر أحياناً في اطار هذه الاراضي او حتى بعضاً منها، وتعددت الاسماء التي اطلقت عليها. وشكل في اعقاب الفتح العربي الإسلامي اقليماً من اقاليم الدولة الإسلامية، واتفق البلدانون العرب على انه يتكون من قسمين مميزين : الأول ويوازي المنطقة الشمالية من العراق حالياً، واسموه (العراق الاعجمي) والثاني ويوازي وسط وجنوب العراق واسموه (العراق العربي ، وارض السواد) ^(١).

اما في العهد العثماني فقد سمي العراق رسمياً منذ احتلاله في عام ١٥٣٤ بأسم (ايلة بغداد) ^(٢) ثم تغيرت التسمية عام ١٨٦٩ إلى ولاية بغداد ، تطبيقاً لنظام الولايات الصادر في عام ١٨٦٤ . وكانت كل سناجق العراق والبالغة (١٧) تابعة إلى والي العثماني في بغداد؛ لكن الوضع الاداري للعراق قد تغير منذ عام ١٨٧٥ أذ تحولت البصرة إلى ولاية تابعة ادارياً إلى الحكومة العثمانية في اسطنبول تبعتها

(١) جواد هاشم، مقدمة في كيان العراق الاجتماعي، بغداد، ١٩٤٦، ص ١٠-١١؛ هنري فوستر ، نشأة العراق الحديث، ج١، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، الفجر للنشر، بغداد، ١٩٨٩، ص ١٣.

(٢) الايالة وحدة ادارية تنقسم إلى وحدات ادارية تعرف بـ(السناجق) وبدورها تنقسم إلى وحدات اصغر هي القضاء ثم الناحية. نيل الكسندر روفنادولينا ، الامبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية ، ترجمة نور محمد، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٧٤.

الموصل في عام ١٨٧٩ ، وبذلك أصبحت ولاية بغداد ^(١) قائمة بذاتها، واضحى العراق يتكون من ثلاث ولايات هي : البصرة وبغداد والموصل^(٢).

تميزت التركيبة السكانية للولايات الثلاث بالتعدد القومي والتنوع في الانتماء الديني والمذهبي، ولعل ما أضفى على هذا التعدد والتنوع الفريد من التمايز ، هو توزيع الجماعات القومية والمذهبية الرئيسة توزيعاً جغرافياً على اساس كثافة وجودها في مناطق معينة. وهو توزيع بلورته ظروف تاريخية ، الكرد في المنطقة الشمالية الجبلية، والسنة العرب في الغرب والوسط، والشيعية العرب في الجنوب ووسط العراق، فضلاً عن اقلية قومية ودينية مسلمة وغير مسلمة توزعت في مناطق متعددة.

وبالرغم من ان التركيبة السكانية حملت سمات المجتمع القبلي، حيث شكلت البنية العشائرية لاغلب السكان والقيم والتقاليد المنبثقة عنها كونت السمات المشتركة بينها، وحددت بالتالي انماط حياتها الاجتماعية والثقافية.

من جانب آخر ان فراغ الشرعية الذي خلفه زوال الحكم العثماني هذه الشرعية المستمدة من حكم زهاء اربعة قرون على العراق ، فضلاً عن الاعتراف الدولي بها ، قد اعاد إلى التيار الاصلاحى في المؤسسة الدينية المؤمن بأن السلطة الشرعية في زمن الغيبة هي للشعب في ظل النظام الدستوري الخاضع لأرادة المجتمع ، جذوته التي فقدتها بعد وفاة الشيخ محمد كاظم الخراساني عام ١٩١١،

(١) ضمت ولاية بغداد بعد اعلانها ثلاثة سناجق هي : بغداد " المدينة " والديوانية وكرلاء، وارجعت اليها ولاية البصرة بين المدة (١٨٨٠-١٨٨٤) وجرت فيها تغييرات ادارية عديدة حتى نهاية الحكم العثماني . للمزيد ينظر: جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩-١٩١٧، ج١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١، ص ١١٩-١٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٨-٦٠.

وبالتالي المرجعيات الاصلاحية كانت لها رؤية سياسية تجاه هذه المرحلة؛ ومن الطبيعي - كما حصل خلال الحركة الدستورية الفارسية - ان تتفاعل مع تطلعات القوى المؤثرة في المجتمع بشأن تحديد مستقبل العراق في ظل الاحتلال البريطاني، لا سيما ان استجابات العشائر وابناء المدن لفتوى الجهاد قد بينت بجلاء طبيعة العلاقة بينها والمؤسسة الدينية ، ومن ثم قدرة المؤسسة الدينية على التعامل مع مرحلة ما بعد الحكم العثماني ؛ بمعنى امتلاكها لورقة مهمة تمكنها من اداء دور مهم في مواجهة الاحتلال البريطاني .

وقد افضى هذا التفاعل إلى تبلور حركة استقلالية لها مشروعها السياسي والقاضي بأستقلال العراق، وان الاحاطة به يتطلب التطرق إلى الاتي:

١- انتفاضة النجف ١٩١٨:

ادرك البريطانيون منذ معركة الشعيبة ضرورة تجنب الاحتكاك المباشر بالمؤسسة الدينية في النجف وعشائر الفرات الاوسط، لهذا لم يعمدوا إلى فرض سيطرتهم المباشرة على منطقة الفرات الاوسط. وبعد ان احتلت بغداد في الحادي عشر من اذار ١٩١٧ واطمأنت الحكومة البريطانية إلى نتيجة الحرب في العراق، شكلت لجنة سميت بـ(لجنة إدارة بلاد ما بين النهرين Mesopotamia Administraton Committee) برئاسة اللورد كيرزن ^(١) للنظر في مستقبل العراق

(١) اللورد جورج ناثنائيل كيرزن G.N.Curzon (١٨٥٩-١٩٢٥) سياسي بريطاني مشهور عين في مجلس اللوردات، وتولى عدداً من المناصب الوزارية، ابرزها وزارة الخارجية (١٩١٩-١٩٢٤) . ينظر: المس بيل، العراق في رسائل المس بيل، ترجمة وتعليق جعفر الخياط، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧، ص ٩٨.

السياسي، وفي التاسع والعشرين من اذار ١٩١٧ توصلت اللجنة إلى عدد من التوصيات ومما جاء فيها ^(١):

١- لا تدار الاراضي المحتلة من حكومة الهند بل تدار من قبل حكومة صاحب الجلالة.

٢- تشكل الاماكن الشيعية (كربلاء/ النجف) جيباً منفصلاً غير خاضع للسيطرة البريطانية المباشرة على الا تشمل تلك الاماكن مناطق هامة مروية او قابلة للارواء.

وارسلت وزارة الهند في لندن نسختين منها إلى نائب الملك في الهند Viceroy (رئيس حكومة الهند المسؤولة - وقتئذ مع وزارة الهند على ادارة شؤون العراق) وبرسي كوكس ^(٢) - بصفته الضابط السياسي الاقدم - لابداء

(١) للمزيد ينظر: فليب ويلارد آيرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ط١، ترجمة: جعفر الخياط، دار الكشف، بيروت، ١٩٤٩، ص ٦٣-٦٤؛ غسان العطية، العراق نشأة الدولة، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٢) برسي زكريا كوكس Percy.Z.Cox: عسكري وسياسي بريطاني، ولد في عام ١٨٦٤ بمقاطعة اسكس (شرق انكلترا) شغل عدة مناصب سياسية في منطقة الخليج العربي خلال المدة (١٨٩٣-١٩١٤) دخل العراق مع الحملة البريطانية بصفة ضابط سياسي اقدم، عين اواخر ١٩١٧ حاكماً ملكياً مدنياً واسهم بقوة في تأسيس الادارة المدنية للاحتلال، وفي عام ١٩١٩ عين سفيراً في فارس، وفي اثناء ثورة العشرين اعيد إلى العراق بمنصب المندوب السامي الذي شغله حتى عام ١٩٢٣، توفي في عام ١٩٣٧. عنه، ينظر: منتهى عذاب ذويب، برسي كوكس ودوره في السياسة العراقية ١٨٦٤-١٩٢٣، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب - جامعة بغداد، ١٩٩٥.

ملاحظاتها قبل ان تتخذ الحكومة البريطانية قرارها النهائي^(١).

عارض كوكس ما جاء في التوصيات بشأن المدن المقدسة في الفرات الاوسط، واخذت الحكومة البريطانية بملاحظاته^(٢). وقد دل موقفه على انه كان يعني ان بقاءها خارج السيطرة العسكرية المباشرة، قد يشجع المدن الاخرى على الحدو حذوها نظراً لثقلها الديني، الأمر الذي سيريك وضع الجيش البريطاني، لاسيما وأن الحرب لم تضع اوزارها بعد، ولم تتخذ الاستراتيجية البريطانية بشأن مستقبل العراق شكلاً واضح المعالم^(٣).

وعلى وفق ذلك عين في آب ١٩١٧ الكابتن (النقيب) بلفور F.G.C.Belfor حاكماً سياسياً على منطقة الشامية والنجف، وحميد خان^(٤) وكيلاً له في النجف ،

(1) Philip Eraves, The Life of Sir Percy cox, London, PP.241-242.

(2) Ibid., P.243.

(3) كانت حكومة الهند او ما يعرف بـ (مدرسة الهند) تحبذ اسلوب الحكم البريطاني المباشر في ادارة العراق، بينما فضل موظفو المكتب العربي، ما يعرف بـ(مدرسة القاهرة) يحبذون تشكيل ادارة محلية في العراق تحت اشراف الادارة البريطانية، بمعنى الحكم غير المباشر. للمزيد ينظر: عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ط٣، صيدا، ١٩٨٢، ص ٤٠.

(4) حميد خان بن اسد خان : ولد في النجف عام ١٨٩٠ ، ينتمي إلى عائلة شيعية اسماعيلية ثرية هاجرت من فارس إلى العراق عام ١٨٤٠ ، كان موضع ثقة الساسة البريطانيين في العراق، بعد تعيينه نائب الحاكم السياسي في النجف، عين متصرفاً للواء كربلاء في عام ١٩٢١ ، انتخب عام ١٩٤٣ نائباً عن لواء كربلاء في مجلس النواب، توفي في بغداد عام ١٩٤٣ . للمزيد ينظر: محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين : معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى، مطبعة التضامن، النجف، ١٩٧١، ص ٨٩-٩٢؛ جعفر الخليلي، هكذا عرفتم ، ط ١ ، ج ١، المكتبة الحيدرية ، قم ، ١٤٢٦ هـ ، ص ٤١-٥٦.

لكونه شيعي يتمتع بعلاقات طيبة مع المرجعيات الدينية وعشائر الفرات الاوسط^(١)، فضلاً عن ان وجود مسؤول محلي مسلم من شأنه ان يقلل من ردود افعال الاهالي ضد هذا الاجراء وبذلك فقدت المدينة حكمها الذاتي الذي تمتعت به منذ انتفاضة عام ١٩١٥^(٢) وحقت خلاله نوعاً من الاستقرار الاقتصادي جنبها المعاناة التي مست اغلب مدن العراق أبان الحرب، مما اغضب معظم سكانها لاسيما زعماءها المحليون بيد ان هذا الاجراء لم يتسبب بردود فعل آنية، إذ امل زعماء المحلات النجفية بدور جديد يحفظ مصالحهم، واستمر الهدوء سيد الموقف إلى الحادي والثلاثين من تشرين الأول ١٩١٧ ، حينما اصر البريطانيون على نقل كمية كبيرة

(١) عبد الستار شنين علوة الجنابي، تاريخ النجف السياسي ١٩٢١-١٩٤١، رسالة ماجستير

غير منشورة، كلية الاداب - جامعة الكوفة، ١٩٩٧، ص ٢٣.

(٢) شجع هزيمة العثمانيين في الشعبية، زعماء المحلات الاربع (البراق، العمارة، الحويش، المشرق) على الخروج على الحكم العثماني، لاسيما وانهم من اهل السلاح وكانت السلطة العثمانية عائقاً امام طموحاتهم في حكم المدينة. وقد وجدوا ضالتهم في التجاء بعض الفارين من الخدمة العسكرية في المدينة، حينما رفضوا تسليمهم، وبعد حملة تقتيش تعسفية شملت حتى النساء، واطلاق احد الجنود العثمانيين رصاصة عمداً او خطأ على احدى مآذن ضريح الامام علي (ع) ، تأجبت مشاعر الاهالي، وحدثت مصادمات واسعة أسفرت عن طرد الحامية العثمانية ولم تنته المشكلة الا بتدخل المرجع الاعلى السيد اليزدي، واتفاقه مع العثمانيين على ان تدار النجف من قبل اهلها مع بقائها ضمن السيادة العثمانية رغبة منه بعدم تقويض حركة الجهاد. للمزيد ينظر: كامل سلمان الجبوري، النجف الاشرف ومقتل الكابتن مارشال ١٩١٨ (حقائق ومذكرات من تاريخ العراق السياسي لم تنشر من قبل) ، ج ١، مؤسسة المعارف ، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٣٧٠-٣٨٠) اخلاص لفته حريز الكعبي، المصدر السابق، ص ٦٠-٧٠؛ ناهدة حسين ويسن ، المصدر السابق، ص ٦٨-٦٩؛ سليم الحسني، دور علماء الشيعة ... ، ص ١٢٦-١٣٨ ؛ غسان العطية، العراق نشأة الدولة ... ، ص ٤٨٧-٤٨٨.

من الحبوب إلى زعماء قبيلة عنزة المواليين لهم، مما تسبب بارتفاع فاحش في اسعارها، وما كان من الاهالي وبمشاركة بعض النساء الا مهاجمة القافلة المحملة بالحبوب والاستيلاء عليها (١). وبعد فشل الجهود التي بذلها السيد اليزدي لتسوية المسألة لاصرار الحاكم السياسي بلفور على ضرورة دفع النجفيين غرامة مالية كبيرة، واهانته لبعض الزعماء المحليين، حدث هياج شعبي ، اضطر على اثره حميد خان إلى تقديم استقالته ومغادرة المدينة (٢).

حاول كوكس تهدئة الوضع فقام بجولة تقييمية في النجف التقى خلالها باليزدي تعهد له بعدم مصادرة مخزون المدينة من الحبوب وزيادة حصتها منه، لكنه ابلغه ايضاً انهم سينشرون قواتهم بالقرب من المدينة وباقي مدن الفرات الاوسط، في محاولة لامتنصاع ردة الفعل المحتملة جراء ذلك. بعدها عُين النقيب مارشال Marshall وكيلاً للحاكم السياسي في النجف (٣). واتسم موقف النجفيين ازاء ذلك بدعم الزعامات المحلية للمواجهة الدائمة، وهي المواجهة التي كانت تتخذ طابعاً سلمياً تارة وعنيفاً تارة اخرى، وقد ظلت كذلك حتى قيام انتفاضة المدينة (٤).

(١) حسن الاسدي، ثورة النجف على الانكليز ... ، ص ٢٢٣ ؛ حسن شبر، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٠ ؛ اخلاص لفته حريز الكعبي ، موقف الحوزة العلمية في النجف الاشرف من التطورات السياسية في العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية - الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٥، ص ٧٣.

(٢) محمد رضا الشبيبي، وثيقة خطيرة حول ثورة النجف ضد الاستعمار البريطاني ١٩١٧-١٩١٨، الثقافة الجديدة " مجلة " عدد ٣ ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٣) عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ، ط٢، دار السلام، بغداد، ١٩٧٥، ص ١٨٣؛ عبد الستار شنين ، تاريخ النجف السياسي ... ، ص ٢٨.

(٤) عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ١٩٠٠-١٩٢٤، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٩١.

في غضون ذلك كان لاهل العلم كلمتهم، إذ بدأوا في عقد ندوات لمناقشة القضايا السياسية والعامة، اشرف على تنظيمها عدد من الشخصيات الدينية وكبار مجدي النجف ذوي النزعة الدستورية^(١). وقد اسفرت في تشرين الثاني ١٩١٧ من تشكيل جمعية سياسية سرية مناهضة للاحتلال البريطاني سميت بـ(جمعية النهضة الإسلامية) اختير لرئاستها السيد محمد علي بحر العلوم^(٢) لمكانته الدينية، والشيخ محمد جواد الجزائري^(٣) صاحب فكرة انشاءها نائباً له^(٤)، وضمت عضويتها العديد من المجتهدين ورجال الفكر^(٥).

(١) جعفر الخليلي ، كيف عرفت عبد الكريم الجزائري، الايام " صحيفة " عدد ١٠٠، بغداد، ١٩٦٢، ص ١؛ فاروق صالح العمر، الاحزاب السياسية في العراق (١٢١-١٩٣٢)، بغداد، ١٩٧٨، ص ٣٧ .

(٢) محمد علي بحر العلوم: مرجع ديني اصلاحي، ولد في النجف من اسرة معروفة بالعلم، تتلمذ على يد فقهاء عائلته، شارك في ثورة العشرين، ساند القضايا الوطنية، توفي في النجف عام ١٩٣٦. للمزيد ينظر: حميد المطبوعي، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين، بغداد، ١٩٩٦، ص ٢١١.

(٣) محمد جواد الجزائري: مرجع ديني اصلاحي وشاعر معروف، ولد في النجف عام ١٨٨١م من اسرة معروفة بالعلم والادب، تتلمذ على يد شقيقة الشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ محمد كاظم الخراساني، والشيخ العراقي، اشتغل بالسياسة وشارك في ثورة العشرين، ساند القضايا الوطنية والقومية، ابرز مؤلفاته الاراء والحكم، حل الطلاس، حاشية على شرح بدر الدين على الالفية، فلسفة الامام الصادق، وديوان شعر . للمزيد ينظر: محسن الامين، اعيان الشيعة، م ٤٦ ، ص ٢٤٤.

(٤) جعفر الخليلي هكذا عرفتهم، ج ٤، ص ٩٢.

(٥) مثل : علي الدمشقي، إبراهيم البهبهاني، محمد حسن شليلة ، حسين الطرف ، محمد علي شحاتة، أحمد الصافي النجفي، محمد علي كمال الدين، علي الشرقي، يوسف

وضعت الجمعية لنفسها منهاجاً أبرز ما جاء فيه: " تأييد وترويج قيام الحكومات الإسلامية عامة والحكومات العربية، ولاسيما الحكومة العراقية خاصة، وبذل كل ما في الوسع من الاموال والنفوس لتأمين استقلالها " (١).

وعلى هذا النحو تبنت هدف جوهري تمثل بتحرير العراق بعده السبيل الوحيد لاستقلاله. وفقاً لخطة تقوم على توعية المجتمع العراقي لاسيما في الفرات الاوسط بمخاطر الاستعمار البريطاني آنياً ومستقبلياً، وكسب تأييد زعماء المحلات الاربع وشيوخ عشائر الفرات الاوسط، ومن ثم القيام بقتل الحكام السياسيين البريطانيين لتشجيع الاهالي على الثورة (٢) ؛ مما يؤكد انها بالرغم من طابعها الإسلامي الا ان توجيهها كان وطنياً. وكانت باكورة نشاطها منشورات دورية ألصقتها على ابواب وجدان ضريح الامام علي (ع) تتدد بالاحتلال وسياسته في العراق. وتمكنت من ضم معظم زعماء المحلات النجفية ، الامر الذي شجع الكثير من حملة السلاح من شباب المحلات النجفية إلى الانضمام اليها (٣). ونظراً لازدياد عدد أعضائها ارتأت

رجيب، عباس الخليلي، عبد الحسين الحلي، سعيد كمال الدين، محمد رضا الشبيبي، سعد صالح جربو، علي الكتابي. للمزيد ينظر : علي عبد المطلب حمود علي خان المدني، الحياة الاجتماعية في مدينة النجف الاشرف (١٩١٤-١٩٣٢) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب - جامعة الكوفة، ٢٠٠٤ ، ص ٢٧.

(١) للمزيد عن منهاج الجمعية ينظر: ناهدة حسين ويسن ، المصدر السابق، ص ٨٩-٩٠؛ محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين ... ، ص ٦٦.

(٢) حسن الاسدي، ثورة النجف ... ، ص ١٦٩ ؛ ناهدة حسين ويسن، المصدر السابق، ص ٩٠؛ علي الوردي، لمحات اجتماعية... ، ج٥، ص ٢١٤؛ اخلاص لفظة الكعبي، المصدر السابق، ص ٧٧.

(٣) عدي حاتم المفرجي، النجف الاشرف ... ، ص ٢٤٩ ؛ محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين، ص ٦٣-٦٥.

ان تعتمد اسلوباً تنظيمياً جديداً فقسمت اعضاءها إلى جناحين الأول سياسي وضم المؤسسين الاوائل والثاني عسكري وضم الزعماء المحليين ويشرف على حملة السلاح (١) .

لكن الجمعية اخفقت بنيل دعم معظم شيوخ العشائر في الفرات الاوسط (٢)، مما اضطرها إلى الاتصال بالجيش العثماني الذي ما يزال يقاتل البريطانيين في اطراف الفرات الاعلى وتحديدًا شمال لواء الرمادي (محافظة الانبار حالياً) بغية الحصول على الدعم المادي والتسليحي وفقاً لشروط ومبادئ تضمن استقلال العراق في حال نجاح الجمعية بطرد البريطانيين (٣). والواقع ان هذه الخطوة من المآخذ التي تؤخذ على الجمعية فليس من المنطق الركون إلى وعود عثمانية باستقلال العراق في تلك المرحلة، لذا كان عليها التآني حتى تتضج الظروف الملائمة بحيث لا تضطر الى هذا الخيار .

ويبدو ان سبب الاخفاق في كسب ولاء عشائر الفرات الاوسط يرجع إلى انها كانت تأتمر بتعليمات المرجعيات الكبيرة لاسيما المرجع الاعلى، وهو ما يفسر سبب ادعاء الجمعية بأن رئيسها المرجع الاعلى في النجف (٤)، لكن السيد اليزدي كان محافظاً رافضاً للثورة وتدخل رجال الدين في الامور السياسية ، وموقفه من

(١) جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، ج٤، ص ٩١-٩٢.

(٢) لم ينظم إلى الجمعية سوى البعض من شيوخ العشائر وهم: مرزوق العواد شيخ عشيرة العوابد، ورايح العطية شيخ عشيرة الحميدات، وسلمان فاضل شيخ عشيرة الحواتم، ووادي شيخ آل علي. عبد الستار شنين، تاريخ النجف السياسي، ص ٢٥-٢٦.

(٣) للمزيد ينظر: عبد الرزاق الحسني، ثورة النجف ... ، ص ٢٥.

(٤) ينظر: اخلاص لفنة الكعبي، المصدر السابق، ص ٧٩.

المشروطة وحده كان كافياً بعدم مفاتحته من الجمعية، وعلى الاغلب ان العشائر قد استفتته بهذا الشأن وتبين موقفه . وتجانب اخلاص لفئة الكعبي الصواب فيما تعد اعلان الجمعية بشأن المرجع الاعلى بعده تأكيداً على العلاقة الوطيدة بين الجمعية واليزدي ؛ فضلاً عن ان المرجعيات الكبيرة وفي مقدمتها الميرزا محمد تقي الشيرازي ومقره في سامراء، وشيخ الشريعة الاصفهاني في النجف وهما من كبار المرجعيات الاصلحية - كما سبق - لم يتخذا موقفاً علنياً في تأييد الجمعية و ذلك نابع على الأرجح من الخشية ان تؤدي مساندتهما للجمعية إلى تكرار ما جرى ايام " المشروطة " وما صاحبها من احداث اليمّة، وعندئذ يكون الرابع الاكبر البريطانيين.

ادى اكتشاف البريطانيين للعلاقة بين الجمعية والعثمانيين، على اثر العثور على وثائق عثمانية تؤكد ذلك ،الى ارسال تعزيزات عسكرية إلى النجف، مما دفع الجناح العسكري إلى اطلاق النار عليها، والتخطيط لاغتيال وكيل الحاكم السياسي النقيب مارشال، وبالرغم من تحفظ العديد من اعضاء الجناح السياسي على ذلك لكون الوقت لم يحن بعد للقيام بهذه الخطوة، الا ان الجناح العسكري نفذ ما خطط له في ليلة التاسع عشر من آذار ١٩١٨، حيث قامت مجموعة من اعضائه بقتل

النقيب مارشال (١).

(١) يذكر ان الحاج نجم البقال ومجموعة من المسلحين المتحمسين، باغتوا مارشال وقتلوه في مقر عمله في سراي الحكومة ولاذوا بالفرار. للمزيد ينظر: كريم وحيد صالح، نجم البقال: قائد ثورة النجف الكبرى ضد الاحتلال عام ١٩١٨، مطبعة النعمان، النجف ، ١٩٨٠ ؛ محمد علي كمال الدين، النجف في اربع قرون، ط١، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، مؤسسة المعارف، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٠-٢١٥ ؛ حسن الاسدي، ثورة النجف ، ص ٢٣٣-٢٣٤.

اثارت هذه العملية الجريئة غضب البريطانيين، وبعدما تأكدوا ان الفاعلين كانوا من اعضاء جمعية النهضة الاسلامية فرضوا حصاراً شاملاً على المدينة فمنع الدخول والخروج منها وقطعت عنها المياه والارزاق، أثار هذا الاجراء التعسفي الاهالي واعلنوا مساندتهم لرجال الجمعية المتمترسين خلف سور المدينة^(١).

ازاء اشتداد قساوة الحصار على النجفيين، لاسيما ان المواد الغذائية قد نفذت عند الكثير منهم واضطرار البعض إلى اكل الجيف، وزاد الامر سوءاً القصف البريطاني على المدينة الذي اودى بحياة الكثيرين . حاول السيد اليزدي والشيخ شريعة الاصفهاني التوسط بين الطرفين أذ قاما بأرسال برقية الى الادارة المدنية في بغداد يحثونها على ضرورة انهاء معاناة الاهالي واصدار عفو عام كبادرة حسن نية لحل الازمة^(٢)، بيد ان جهوده لم تثمر بسبب تعنت المسلحين واصرار البريطانيين على شروطهم القاسية^(٣).

(١) كامل سلمان الجبوري، النجف الاشرف ومقتل الكابتن .. ، ص ٣٨٦-٣٨٧؛ حميد عيسى حبيبات ، حقائق ناصعة عن ثورة النجف الكبرى، مطبعة الغري، النجف، ١٩٧٠، ص ٧١؛ سعيد رشيد زميزم، رجال العراق والاحتلال البريطاني، ج ١، بغداد، ١٩٩٠، ص ٧-٨.

(٢) للمزيد ينظر: كامل سلمان الجبوري، السيد محمد كاظم اليزدي...، الملحق رقم (٧٤)، ص ٦٥٤.

(٢) وهذه الشروط هي :-

١- تسليم الثوار ومن اشترك معهم.

تسليم غرامة حربية قدرها (١٠٠٠) الف بندقية، وغرامة نقدية مقدارها خمسون الف روبية.

غير ان يأس اعضاء الجمعية من الحصول على دعم العشائر القريبة من النجف، بفعل الحصار وتشديد البريطانيين الرقابة على الشيوخ الموالين للجمعية، فضلاً عن وسائل التهيب والترغيب بالامتيازات والاعفاءات الضريبية ^(١) من جهة، وتعاطف معاناة الاهالي والزائرين الموجودين في المدينة من جهة اخرى قد دفعهم إلى التراخي، فاستغل البريطانيون ذلك وقاموا بهجوم شرس في السابع من نيسان ١٩١٨ مكنهم من السيطرة على المدينة والقاء القبض على معظم اعضاء الجمعية ^(٢).

شكلت في الكوفة محكمة عسكرية خاصة لمحاكمة اعضاء الجمعية المشاركين في الانتفاضة، واصدرت قرارها باعدام اربعة عشر منهم، كما صدر حكم على تسعة اخرين بالسجن لمدة تتراوح بين اربع سنوات والسجن المؤبد، فضلاً عن نفي (١٢٣) شخصاً إلى الهند بصفة اسرى حرب، وقد نفذ حكم الاعداد بحق احد عشر منهم في الكوفة فجر يوم الثلاثين من ايار ١٩١٨ ^(٣). بينما خففت الاحكام

تسليم مائة شخص من المحلات الثائرة إلى السلطة لنفيهم إلى خارج النجف بصفتهم اسرى حرب.

العرب ((صحيفة)) ، العدد ٨٤ ، بغداد (١٩١٨/٤/٩) ، ص ١.

(١) عبد الله فهد النفيسي ، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٣، ص ٦٠.

(٢) حميد عيسى حبيبات، المصدر السابق، ص ٧٢.

(٣) وهم كل من: الحاج نجم البقال، مجيد مهدي دعييل ،جودي ناجي، علوان علي الرماحي، عباس علي الرماحي، محسن ابو غنيم، كاظم ضبي، سعيد مملوك، كريم الحاج سعد، احمد الحاج سعد، محسن الحاج سعد. كامل سلمان الجبوري ،النجف الاشرف ومقتل الكابتن مارشال ١٩١٨، ط١، بيروت، المواهب للطباعة، ص ١٧٤؛ عبد الله فهد النفيسي، المصدر السابق، ص ٦٢؛ علي الوردي، لمحات اجتماعية ...، ج ٥، ص ٢٤٨.

من الاعدام إلى النفي بحق الشيخ محمد جواد الجزائري والسيد محمد علي بحر العلوم، على اثر وساطة قام بها السيد اليزدي والميرزا الشيرازي لدى السلطات البريطانية، بعدهما لم يشاركا فعلياً بقتل المارشال ولمكانتهما الدينية ^(١)، وتمكن احد المحكومين من الفرار .

القساوة التي يصفها الشيخ النائي بقوله: " رأيت في ساعة واحدة وفي طريق واحد زهاء ثماني جنائز من الفقراء ماتوا جوعاً واطفال ماتوا ضحية جفاف الحليب ومئات من الامهات اسقطن حملهن خوفاً " ^(٢) والاحكام المفردة بالاعدام والنفي، ولدت الغضب لدى مختلف شرائح المجتمع في النجف وبقية المدن العراقية ؛ مما يدفعنا إلى القول ان انتفاضة ١٩١٨ كانت بمثابة الصعقة التي نبهت العراقيين إلى خطر الاحتلال البريطاني ومخططاته المستقبلية على العراق. ونجد ذلك بوضوح في كلام المس بيل ^(٣) عن الانتفاضة، فهي في بدايتها تصف مقتل النقيب مارشال "...

(١) كامل سلمان الجبوري، السيد محمد كاظم اليزدي...، ص ٢٢٠-٢٢١؛ مذكرات شاهد عيان عن ثورة عام ١٩١٨، نشر وتعليق عمار عبودي نصار، الملتقى ((مجلة)) عدد ٤، بغداد، ٢٠٠٦، ص ١٠٠.

(٢) نقلاً عن : امجد اسعد شلال، المصدر السابق، ص ١٦٥.

(٣) غرترود ماغريت لوثيان بيل G.M.L.Bell الشهيرة بالمس بيل، سياسية بريطانية، ولدت عام ١٨٦٨ في مقاطعة يوركشاير ببريطانيا، درست التاريخ في كلية الملكة Queen's College، وامتت تعليمها في كلية السيدة جوكرت في جامعة اكسفورد عام ١٨٨٧، استهوتها اللغة العربية وزيارة المنطقة العربية، عملت في المخابرات البريطانية لدراسة هذه المنطقة وتقييم وضعها، عينت سكرتيرة الشرقية للمندوب السامي البريطاني، كانت ضمن السياسيين البريطانيين الذين رسموا السياسة البريطانية في العراق، توفيت في بغداد عام ١٩٢٦ ودفنت فيها. للمزيد ينظر: محمد يوسف ابراهيم القريشي، المس بيل

ولم يكن لمقتله أي نوع من الأهمية السياسية، هنالك عصابة صغيرة من الاوغاد اللعناء في النجف [كذا] كانت تحصل لنا على الدوام مشاكل معهم ...^(١) في حين في نهايتها تقول "... كربلاء والنجف بعد مقتل مارشال واعداد قاتليه بقيتا معاً تكونان قبلة للفوران السياسي الذي كانت تسهل اشارته برد الفعل للحوادث التي تقع في العراق .."^(٢).

اخيراً ان القرون الطويلة التي عاشها العراق تحت السيطرة الاجنبية، وما ميز هذه السيطرة من تمييز مذهبي وتهميش لهذا المكون او ذاك، لبث الفرقة لاسيما بين ابناء القومية الواحدة والدين الواحد (السنة والشيعية) لاسباب في جوهرها سياسية وان لبست لبوس الطائفية بغية ترسيخ سيطرتها - كما سبق - من جهة وطغيان العصبية العشائرية والقبلية في الريف والبادية - ذي الاغلبية السكانية - ومن مظاهرها شيوع العلاقة الابوية بين شيخ العشيرة وافرادها، وتكاتف الجميع في مواجهة صعاب الحياة وتتجلى في الدفاع عن حقوق العشيرة في ارضها وما يتخلل ذلك من صراع بين العشائر ، فضلاً عن ترسيخ الروح الفئوية في المدن وتتمثل ببروز جماعات الوجاهة من رؤساء المحلات وكبار التجار والوجهاء المنتمين لعوائل دينية او عشائرية معروفة، نتيجة لضعف السلطات واعتمادها على هؤلاء في الحفاظ على بنيتها الاساسية^(٣). ناهيك عن ان ضعف السلطة من شأنه ان يدفع الفرد إلى المجموعة المناطقية او المذهبية التي ينتمي اليها في سبيل تأمين مصالحه من جهة

واثرها في السياسة العراقية حتى عام ١٩٢٦ ، بغداد، ٢٠٠٢ ؛ مذكرات المس بيل

الjasوسة البريطانية، ط٢ ، ترجمة جعفر الخياط، مكتبة النجار، بغداد، ٢٠٠٦.

(١) المس بيل ، العراق في رسائل المس بيل، ص ٧٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٣) غسان العطية، العراق نشأة الدولة ، ص ٣٥.

أخرى ، قد أسهم في تأخر تبلور وعي وطني او قومي ؛ ويدخل في هذا الاطار ضعف الانتليجنيسيا العراقية (الفئة المثقفة من المتعلمين المتأثرين بالثقافة الغربية) وعدم سعيها إلى ايجاد رأي عام يدعو إلى استقلال البلاد او في الاقل بث الوعي الوطني، بالرغم من التغيير الذي اصاب البنية الاجتماعية والاقتصادية في اعقاب الانفتاح على السوق الرأسمالية على اثر افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ (١) ، وتبلور ما يمكن تسميته بـ(التكوين الجيني للطبقة في العراق)، الامر الذي يدفعنا الى القول ان انتفاضة النجف اشترت بداية تبلور الوعي الوطني في العراق .

٢- الموقف من استفتاء (١٩١٨-١٩١٩):

(١) ادى زيادة قيمة الانتاج الزراعي والحيواني إلى انتقال الاقتصاد العراقي من الطبيعي او المغلق المعد للاستهلاك المحلي، إلى اقتصاد السوق الموجه للتصدير إلى الاسواق الرأسمالية، الامر الذي زاد من قيمة الارض، وبالتالي عمل على انهيار النظام القبلي لمصلحة الملكية الخاصة. إذ ان حاملي سندات الملكية "الطابو" وهم في الاغلب من كبار شيوخ العشائر عملوا جاهدين على حفظ مصالحهم الخاصة، وانتقل الكثير منهم للسكن في المدن إلى جانب حاملي السندات الاخرين من كبار التجار والموظفين، لتتبلور في العراق ظاهرة (الملاك الغائبين) . وبذلك تحقيق السياسة العثمانية التي وقفت خلف اصدار هذه السندات في عهد الوالي مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧١) والمتمثل ضرب المؤسسة القبلية وتوطين العشائر بغية اخضاعها لسيطرة الدولة ؛ فضلاً عن ان اقتصاد السوق ادى إلى تقليص نسبة البداوة وانشاء مدن جديدة، كذلك ظهور البرجوازية الاجنبية المعروفة بـ(الكومبورودار) وهم التجار الذين يتولون مهمة تصدير المنتجات إلى السوق الخارجية، فضلاً عن كونهم وكلاء للشركات الاجنبية في العراق. للمزيد ينظر: محمد جبار إبراهيم، البنية الاجتماعية والاقتصادية، ص ١٦-٥٩؛ عزيز سباهي، عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي، ط٢، ج١، دار الرواد، دمشق، ٢٠٠٧، ص ١٩-٣٦.

شهدت مرحلة ما بعد انتفاضة النجف مداولات بين المرجعيات الاصلاحية لتقييم الواقع العراقي، وفيها شخص شيخ الشريعة الاصفهاني والشيخ عبد الكريم الجزائري^(١) سبب اخفاق الانتفاضة بعدم نضوج الظروف لثورة عامة ضد البريطانيين. والاتفاق على الاعداد الجيد لتوفير مستلزمات تلك الظروف ، وفي مقدمتها نيل تأييد الميرزا محمد تقي الشيرازي - الذي تلي مرجعيته السيد اليزدي

منزلة - وكسبه دعم العشائر^(٢).

وجاءت الخطوة الاولى من الشيخ عبد الكريم الجزائري، إذ بادر في الثالث من تموز ١٩١٨ إلى تأسيس حزب سياسي سميّ بـ(حزب النجف السري) ضم في عضويته عدداً من علماء الدين^(٣) ومجدي النجف^(١)، وحدد الحزب هدفه بتحقيق

(١) الشيخ عبد الكريم الجزائري: مرجع ديني ومصلح سياسي ولد في النجف عام ١٨٨٩، ودرس على يد كبار الفقهاء، أسهم في حركة الجهاد ضد الاحتلال البريطاني، دعم انتفاضة النجف وشارك في ثورة العشرين، دعم الاحزاب الوطنية ابان مرحلتي الانتداب والاستقلال ، أسس مدرسة دينية في النجف، له مؤلفات عدة منها: تعليقه على مكاسب الشيخ الانصاري، وشرح العروة الوثقى، وديوان شعر. توفي في النجف عام ١٩٦٢ . للمزيد ينظر: حيدر المرجاني، النجف الاشرف قديماً وحديثاً، ج٢، بغداد، ١٩٨٨، ص٤٥؛ حميد المطبعي، المصدر السابق، ج١، ص١٣١.

(٢) عبد الجبار حسن الجبوري، الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي (١٩٠٨-١٩٥٨) ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٧٧، ص ٤٧-٤٨ ؛ حسن الاسدي، ثورة النجف ... ، ص ٣٧١-٣٧٣.

(٣) ومنهم : الشيخ محمد جواد الجزائري، والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي، والشيخ مهدي الملا كاظم الخرساني؛ اخلاص لفته الكعبي، المصدر السابق، ص ١١٥.

استقلال العراق (٢). ونال الحزب تأييد الميرزا محمد تقي الشيرازي، حيث نجح أعضائه باستقدامه إلى كربلاء بغية الافادة من مرجعيته المنفتحة في التقليل من تأييد مرجعية السيد اليزدي المحافظة على العشائر (٣).

كما تمكن الحزب من استقطاب العديد من شيوخ عشائر الفرات الاوسط(٤)، وكان هؤلاء مهياًون للانخراط في نشاط وطني معاد للاحتلال البريطاني ، ليس لشعورهم بالمرارة والتقصير ازاء ما جرى من انتهاك لحرمة النجف واستباحة دماء ابنائها فقط ، بل ايضاً عشائر الفرات الاوسط شعرت بالخطر من قيام البريطانيين بفرض سيطرتهم المباشرة عليها، ومشروعهم في تطبيق سياستهم العشائرية التي مارسوها في جنوب العراق والقاضية بحصر السلطة بيد شيخ واحد في كل منطقة، يفضل عن غيره من الشيوخ، وتخفف عنه الضرائب نظير حمايته للمصالح

(١) ومنهم : محمد رضا الشيببي ، وسعيد كمال الدين ، ومحمد رضا الصافي، ومحمد باقر الشيببي ، وحسين كمال الدين، وسعد صالح ، وعلي الشرقي، واحمد الصافي، ومحمد علي كمال الدين . مذكرات محمد علي كمال الدين، ط ١ ، تقديم : كامل سلمان الجبوري ، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦، ص ٧٧.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٧ ؛ صفحات من مذكرات السيد حسين كمال الدين ، تقديم : كامل سلمان الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد، ١٩٨٧ ، ص ١٢-١٣ ؛ عبد الجبار حسن الجبوري، المصدر السابق ، ص ٤٧-٤٨.

(٣) عبد الحلیم الرهيمي، المصدر السابق، ص ١٩٩ ؛ عبد الستار شنين الجناني، تاريخ النجف السياسي، ص ٣٦.

(٤) ومنهم : علوان الياصري، وكاطع العوادي، وعبد الواحد الحاج سكر، وعلوان الحاج، وغثيث الحرجان، وشعلان ابو الجون، وهادي زوين، وعبد الرزاق عوده. عبد الجبار حسن الجبوري، المصدر السابق، ص ٤٧-٤٨.

البريطانية في المنطقة ^(١). وهي سياسة تهدف إلى بث التآحر بين العشائر لضمان اخضاعها.

و شرع في كربلاء الميرزا محمد تقي الشيرازي في اوائل تشرين الثاني ١٩١٨ بتأسيس جمعية سياسية سرية اسمها (الجمعية الوطنية الإسلامية) ^(٢) اناط رئاستها لنجله الشيخ محمد رضا ^(٣)، وضمت عضويتها عدداً من علماء الدين ^(٤). وهدفت الجمعية إلى مقاومة الاحتلال البريطاني للعراق وتأمين استقلاله تحت رعاية ملك مسلم هو من انجال الشريف الحسين شريف مكة وتحقيق الوحدة العربية ^(٥) . وقد مهدت في انهاء الصراعات والخلافات بين شيوخ العشائر بغية توحيد الصف الوطني وتوجيهه باتجاه قضية العراق الاولى وهي الاستقلال عن النفوذ الاجنبي، فضلاً عن عملها على بث الروح الوطنية والاسلامية في العديد من

(١) نديم عيسى ، الفكر السياسي لثورة العشرين، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢ ، ص ٣٥-٣٦.

(٢) عبد الحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص ١١٩.

(٣) الشيخ محمد رضا الشيرازي، اكبر ابناء الميرزا الشيرازي، ولد في سامراء، كان متحمساً لقضية استقلال العراق ومؤمناً بالنهج الثوري لتحقيق ذلك. اعتقل من قبل السلطات البريطانية ونفي إلى جزيرة هنجام، ثم افرج عنه ورحل إلى فارس فاستقر فيها حتى وفاته عام ١٩٥٧ . عنه ينظر: علاء عباس نعمة، المصدر السابق، ص ١٩-٢٠ ؛ نور الدين الشاهروردي ، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء، ط١، دار العلوم ، بيروت، ١٩٩٠ ، ص ٢٤٧.

(٤) وهم كل من : السيد هبة الدين الشهرستاني، السيد حسين القزويني، والسيد عبد الوهاب، والشيخ ابو المحاسن، والشيخ عبد الكريم العواد، والشيخ عمر الحاج عوان، والشيخ عبد المهدي قنبر. حسن شير، المصدر السابق، ص ٧٥-٧٦؛ حسين بركة الشامي، المرجعية الشيعية من الذات الى المؤسسة، ط٣، دار السلام ،بغداد، ٢٠٠٦ ، ص ٩٣.

(٥) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى ، ص ١١٩-١٢٠ ؛ عبد الجبار حسن الجبوري، المصدر السابق، ص ٥٤.

مدن العراق، من خلال المنشورات التي كانت توزعها فيها وحملت شعارات مثل (حب الوطن من الايمان) و (للوطن نحيا وللوطن نموت) (١).

عبر هذا الحراك السياسي عن وعي سياسي عند هذه الزعامات العراقية، مقترباً بوجود تصاعد في الصراع الدعائي الدولي وبشكل خاص بين الماركسيين والراسماليين الذي جاء في سياقه اصدار البيان الفرنسي - البريطاني في السابع من تشرين الثاني ١٩١٨ ونشره في بغداد في اليوم التالي، وما جاء فيه : " ان الغاية التي ترمي اليها كل من فرنسا وبريطانيا العظمى في خوض غمار الحرب في الشرق، من جراء اطماع المانيا، هي تحرير الشعوب التي طالما رزحت تحت اعباء استعباد الاتراك تحريراً تاماً نهائياً، وتأسيس حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من رغبة نفس السكان الوطنيين ومحض اختيارهم، وتنفيذاً لهذه الغايات قد اتفقت كل من فرنسا وبريطانيا العظمى على تشجيع ومساعدة انشاء حكومات وادارات وطنية في كل من سوريا والعراق ... " (٢) الذي ايضاً لم تخرج اسباب اصداره عن نطاق ادراك الطرفين تنامي المشاعر المعادية لاحتلالهما، قد رفع معنويات القوى الوطنية في العراق، ليس لثقتها بالوعود البريطانية التي خبروها منذ الايام الاولى لاحتلالها لبغداد (٣)، لكنه اكد لها صواب الطريق الذي تبنته . ويبدو ان المسؤولين البريطانيين في العراق قد ادركوا ذلك ، وهذا ما تصفه المس بيل " ضرورة يؤسف لها ، وتضيف : ان البلاغ [البيان] فسح المجال لامكانات اخرى كانت تعتبر في صورة

(١) عبد الرزاق آل وهاب، كربلاء في التاريخ، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٣٥ ، ص ٣٠-٣١.

(٢) نقلاً عن : عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى ، ص ٣٢.

(٣) يدخل في هذا السياق بيان الجنرال مود في ١٧ اذار ١٩١٧ الشهير الذي اكد فيه ان بريطانيا جاءت محررة وليست فاتحة .

عامة امور خطيرة تحمل على التخوف والقلق، ولكنها في الوقت نفسه فسحت المجال للدسائس السياسية ... " (١) وكان ارنولد ولسن (٢) نائب الحاكم المدني العام اكثر وضوحاً في التعبير عن امتعاضه من البيان إذ ابرق إلى الحكومة البريطانية قائلاً: " انه سيورطهم في مشاكل جسيمة ... " ووصف التصريح بأنه نوع من الدجل السياسي الذي سيقع سيقاً ماضياً في ايدي الذين هم اقل الناس لياقة للسيطرة على مصائر شعب من الشعوب (٣).

وفي الثلاثين من تشرين الثاني ١٩١٨ تلقى ولسن تعليمات بعثت بها وزارة الهند، فوضته باجراء استفتاء عام، وان يبعث اليها بتقرير رسمي يوثق الاراء والميول لدى العراقيين بشأن النقاط الثلاث الآتية:

هل يؤيدون اقامة دولة عربية واحدة تحت اشراف بريطاني تمتد من الحدود الشمالية لولاية الموصل حتى الخليج العربي (٤)؟

وفي هذه الحالة هل يرون تنصيب رئيس عربي فخري على هذه الدولة الجديدة ؟

(١) نقلاً عن : عبد الله النفيسي ، المصدر السابق، ص ١١٣.

(٢) ارنولد تالبوت ولسن Arnold Talbot Wilson : (١٨٨٤-١٩٤٠) عسكري وسياسي بريطاني، تخرج من الكلية العسكرية عام ١٩٠٣ وخدم في الهند، شارك في الحملة البريطانية على العراق وعين مساعداً للضابط السياسي الاقدم برسي كوكس ، تولى منصب نائب الحاكم المدني العام خلفاً لبرسي كوكس عام ١٩١٨ ، اهتمته الصحافة البريطانية بأنه يسعى إلى " تهديد العراق " ، وعين بعد تركه للعراق عام ١٩٢٠ مديراً لشركة النفط الفارسية، قتل في الحرب العالمية الثانية. للمزيد ينظر: سؤدد مهدي كاظم، ارنولد ولسن ودوره السياسي في العراق ١٩١٨-١٩٢٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب - جامعة بغداد، ١٩٩٥.

(٣) نقلاً عن : عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص ٣٢.

(٤) ورد في النص الاصلي مصطلح الخليج الفارسي .

وان كان الامر كذلك فمن يفضلونه رئيساً؟

اختتمت التعليمات بالتأكيد على ضرورة ان يكون التقرير صحيحاً ويعبر بصدق عن الرأي العام للسكان في العراق (١). والملاحظ على هذه الاسئلة انها صيغت بطريقة دقيقة بحيث تحصر الاجابة في مجال واحد هو ضمان السيطرة البريطانية على العراق، ذاك ان مسألة الوصاية البريطانية لا تقبل الاعتراض او الرفض، ويدخل في هذا الاطار الصفة الاسمية لرئيس الدولة.

وجد ولسن في الاستفتاء فرصة ليثبت صحة رأيه الذي يمثل وجهة نظر حكومة الهند والقاضي باستمرار الحكم البريطاني المباشر على العراق، فبعث بتعليماته إلى الحكام السياسيين في مختلف انحاء العراق، حثهم فيها على توجيه الاراء نحو القبول بالحكم البريطاني المباشر، عن طريق عقد اجتماعات مع الزعامات المحلية تسبق يوم الاستفتاء لضمان ان تكون الاجابات مرضية وملائمة (٢).

عدت الحركة الاستقلالية (حزب النجف السري والجمعية الوطنية الإسلامية) بعد ان علمت بنوايا ولسن عن طريق احد الموظفين العرب في دائرة الحاكم السياسي في النجف الاستفتاء محاولة لشرعنة الاحتلال البريطاني، لذا نسقت جهودها من اجل افشاله (٣).

(١) غسان العطية، العراق نشأة الدولة، ص ٢٣٥.

(٢) ارنولدي ولسن ، بلاد ما بين النهرين بين ولاتين، ط١، ج٢، ترجمة فؤاد جميل، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧١ ، ص ٣٢٣ ؛ علي الوردي، لمحات اجتماعية...، ج٥، ق١، ص ٩٢.

(٣) يذكر ان موظف اسمه مصطفى خرمة قد سرب هذه المعلومات إلى عضو الحزب محمد علي كمال الدين، وتم بعدها اعلام الجمعية الوطنية. محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين...، ص ١٠٥.

وارتأى ولسن ان تكون النجف اول مدينة يجرى فيها الاستفتاء، وان يشرف بنفسه عليه كي تكون النتيجة المعلنة عنها قدوة للمناطق الاخرى، فالتقى في الثالث عشر من كانون الاول ١٩١٨ وجهاء وشيوخ عشائر قضاء الشامية والنجف ومعهم الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ عبد الواحد الحاج سكر، والسيد محسن ابو طبيخ، والسيد هادي النقيب والشيخ محمد رضا الشبيبي، والسيد علوان الياسري^(١).

وبعد ان تحدث عن عدالة حكومته سألهم : هل تريدون حكماً أم حكومة عربية ؟ فرد هادي النقيب قائلاً: " لانريد سوى بريطانيا " ، فرد عليه عبد الواحد الحاج سكر " بل نريد حكومة وطنية عربية " ، ثم قال محمد رضا الشبيبي : " ان الشعب العراقي يرتأي ان الموصل جزء لايتجزأ من العراق، وان العراقيين يرون من حقهم ان تتألف حكومة وطنية مستقلة استقلالاً تاماً، وليس فينا من يفكر باختيار حاكم اجنبي"، مما اثار غضب ولسن، وعندئذ اقترح علوان الياسري تأجيل الاجتماع حتى يتم استشارة المرجع الاعلى ، فوافق ولسن وغادر النجف بعد ان كلف الرائد نور بري M.Norbary حاكم النجف السياسي باستكمال الاستفتاء^(٢).

وحينما عرض الأمر على السيد اليزدي اقترح ان يعقد اجتماع عام تحضره جميع فئات المجتمع النجفي للمداولة وموافاته بالنتيجة. وبالفعل عقد في اليوم التالي هذا الاجتماع فجرى الكلام بشأن الاسئلة والاجوبة بنطاق واسع، واشتد النقاش، وفي النهاية نجح اعضاء حزب النجف في اقناع المجتمعين بأن الانسب للعراق هو

(١) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص ٥٦ ؛ علي الوردي، لمحات اجتماعية ... ، ص ٩٢.

(٢) للمزيد عن الاجتماع ينظر: جعفر باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ج ١، ص ٢٥٨ ؛ فريق المزهري آل فرعون، المصدر السابق، ص ٧٦ ؛ مذكرات السيد محسن ابو طبيخ ١٩١٠-١٩٦٠، ط ١، جمع وتحقيق جميل ابو طبيخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١، ص ٦٨-٦٩.

حكومة عربية مستقلة يرأسها احد انجال الشريف حسين ملك الحجاز^(١). ويبدو ان اختيار احد انجال الشريف تولد بوصف الاخير قد اعلن الثورة ضد العثمانيين وطالب بدولة عربية ، فضلاً عن كونه مقرب من البريطانيين مما اعطى انطباعاً انهم سيرحبون بأحد انجاله ملكاً على العراق .

وبعد عرض ما توصل اليه المجتمعون على السيد اليزدي اعتذر عن ابداء أي رأي وقال: " انا رجل لا اعرف السياسة، بل اعرف هذا حلال وهذا حرام" وبعد الالاح عليه، قال " اختاروا ما فيه صلاح للمسلمين" ^(٢). وعلى الأرجح انه قد اخرج او ظن انهم لم يتوصل والى مثل هذا القرار .

والجدير بالذكر ان ولسن قد التقى اليزدي في منزله في الكوفة، وقد ارسل تقريراً إلى حكومته ذكر فيه ان اليزدي طلب ان تراعي بريطانيا مصلحة الشيعة ولاسيما الجماهير، وانه يجب بقاء العراق تحت الحكم البريطاني حتى يتمكن العراقيون من ادارة شؤونهم بانفسهم، فضلاً عن استحالة ايجاد شخص يكون مقبولاً لحكم العراق ^(٣).

ان تبرم السيد اليزدي عن دعم المطالب الوطنية، وما جاء في تقرير ولسن - ان صح - لا يخرج عن سياق رؤيته المحافظة التي لاتؤمن بالمفاهيم الحديثة كالدولة الوطنية والحكم الدستوري، فكان موقفه السلبي هذا في مصلحة بريطانيا.

(١) فريق المزهر آل فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية في ١٩٢٠ ونتائجها، ط٢ ، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٩٥، ص ٧٨ ؛ عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص ٥٧ ؛ وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠ ، الادوار السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق الحديث، ط٢، بغداد، ١٩٨٥ ، ص ٣٠٥.

(٢) نقلاً عن : علي الوردي ، لمحات اجتماعية ... ، ج ٥ ، ق ١ ، ص ٩٦.

(٣) غسان العطية، العراق نشأة الدولة، ص ٣٥٥.

وبعد وضع اللمسات الاخيرة على المضبطة قدمت إلى الحاكم السياسي البريطاني، وقد جاء فيها : " قررنا على ان تكون لنا حكومة عربية إسلامية ملكية دستورية مقيدة بقانون اساسي بشرط ان لا يخالف قواعدنا وعاداتنا وشعائرننا الدينية منها والوطنية تحت ظل ملك عربي وهو احد انجال الشريف حسين ، هذه رغبات الامة العراقية لا نحيد لا نتنازل عنها " (١).

رفض الحاكم السياسي استلامها بحجة احتوائها على مصطلح الاستقلال مما يخالف الاسئلة الثلاثة، فاضطر النجفيون إلى تقديم مضبطة اخرى تطالب بانشاء حكومة عربية تحكم العراق بحدوده الطبيعية يرأسها ملك عربي هو احد انجال الشريف حسين (٢) . ولم يرضيه ذلك، فاتصل ببعض الوجهاء الموالين لبريطانيا وشجعهم على تقديم مضابط تؤيد وجهة النظر البريطانية، فتمكن من الحصول على (١٤) مضبطة اكدت على ضرورة بقاء الحكم البريطاني المباشر على العراق (٣).

اما كربلاء فقد جاء في مضبطتها " ... تقرر رأينا على ان نستظل بظل راية عربية إسلامية فاننخبنا احد انجال سيدنا الشريف حسين ليكون ملكاً علينا مقيداً بمجلس منتخب من اهل العراق لتسنين القواعد الموافقة لروحية هذه الامة" (٤).

ولاجل قطع الطريق امام أي محاولة بريطانية لتنظيم مضبطة اخرى مؤيدة لهم، اصدر الميرزا محمد تقي الشيرازي فتوى في الثالث والعشرين من كانون الثاني

(١) نقلاً عن : حسن الاسدي، ثورة النجف ... ، ص ٣٦٦.

(٢) محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، ج٢، مطبعة الفلاح، بغداد، ١٩٢٤، ص٤٨.

(٣) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٣١٨ ؛ عبد الستار شنين الجنابي، مصدر سابق، ص ٤٤ - ٧٣.

(٤) نقلاً عن: علي البازكان ، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ، ط ٢ ، مطبعة الاديب، بغداد ، ١٩٩١، ص ٥٥ .

عام ١٩١٩ نصت: " ليس لاحد من المسلمين ان ينتخب ويختار غير المسلم للامارة والسلطنة على المسلمين " (١). وقد أيدھا سبعة عشر عالماً دينياً في كربلاء، كما جھدت الجمعية الوطنية الإسلامية على نشرھا في مختلف مناطق الفرات الاوسط (٢).

وقدم وجھاء الكاظمية وبغداد مضبطين متشابهتين، إذ تم اختيار احد انجال الشريف حسين ملكاً على العراق (٣). وبأستثناء معارضة مدن (النجف ، كربلاء، الكاظمية ، بغداد) اسفرت عملية الاستفتاء في عموم العراق عن تنظيم الحكام السياسيين مضابط كثيرة بعضها دون اكراه وقع عليها كبار الملاكين والتجار وكبار شيوخ العشائر وممثلي الاقليات غير المسلمة، والبعض الاخر بالاكراه والضغط طالبت بالحكم البريطاني المباشر (٤) . وعرض ولسن نتائج الاستفتاء على حكومته مدعياً ان اكرثية سكان العراق ترغب في استمرار الحكم البريطاني المباشر وان الاقلية ترغب بالحكم العربي (٥) بين الاستفتاء ان رغبة الحركة الاستقلالية تتمثل بألستقلال الوطني ثم تأسيس مجلس نيابي يمثل الشعب العراقي.

٣- دورھا في اعداد وقيادة ثورة العشرين ١٩١٩ - ١٩٢٠ :

(١) نقلاً عن : المصدر نفسه ، ص ٥٦.

(٢) عبد الرزاق آل وهاب، المصدر السابق، ص ٤٥-٤٧.

(٣) للمزيد ينظر: علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج٥، ق ١ ، ص ١٠٤-١٠٧ ؛ عبد الرزاق الحسني ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، ط١، صيدا، ١٩٣٨ ، ص٧٢-٧٣.

(٤) فيليب ويلارد ايرلند ، المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٥) عبد الله النفيسي، المصدر السابق، ص ١٢٧.

وجدت المرجعيات الدينية المعارضة للحكم البريطاني في الميرزا محمد تقى الشيرازي لاسيما بعد ان اعلن موقفه الصريح تجاه السياسة البريطانية من خلال فتواه بشأن الاستفتاء، سنداً قوياً لها بعدما تخلى المرجع الاعلى السيد اليزدي عن دوره المفترض في التعامل مع هذه المرحلة الحرجة. وتؤشر الرسالة التي بعثها الميرزا الشيرازي وشيخ الشريعة الاصفهاني في العشرين من شباط ١٩١٩ إلى الرئيس الامريكي ودورو ولسن^(١)، بعدما شاع في العراق تبنيه لحق تقرير المصير للشعوب المحتلة^(٢)، مدى التنسيق بين المرجعين ، فالرسالة جاءت رداً على نتائج الاستفتاء، ومحاولة لايجاد دعم دولي لمشروعية حق العراقيين بالمطالبة بالاستقلال، ومما جاء

(١) توماس ودورو ولسن Thomas Woodrow Wilson (١٨٥٦-١٩٢٤) : رجل دولة امريكي، حصل عام ١٨٧٩ على الدكتوراه من جامعة برينستون في القانون، عمل لمدة ثمان سنوات رئيساً للجامعة نفسها ، عضو في الحزب الديمقراطي، انتخب في عام ١٩١٣ رئيساً للولايات المتحدة ثم فاز بولاية ثانية عام ١٩١٦ ، في عهده دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الاولى في (١٩١٧/٤/٧) صاحب البنود الاربعة عشر الشهيرة. ينظر: كمال مظهر أحمد، اضواء على قضايا دولية في الشرق الاوسط، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨، ص ٣٩-٤٣.

(٢) يذكر ان صحيفة العرب البغدادية قد نشرت في (٣١/ كانون الثاني/ ١٩١٨) نبذة عن البنود وقالت انها تستهدف " تلبية نداء الشعوب المستعمرة والاذعان لرغباتها " على العكس من الترجمة الحقيقية للبند الثاني عشر الذي ورد فيه كلمة " الاستقلال الذاتي " وليس الاستقلال ويبدو ان الوطنيين والقوميين في العراق شأنهم شأن الاحرار في المنطقة العربية قد وضعوا امالهم على البنود الاربعة عشر، ونجد صدى ذلك في قول محمد مهدي البصير " ان اعلان مبادئ الرئيس ولسن الذي كان وقتئذ رسوياً للحرية الاكبر تحقق لدينا ان العرب شعروا جميعاً بان مساعي انشاء الامبراطورية العربية قد دنت " . ينظر: كمال مظهر أحمد ، اضواء على قضايا ... ، ص ٥٥-٧٥ ؛ محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، ج ١، ص ٥٥.

فيها " وحيث قد وجد مانع قوي يمنع من اظهار رغائب كثير من العراقيين على حقيقتها ... فرغبة العراقيين جميعهم والرأي السائد بما انهم أمة مسلمة ان تكون حرية قانونية واختيار دولة جديدة عربية مستقلة إسلامية وملك مسلم يقيد بمجلس وطني ، واما الكلام في امر الحماية فأن رفضها او الموافقة عليها يعود إلى رأي المجلس الوطني " (١) . ويلاحظ في هذه الرسالة دقة اختيار المصطلحات السياسية وطرحها المنطقي الذي اريد منه التعريف بأن في العراق وعي سياسي قادر على ان يتعامل مع مسألة الاستقلال وتأسيس دولة .

وبعد وفاة السيد اليزدي في الثلاثين من نيسان ١٩١٩، تصدى الميرزا الشيرازي للمرجعية العليا (٢)، وبالرغم من اقامته في كربلاء الا ان المرجعيات الكبرى في النجف اقرت باعلميته، ويبدو انه فضل عدم الانتقال إلى النجف - التي استمرت مركزاً للمؤسسة الدينية للشيعة في العراق - لادراكه ان فيها من المرجعيات الاصلاحية ما يغنيها عن مجيئه اليها، وان الوضع السياسي في العراق يتطلب بقاءه في كربلاء لكي تتعدد المراكز الدينية المعارضة للسياسة البريطانية.

ادى هذا التغيير إلى انكفاء التيار المحافظ ومؤيدوه الذين كانوا عائقاً امام تفعيل الحركة الاستقلالية لنشاطها المعادي للبريطانيين سواء حزب النجف السري أو غيره من وطنيي النجف (٣) من جهة، ومن جهة اخرى سيطرة المرجعيات الاصلاحية على الحوزات العلمية، لاسيما مرجعية شيخ الشريعة الاصطفهاني،

(١) عن نص الرسالة ينظر: كامل سلمان الجبوري، شيخ الشريعة، ص ١٥١.

(٢) علي الوردي، لمحات اجتماعية ... ، ج ٥ ، ق ١، ص ٨٤.

(٣) يذكر ان السيد محمد علي آل بحر العلوم قد شكا من إعاقة التيار المحافظ لنشاطه الثوري فضلاً عن نشاط زملائه بعد اخفاق انتفاضة النجف ١٩١٨. عدي حاتم المفرجي، النجف الاشرف... ، ص ٢٦٦.

ويعكس ذلك الرسالة التي بعثها في الثالث من حزيران ١٩١٩ إلى الامير فيصل

بن الحسين ^(١) ووقعت عليها العديد من مرجعيات النجف من ذوي المكانة الفقهية المرموقة ، والتي فوض فيها فيصل حق المطالبة باستقلال العراق التام العاري عن شائبة الحماية والوصاية البريطانية في مؤتمر الصلح ^(٢) . والرسالة نفسها تشير إلى ادراك المؤسسة الدينية لاهمية تعريف المحافل الدولية والرأي العام العالمي برغبة العراقيين الحقيقية، كمحاولة للضغط على البريطانيين لانهاء احتلالهم للعراق.

وعلى إثر ذلك ارسل اعضاء حزب النجف السري في تموز ١٩١٩ رسائل إلى الشريف حسين يذكرون فيها انهم اختاروا احد انجاله للعرش في العراق، ولاعطائها مصداقية الحق مضمونها برسالة اخرى من الميرزا الشيرازي يطلب فيها من الشريف دعم نجله فيصل للقضية العراقية في مؤتمر الصلح، وقد اخذ الشيخ محمد رضا الشبيبي على عاتقه مسؤولية ايصالهما بسرية خشية وقوعها بيد السلطات

(١) فيصل بن الحسين بن علي ، ولد في الطائف عام ١٨٨٣، درس في اسطنبول واختير عضواً في مجلس " المبعوثان " بعد إعادة العمل بالدستور عام ١٩٠٨، قائد الجيش العربي الذي حرر دمشق عام ١٩١٨ في اعقاب قيام ما عرف بـ(الثورة العربية الكبرى ١٩١٦) نودي به ملكاً على سوريا في ٨ اذار ١٩٢٠ ثم اخرجه الفرنسيون من سوريا بعد انتصارهم على جيشه في معركة ميسلون في (٢٤ تموز ١٩٢٠) ، ملك العراق من ٢٣ اب ١٩٢١ إلى وفاته ٨ ايلول ١٩٣٣ . عنه ينظر: جمال مصطفى مردان ، ملوك العراق فيصل الاول - غازي - فيصل الثاني ، اسرار وخفايا، المكتبة الشرقية ، بغداد ، د.ت ، ص ٩-٣٢ .

(٢) عن نص الرسالة والموقعين عليها . ينظر: كامل سلمان الجبوري، شيخ الشريعة، ص ١٦٩.

البريطانية . وقد ارسل الشريف رسالة جوابية اكد فيها اهتمامه الشديد بتحقيق رغبات الميرزا (١).

ويثار تساؤل هل خلى العراق انذاك من الزعامات المحلية القادرة على حكمه ولماذا وافقت المرجعيات الاصلاحية على اختيار احد انجال الشريف حسين ملكاً عليه؟ ان الاجابة لا تعدو كون طبيعة المجتمع العراقي ذات الصبغة العشائرية قد ولدت منافسة بين هذه الزعامات مما جعل من الصعب قبول احدها باخرى ان رشحت نفسها ، فضلاً عن القرون الطويلة من الاستعمار قد اقلت بظلالها على الوضع الداخلي في العراق وجعلت من الصعب الاتفاق على مرشح محلي . فعد هذا الاختيار اي العائلة الشرفية حلاً وسط يرضي الجميع سيما وانها معروفة باعتدالها الديني ناهيك عن ان ذلك سيدخل في اطار نظام ملكي خاضع لدستور يلبي طموح الشعب ويحفظ مصالحه وكانت المؤسسة الدينية تعي ذلك جيداً .

حاول البريطانيون في كانون الثاني ١٩٢٠ اشغال العراقيين بتشكيل المجالس البلدية بعدها نوعاً من الحكم الذاتي، فاثار ذلك الشيرازي فبادر في مطلع اذار ١٩٢٠ إلى تحرير فتوى شرعية جاء فيها " ان الخدمة في الادارة البريطانية امر تحرمة الشريعة الإسلامية " (٢) فكان لها اثرها البالغ في دفع الكثير من الموظفين إلى ترك الخدمة، إذ قدم اعضاء المجلس البلدي في النجف استقالتهم الجماعية (٣) . وتصف المس بيل تأثير الفتوى بقولها : " وفي اوائل اذار ١٩٢٠ قيل ان الميرزا محمد تقى الشيرازي حرر فتوى تحرم العمل في الدوائر الحكومية وكتب الحاكم

(١) عبد الشهيد الياسري، المصدر السابق، ص ١٣٢ ؛ محمد مهدي البصير، تاريخ القضية

العراقية، ج ١، ص ١٩٠ ؛ علي الوردي، لمحات اجتماعية .. ، ج ٥ ، ق ١، ص ١٥٠ .

(٢) نقلاً عن : عبد الستار شنين الجنابي، تاريخ النجف السياسي ... ، ص ٤٧ .

(٣) غسان العطية، العراق نشأة الدولة ... ، ص ١٣٤ .

السياسي في الديوانية يقول : ان جثة احد الشبانة [الشرطة المحلية التي اسسها البريطانيون ابان الاحتلال] لم يسمح بدفنها حسب الاصول الإسلامية المتبعة وان الاستقالات من خدمة الحكومة تزداد يوماً بعد يوم " (١) .

تلت هذه الخطوة المهمة في طريق المواجهة المباشرة مع البريطانيين، خطوة اخرى تمثلت بدعم الشيرازي لجهود جمعية حرس الاستقلال (٢) في تحقيق التقارب والوحدة بين المسلمين السنة والشيعة (٣) . وتوضح الرسالتان اللتان تسلمهما في السادس والعشرين من اذار من الشيخ أحمد الداود - احد ابرز علماء المسلمين

(١) نقلاً عن : المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب، ط٢، ترجمة جعفر الخياط، دار الرافدين، بيروت، ٢٠٠٤ ، ص ٤٤١ .

(٢) تأسست اواخر شباط ١٩١٩ ، ابرز اعضاؤها السيد محمد الصدر، والشيخ محمد باقر الشبيبي ، وجعفر ابو التمن ، وعلي الباركان، وناجي شوكت، وشاكر محمود، وجلال بابان، وبهجت زينل . ابرز ما جاء في منهاجها : السعي لاستقلال العراق التام، ترشيح احد ابناء الشريف حسين ملكاً على العراق، تحقيق الوحدة الوطنية بغض النظر عن اختلاف الاديان والطوائف ، بذل الجهد للانضواء إلى الوحدة العربية. وأنشأت لها فروعاً في الكاظمية والحلة والنجف و الشامية وفي مدن اخرى. للمزيد ينظر: محمد مهدي البصير ، تاريخ القضية العراقية، ج١، ص ١٣٧-١٣٨ ؛ احلام حسين جميل، الافكار السياسية للحزب العراقية في عهد الانتداب ١٩٢٢-١٩٣٢ ، بغداد، ١٩٨٥ ، ص ١٧ ؛ عادل تقي البلداوي، التكوين الاجتماعي للحزب والجمعيات السياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٥٨، بغداد، ٢٠٠٣ ، ص ١٧-١٨ .

(٣) يورد تقرير بريطاني ما وصفه ب(بعض من حاشية المجتهد الاكبر) انضم إلى حرس الاستقلال.

السنة في بغداد - وجعفر ابو التمن^(١) القيادي في جمعية حرس الاستقلال مثنين جهوده في مناهضة الاحتلال، واجابته عليهما بشكرهما على جهودهما في توحيد صفوف العراقيين^(٢)، مدى العلاقة التي تبلورت بين القيادات الدينية السنية والشيعة.

والجدير بالذكر ان التوجه الإسلامي الوطني البعيد عن النظرة الطائفية الضيقة قد برهنه الميرزا الشيرازي بصورة لا تقبل الشك، بعد توليه للمرجعية العليا ، وحينها عرض عليه ولسن استبدال كليدار مرقد الامامين في سامراء، السني بآخر شيعي، في محاولة للضرب على وتر الطائفية، رفض ذلك قائلاً: "لا فرق عندي بين السني والشيعة وان الكليدار الموجود رجل طيب ولا اوافق على عزله " (٣).

وفي السادس عشر من نيسان ١٩١٩ اجتمع ممثلو حزب النجف السري والجمعية الوطنية الاسلامية وجمعية حرس الاستقلال في النجف وتدارسوا فكرة القيام بالثورة المسلحة على بريطانيا، فاتفقوا على خطوات تمهيدية تسهم في تعبئة الجماهير وتؤكد قيادة الميرزا الشيرازي للحركة الوطنية الاستقلالية ، وذلك بتوزيع منشور بتوقيع الشيرازي يأمر بالوحدة وجمع الشمل، وجعل يوم الجمعة يوم الشعب تعطل فيه

(١) محمد جعفر ابو التمن : سياسي عراقي، ولد في بغداد عام ١٨٨١ ، من اسرة بغدادية تجارية معروفة، درس في الكتاتيب، اسهم في تأسيس المدرسة الجعفرية عام ١٩٠٨، شارك في ثورة العشرين، أسس في عام ١٩٢١ الحزب الوطني العراقي ، عين عام ١٩٢٢ وزيراً للتجارة، وفي عام ١٩٣٦ وزيراً للمالية في عهد حكومة حكمت سليمان، توفي في بغداد عام ١٩٤٥. عنه ينظر: عبد الرزاق الدراجي، جعفر ابو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ١٩٠٨-١٩٤٥ ، ط١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.

(٢) عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية ... ، ص ٢١٣.

(٣) نقلاً عن : علاء عباس نعمة، المصدر السابق، ص ٧٦.

الاعمال وتنصب المنابر في الساحات العامة ليتبارى الخطباء فوقها بما يستلزم الاثارة والتحريض^(١).

وعلى اثر اعلان بريطانيا قبولها الانتداب على العراق في الثالث من ايار ١٩٢٠، بموجب قرار الحلفاء في مؤتمر سان ريمو في الخامس والعشرين من نيسان ١٩٢٠ ، عقد في كربلاء في الرابع من ايار اجتماع في بيت الشيرازي، حضره عدد من اعضاء حزب النجف وجعفر ابو التمن ممثلاً عن حرس الاستقلال. وفيه اكد المجتمعون للشيرازي قدرتهم والعشائر على مواجهة بريطانيا وحفظ الامن، فاجابهم قائلاً: " اذا كانت هذه نياتكم وهذه تعهداتكم فالله في عونكم"^(٢) عدت تلك الجملة اشارة للاذن بالثورة المسلحة، لكن عدم صراحتها دفعهم للاتفاق على تفعيل الطرق السلمية قبل اعلانها^(٣). وقد كانوا محقين فالفتوى التي تعالج شأناً يمس مستقبل شعب، يجب ان تكون صريحة ليس فيها لبس، ولكي تعطي الاثر المرجو منها ايضاً، لذا على الارجح ان الشيرازي قد قصد بكلامه الاستمرار في الاعداد للثورة وتأبيدها حال قيامها وهو ما جرى كما سيأتي.

وبالفعل انتدبت جمعية حرس الاستقلال وبمباركة علماء بغداد المؤيدين لها في السادس والعشرين من ايار وفداً ضم خمس عشرة شخصية دينية ووجهاء من السنة والشيعة، لعرض مطالب اهل بغداد وابرزها تشكيل حكومة وطنية مستقلة^(٤).

(١) علاء عباس نعمة، المصدر السابق ، ص ٧٧ .

(٢) فريق المزهر آل فرعون ، المصدر السابق ، ص ١١١-١١٣ ؛ عبد الستار شنين الجنابي، تاريخ النجف ، ص ٤٩ .

(٣) محمد حرز الدين، معارف الرجال ... ، ج ٢، ص ٢١٦ ؛ عبد الشهيد الياسري، المصدر السابق، ص ١٣٦-١٣٧ .

(٤) جعفر عبد الرزاق ، الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي ، دار الروابي ، بغداد ، ٢٠٠٥، ص ١٤١ .

ولاجل دعم هذه الخطوة شرع النجفيون تنظيم مضبطة وقعها سبعة وثمانون من كبار المرجعيات وفي مقدمتهم شيخ الشريعة والسيد ابو الحسن الاصفهاني ^(١)، ووجهاء شيوخ عشائر النجف، وارسلت إلى الحاكم السياسي ، ومما جاء فيها : " وقد خولناهم ان يجهروا بالصوت العالي في طلب استقلال بلادنا العراقية على حدودها الطبيعية استقلالاً تاماً بتاتاً خالياً من كل مداخلة اجنبية، استقلالاً كاملاً بتأسيس دولة عربية يرأسها ملك مسلم مقيد بمجلس وطني ... " ^(٢) ويبدو واضحاً ان المؤسسة الدينية في النجف مساندة تماماً لمبدأ الدولة المستقلة.

وفي هذه الاثناء انتشر في انحاء بغداد ومدن الفرات الاوسط كافة، نداء حرره الميرزا الشيرازي يحث فيه العراقيين على التظاهر ومساندة المطالب المشروعة في استقلال العراق ^(٣). فازدادت التظاهرات المناهضة لبريطانيا في بغداد ^(٤) ؛ فأعاد

(١) محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، ج ١، ص ٨٤-٨٦.

(٢) السيد ابو الحسن الاصفهاني: فقيه اصولي والمرجع الاعلى للشيعة الامامية في العراق وخارجه في زمانه. ولد في اصفهان في فارس عام ١٨٦٧ هاجر إلى النجف لاكمال دراسته في حوزاتها، من مساعدي الشيخ محد كاظم الخراساني وسانده بقوة ايام المشروطه والمستبد، تناصف المرجعية العليا مع الشيخ النائني بعد وفاة شيخ الشريعة الاصفهاني وانفرد بها بعد وفاة النائني ، له العديد من المؤلفات الفقهية، توفي في النجف عام ١٩٤٦ . جاسم محمد إبراهيم سعد اليساري ، السيد ابو الحسن الاصفهاني دراسة تاريخية ١٨٦٧-١٩٤٦، اطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، ٢٠٠٧ .

(٣) نقلاً عن : كامل سلمان الجبوري، شيخ الشريعة، ص ١٦٧-١٧٣.

(٤) تجدر الاشارة إلى ان هذه التظاهرات كانت تجمع اهل بغداد السنة والشيعة، فقد حرص حرس الاستقلال وعلماء الدين السنة والشيعة المؤيدين لنشاطها على اقامة حفلات المولد

ولسن في السابع عشر من حزيران إلى اعلان سياسة بلاده فيما يتعلق بالعراق والقاضية بتأسيس حكومة مستقلة تضمن استقلالها عصابة الامم تحت اشراف بريطانيا بعدها الدولة المنتدبة على العراق ^(١). وهذا يعني افراغ هذا الاستقلال من محتواه - وبالطبع - رفضت الحركة الوطنية الاستقلالية ذلك .

ولهذا اتخذت المواجهات مع السلطات في كل من كربلاء والحلة طابعاً تصادمية ، وبتوجيه من والده قام الشيخ محمد رضا الشيرازي بارسال رسائل باسمه ، واخرى مختومة بختم والده إلى مناطق الفرات الاوسط يحرضهم فيها على الثورة. فأقدمت السلطات البريطانية في الثاني والعشرين من حزيران على اعتقاله ومساعديه وفتتهم إلى جزيرة هنجام ^(٢)، الامر الذي دفع اعضاء حزب النجف وشيوخ العشائر المؤيدين له إلى الاتفاق على عدم جدوى المطالبة السلمية ^(٣)، مما يعني ان الثورة باتت وشيكة.

النبي ومجالس التعزية الحسينية المشتركة توحيداً للصفوف، مما اغاض البريطانيين وقد علق احد التقارير البريطانية على ذلك بقوله : ((ان الشيعة والسنة ازدادوا ثقة بهذا الاتجاه سواء أكان وهمياً او حقيقياً)).

See: F.O. 371/507/8448/ Mesopotamia Police (Abstract of Intelligence), Baghdad, 22-29 May 1920.

(١) للمزيد ينظر: محمد مظفر الادهمي، المجلس التأسيسي العراقي، ط١، ج١، بغداد، ١٩٨٩، ص ٩٣.

(٢) علاء عباس نعمة، المصدر السابق، ص ٩٩ ؛ علي الوردي، لمحات اجتماعية ... ، ج٥ ، ق١، ص ٢٠٩.

(٣) فريق المزهري آل فرعون ، المصدر السابق ، ص ١٩٥

وكانت بداية اندلاع الثورة ، قيام عشيرة الطوالم في الثلاثين من حزيران ١٩٢٠ بتحرير شيخها شعلان ابو الجون ^(١) من سجنه في سراي الرميثة، واقدامهم على مهاجمة البريطانيين في انحاء الرميثة، إذ حرر على اثرها الشيرازي فتوى الثورة وجاء فيه : " مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والامن ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الانكليز من قبول مطالبهم " ^(٢) وقد طبعت بعشرات الالاف من النسخ ووزعت في معظم المدن والقرى، وقرر شيوخ العشائر الالتزام بنصها فقدموا عدداً من المطالب إلى السلطات البريطانية وهي كالآتي ^(٣):

يمنح العراق استقلالاً تاماً لاتشوبه أي شائبة.

ان يتوقف القتال في الرميثة وضواحيها حالاً.

ان يتخلى الحكام السياسيون مع جميع القوات البريطانية عن مركز الفرات الاوسط وبلدية بغداد.

ان يطلق سراح الشيخ محمد رضا ويفرج عن باقي المسجونين والمنفيين إلى جزيرة هنجام وغيرها بلا شرط.

(١) شيخ عشيرة الطوالم احدى فروع عشيرة بني حجيم القاطنة ناحية الرميثة التابعة إلى لواء الديوانية. كان من اعلام ثورة العشرين، واصبح فيما بعد نائباً عن الديوانية في المجلس التأسيسي ، توفي في (٢٩/كانون الثاني/ ١٩٣٠) . ينظر: جلال كاظم محسن الكفاني، الدور السياسي للعشائر العراقية ١٩١٨-١٩٢٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية - الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٣، ص ٦٤.

(٢) للمزيد ينظر: وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٤٣٣ ؛ علي الوردي، لمحات اجتماعية ... ، ج ٥ ، ق ١، ص ٢٣٥ ؛ فريق مزهر آل فرعون، المصدر السابق، ص ١٩٥.

(٣) اخلاص لفته الكعبي، المصدر السابق، ص ١٣٧.

بعد رفض البريطانيين لهذه المطالب، أعلن شيوخ العشائر المجتمعين في مضيف الشيخ عبد الواحد الحاج سكر في الحادي عشر من تموز بدء الثورة، والتي انتشرت في أرجاء الفرات الأوسط ، ومنها إلى أطراف بغداد، فضلاً عن مناطق أخرى مثل السليمانية وتلعفر وديالى وأجزاء من اللواء الرمادي (١).

أدت المؤسسة الدينية بقيادة الامام الشيرازي دوراً مهماً في قيادة الثورة. وبعد وفاته في السابع عشر من آب ١٩٢٠، تولى شيخ الشريعة الاصفهاني المرجعية العليا، وقد استمر على نهج الشيرازي، إذ ترأس " الهيئة العلمية الدينية العليا " فكانت تشرف على شؤون الثورة العامة (٢) . كذلك رفض العرض الذي قدمه له ولسن في السابع والعشرين من تشرين الاول ١٩٢٠ للتفاوض بشأن انتهاء الثورة واستمر في تأييدها حتى استسلام النجف في العشرين من تشرين الثاني ١٩٢٠ (٣).

ولابد من الإشارة إلى ان المؤسسة الدينية قامت بتوزيع الاموال الشرعية في نصرة الثورة فضلاً عن حل المشاكل بين العشائر (٤). مما يعكس اهميتها في استمرار جذوة الثورة على الرغم من المحاولات البريطانية الحثيثة لضربها من الداخل.

بناءً على ما سبق نجد ان مشروعاً سياسياً عراقياً قد تبلور في هذه المرحلة وكان للمؤسسة الدينية في النجف دورها الكبير فيه، وقد تجسد بالاتي:
العمل على استقلال العراق بعد قرون طويلة من التبعية الاجنبية، ويعكس ذلك مدى النضوج السياسي عند الزعامات العراقية.

(١) عبد الشهيد الياسري، المصدر السابق، ص ١٣٨-١٣٩.

(٢) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص ٢٧٧-٢٧٨.

(٣) عبد الستار شنين الجنابي، تاريخ النجف السياسي، ص ٦٣.

(٤) اخلاص لفنة الكعبي ، المصدر السابق، ص ١٣٩.

تبني الشكل الملكي للدولة، من مختلف الزعامات العراقية ، على اختلاف توجهاتها الفكرية والاجتماعية، وتكمن اهمية ذلك بأن المرحلة الاولى بعد الاستقلال لبناء الدولة قائم على توفير نظام سياسي مقبول.

تبني النظام الدستوري، بعده يمثل الارادة الشعبية وهي من اسس الدولة الحديثة. تحديد هوية الدولة بالاطار العربي - الإسلامي غير الطائفي، يعكس الايمان بان الهوية اساس الوحدة الوطنية العنصر المهم في بناء الدولة الوطنية . التأكيد على الوحدة بين السنة والشيعة بعدهما ابناء شعب واحد دليل على ان متبني مشروع الدولة العراقية المستقلة يعون جيداً اهمية خلق هوية مشتركة في العراق تجمع الهويات الجزئية في وعاء اشمل وهو ما يمثل بناء دولة وطنية مستقرة .

ثانياً: تأسيس الدولة العراقية واشكالية السيادة الوطنية

١ - الحكومة العراقية المؤقتة

دقت ثورة العشرين منذ إعلانها ناقوس الخطر في الدوائر البريطانية المؤثرة في صنع القرار الخاص بتحديد مستقبل العراق السياسي، فهي على الرغم من اختلافها في تحديد اسبابها، سواء أكانت داخلية أم خارجية، الا انها قد ايقنت بأن الحكم البريطاني المباشر لم يعد ممكناً؛ وان إقامة دولة في العراق تحت وصاية بريطانيا بوصفها الدولة المنتدبة، لا بديل عنه (١).

(١) حال اندلاع الثورة انشغلت حكومة الهند ووزارة الهند ووزارة الخارجية ووزارة المستعمرات وهي الجهات التي تشكل اللجنة الشرقية التي انيطت بها عام ١٩١٨ ادارة شؤون العراق ، بمعالجة اسبابها وطرق انتهائها، وتراوحت التقويمات بين عدها مؤامرة من الاتراك او بتأثير الدعاية البلشفية وبعضها ذهبت إلى اسباب داخلية محلية ضيقة. للمزيد ينظر: غسان العطية ، العراق نشأة الدولة، ص ٤٠٧-٤٦٢.

وعبر اللورد كرزن وزير خارجية بريطانيا، عن هذه القناعة صراحة بقوله: " يجب حكم [العراق] من خلال واجهة عربية قدر الامكان وارشاد بريطاني " (١). مما سبق نجد ان الحكومة البريطانية لم تكن جادة في تنفيذ التزاماتها تجاه العراق، وفقاً لما ألزمت نفسها به بقبولها انتداب العراق. إذ نصت " لائحة الانتداب " وهي الالية التي تنظم العلاقة بين الطرفين (المنتدب والمنتدب عليه) على ضرورة تشكيل حكم محلي بمساعدة بريطانية كخطوة اولى في سبيل حكم العراق لنفسه في نهاية المطاف (٢) ويؤكد ذلك ايضاً ما ذكرته المس بيل بقولها: " لم يكن يدور بخلد احد ولا حكومة صاحبة الجلالة، ان يمنح العرب مثل هذه الحرية التي ستمنحهم أياها كنتيجة للثورة ... " (٣) مما يدل على ان ثورة العشرين قد افرجت الساسة البريطانيين امام الرأي العام الداخلي والخارجي، بعد ان افرغت نتائج استفتاء (١٩١٨-١٩١٩) من محتواها، ولهذا ادركوا ضرورة احتوائها والالتفاف حول مبادئها واحراج من يقف خلفها وفي مقدمتهم علماء الدين في مدن العتبات المقدسة، لاسيما ان برسي كوكس قد حملهم المسؤولية المباشرة في قيامها (٤).

أناطت الحكومة البريطانية للسير برسي كوكس الذي عينته مندوباً سامياً على العراق مسؤولية تأسيس دولة في العراق، وزودته في الثامن والعشرين من آب ١٩٢٠، بتعليمات عليه العمل بظلمها في العراق. وتمحورت حول انشاء حكومة

(١) نقلاً عن : غسان سلامة ، المجتمع والدولة في المشرق العربي، ط٢، مركز دراسات

الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٤.

(٢) عن نصه ينظر: عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية ، ج٢، دار الشؤون

الثقافية، بغداد، ١٩٨٨، ص ٣٠١-٣٠٤.

(٣) نقلاً عن : وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٣٩٩.

(٤) عبد الله النفيسي، المصدر السابق ، ص ٦٢-٩٣.

عربية (عراقية) تعترف بالانتداب، وتأسيس نظام حكم مقبول عند سكان العراق يخضع لمشورة المندوب السامي في الشؤون الداخلية والخارجية^(١).

لم يمض وقت طويل حتى بدأت الحكومة البريطانية الترويج لمشروعها الذي هو اقرب إلى وضع " الدولة المحلية المنتدبة " ، إذ أبرقت في السابع عشر من ايلول إلى ادارتها المدنية في العراق لتعلن عن قرب عودة كوكس لتطبيق سياستها الجديدة، والقاضية حسب وصفها بـ " انشاء دولة عربية فيه بأسرع وقت ممكن " ^(٢). في محاولة لتهدئة الاوضاع التي اخذت بعداً خطيراً بعد سيطرة العشائر على العديد من مناطق العراق.

ادركت المؤسسة الدينية في النجف، خطورة هذه الخطوة على ثورة العشرين التي لم تنزل قائمة في الفرات الاوسط ومستقبل العراق، لذلك حذرت الهيئة العلمية التي يرأسها شيخ الشريعة الاصفهاني من مغبة الركون إلى السياسة البريطانية الجديدة، بوصفها لاتخدم المصلحة العراقية^(٣). وطلبت من العراقيين الا يسارعوا في اعطاء الوعود وقطع العهود على انفسهم الا بعد الرؤية والتفكير الرصين^(٤). نجد ان من الطبيعي ان يكون موقف المؤسسة الدينية بهذا الشكل لعدم ثقتها بالوعد البريطانية، فضلاً عن ان مجريات الثورة على الارض كانت مشجعة لتستمر على نهجها.

(1) See: F.O.371/5229/E10752. " Appointment of Sir Percycet as High Commissioner: Instruction of His Majesty's Government " . Rereised Draft, dated August 28, 1920.

(2) F.O.371/5230/E11630. From the Secretary of State for India office to civil Commissioner, Baghdad, dated September 17, 1920.

(٣) عبد الله النفيسي، المصدر السابق، ص ١٦٢.

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٢.

باشر كوكس مهمات عمله رسمياً حال وصوله إلى بغداد في الحادي عشر من تشرين الأول ١٩٢٠ ، وكانت أولوياته اختيار رئيس وزراء الحكومة المؤقتة التي رأى في تشكيلها خطوة مهمة لتنفيذ السياسة الجديدة. وفي الحادي والعشرين من الشهر نفسه أعلن لمجلسه الاستشاري ^(١) ، قراره الاستعانة بالسيد عبد الرحمن النقيب لتولي المنصب ^(٢).

لم يأت اختيار النقيب من فراغ، فهو بالنسبة للبريطانيين من اشد الشخصيات المالية لبريطانيا، ولم يكن يخفي موقفه هذا، إذ صرح به في مناسبات عدة، ومنها قوله للمس بيل : " ان الكثيرين جاءوا اليه طالبين مشورته فأجابهم ان الانكليز فتحوا هذه البلاد وبذلوا ثروتهم من اجلها كما اراقوا دماءهم في تربتها ... لذلك فلا بد لهم من التمتع بما فازوا به ... اني اريد ان يدوم حكم الانكليز في العراق ... واني اعترف بانتصاركم وانتم الحكام وانا المحكوم ... انك حين تذهبين إلى لندن يجب ان تذكرين المسؤولين فيها بوجوب عودة السير برسي كوكس إلى العراق واننا نرغب في ان يحكمنا السير برسي كوكس ... " ^(٣). وكان يرغب ان يرى العراق تحت حكم ادارة بريطانية قوية، يسندها جيش بريطاني لا يقل عدد افراده عن الاربعين الفا ^(٤)، فضلاً

^(١) ضم المجلس الذي شكله كوكس في (٢١/ تشرين الأول / ١٩٢٠) السير بونهام كارتر B.Carter ناظر العدلية ، والعقيد هاول (Hawell) ناظر المالية والمقدم سليتر (S.H.Slater) مساعد ناظر المالية وجون فليبي (John Philby) ناظر الداخلية والميجر بولدر ناظر الاشغال ، فضلاً عن المس بيل السكرتيرة الشرقية لدار الاعتماد البريطانية. اخلاص الكعبي ، المصدر السابق ، ص ٦٦.

^(٢) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق ... ، ج ١ ، ص ١٨٩.

^(٣) نقلاً عن : المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب، ج ١، ترجمة جعفر الخياط، بيروت، ١٩٧٢، ص ٦٠.

^(٤) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٣١١.

عن ذلك نفوذه الاجتماعي لاسيما في بغداد وتأثيره الديني بعده نقيب السادة الكيلانية ؛ مما سيضفي على حكومته شيئاً من القبول عند بعض العراقيين .
ان تعاطي النقيب بالشأن السياسي - لكونه نقيب اشراف بغداد واحد اعضاء مجلس ولاية بغداد في العهد العثماني - قد جعله يتعامل ببرجماتية في التعاطي مع المستجدات السياسية حتى لو تعارض ذلك مع مركزه الديني .
والجدير بالذكر ان النقيب - حسب ما ذكرته المس بيل - كان متحفظاً عن تسلم أي منصب سياسي ^(١)، لكن كوكس تمكن من اقناعه بقبول المنصب . ويورد علي الوردي في هذا الصدد ، ان المندوب السامي البريطاني - قد ضرب على الوتر الحساس - حينما حذره من ان عدم قبوله المنصب، قد يجعل الحكم يصل إلى ايدي الشيعة ^(٢) .

ونجد كلام الوردي منطقياً ، ليس فقط لعدم استبعاد ان يقدم الساسة البريطانيون على ولوج أي وسيلة تمكنهم من ادراك اهدافهم، بما فيها إثارة النعرات الطائفية على وفق سياسة فرق تسد الاستعمارية . وقد جربها ولسن مع الميرزا محمد تقي الشيرازي

(١) تذكر المس بيل انها زارت في (٦/شباط/١٩١٩) النقيب في منزله ويومها كان البريطانيون - حسب قولها - يفكرون بجعل العراق امارة . فعرضت عليه فكرة جعله اميراً على العراق فيما لو دعت الحاجة إلى ذلك . فاجابها اجابة حاسمة : " كيف يمكنك القاء مثل هذا السؤال عليّ؟ انا درويش فلا تعصني عادتني هذه . ان صيرورتي رئيساً سياسياً للدولة هي ضد اشد مبادئ عقيدتي تأصلاً ... ثم اضاف يقول : فأنتي متقدم في السن، وارغب في ان اقضي الخمس او الست سنوات التي بقيت من حياتي في الدرس والتأمل ... سوف لا اترجع عما قلته الان حتى اذا كان في ذلك انقاذ العراق من الدمار التام" .

نقلاً عن: علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج ٦، ص ٢١ .

(٢) ينظر: علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج ٦، ص ١١٣ .

ولم يفلح، كما لم تكن محاولة لجمن، مع الشيخ ضاري المحمود ^(١) اوفر حظاً من سابقتها، حينما خاطب الشيخ انه يود الوقوف على ارائهم بعدهم من اهل السنة، فيما يطالب الثوار الشيعة [ثوار ثورة العشرين] من إقامة حكومة مستقلة ، فانبرى ضاري يرد عليه قائلاً: " ليس في الإسلام سنة وشيعة، بل هو دين واحد، وعرق واحد ، وكلمة واحدة" . فقال لجمن : " ان الحكومة البريطانية حائرة في امركم لا تدري هل تشكل حكومة شيعة او سنة " ؟ فرد عليه ضاري : " ان العراق ليس فيه شيعة او سنة ، بل فيه علماء اعلام نرجع اليهم في امور ديننا ... فأنا اعتديت عليهم فإننا سننتصر لهم ونحاربكم بجانبهم." ^(٢).

واستغلال كوكس ايضاً معارضة النقيب لاي نشاط سياسي لرجال الدين الشيعة وقد عبر عن ذلك صراحة للمس بيل فيما حذرهما من التعامل معهم ^(٣). ويبدو ان سبب ذلك يرجع إلى رواسب تاريخية في ذهنيته، فالرجل كان يمثل المؤسسة الدينية الرسمية التي نظرت إلى انتشار التشيع في القبائل العربية المهاجرة إلى العراق من شبه الجزيرة العربية في القرنين الميلاديين الثامن عشر والتاسع عشر، خطراً يهدد السنة، ولهذا اغتاضت المؤسسة الدينية الرسمية في بغداد بشدة من هجرة الميرزا محمد حسن الشيرازي - صاحب فتوى تحريم التتباك - إلى سامراء ذات الاغلبية السنية، وقيامه ببناء مدرسة دينية، فضلاً عن محاولة التقريب بين الشيعة

(١) الشيخ ضاري المحمود شيخ عشيرة زوبع العربية العراقية، من اشد المناوئين للاحتلال البريطاني للعراق في المنطقة الغربية من العراق، وهو من قتل ليجمن اباان ثورة العشرين ، مات في احدى مستشفيات بغداد عام ١٩٢٧، وعلى الأرجح كان للبريطانيون يداً في ذلك. حميد المطبعي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

(٢) نقلاً عن : عدنان عليان، جذور التشيع في الخليج والجزيرة العربية : الشيعة والدولة العراقية الحديثة، ط ٥، المعارف للطبوعات ، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٣٥٠.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥١.

والسنة؛ ففسرت اجراءاته بوصفها عملية لتشجيع اهل سامراء؛ مما حدى بها إلى الطلب من الحكومة العثمانية التدخل المباشر لمعالجة الموضوع، لكنها فضلت ارسال رجل الدين محمد سعيد النقشبندي إلى سامراء وامتته بالمواد المطلوبة لبناء مدرسة دينية تحتوي تأثيرات مدرسة الشيرازي (١).

وبعد ان وافق النقيب على ترؤس الحكومة على قاعدة ثنائية الحكم القائمة على حصر السلطة الفعلية بيد المندوب السامي البريطاني، والزام الوزراء بتنفيذ مشورة مستشاريهم البريطانيين، بما يتوافق وصلاحيات الدولة المنتدبة وتعليمات الحكومة البريطانية. اعلن في الخامس والعشرين من تشرين الأول ١٩٢٠، تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة، وضمت إلى جانب رئيس الوزراء ثمانية وزراء بحقائب وزارية، فضلاً عن اثني عشر وزير بلا وزارة (٢). معظمهم من الاقطاعيين وكبار التجار، وقد روعي نوع من التمثيل الديني والطائفي والعشائري في الصنف الثاني، على العكس من وزراء الحقائب إذ لم تضم أي شيعي (٣). وعلى الأرجح ان كوكس الذي اختار الوزراء، لاسيما الوزراء الثمانية - وان قيل رسمياً ان النقيب قد اختار وزراءه (٤) - قد هدف من خلف ذلك تحقيق مكسبين :

(١) ينظر: جودت القزويني، المرجعية العلمية ... ، ص ٣٠ ؛ علي الوردي، لمحات

اجتماعية ... ، ج ٤ ، ص ١١٤-١١٧.

(٢) عن اسماء الوزراء والوزراء بلا وزارة ينظر: عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج ١، ص ١٩-٢١.

(٣) عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ط٤، دار البراق ، لندن، ١٩٩٧، ص ٩٧.

(٤) عبدالامير هادي العكام، الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١-١٩٣٣، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٥، ص ٤٨.

الأول: ارسال رسالة مزدوجة للطائفتين السنية والشيعة، لشق وحدة الموقف الذي جمعهما في ثورة العشرين، ذلك الموقف الذي هدد الوجود البريطاني في العراق. الثاني: افراغ أي معارضة محتملة من المؤسسة الدينية في النجف والقوى الوطنية الاخرى لهذه الحكومة، من محتواها الوطني، بجعلها تبدو دفاعاً عن الحقوق السياسية للشيعة. وهو ما نجده واضحاً في كلام المس بيل ، إذ تقول : " لايزال الشيعة على الموقف العدائي وشكواهم الرئيسة، ان الوزارة لاتضم شيعي واحد من الوزراء اصحاب الحقائق، واعتقد ان تغييراً وزارياً سيحصل لكي يدخل واحد منهم فيها " ^(١) وبالفعل اجرى رئيس الوزراء عبد الرحمن النقيب في الثاني والعشرين من شباط ١٩٢١ تعديلاً وزارياً، عين بموجبه السيد محمد مهدي بحر العلوم وهو رجل دين شيعي من كربلاء وزيراً للمعارف ^(٢).

وعلى الرغم من محاولة الحكومة المؤقتة اضفاء الصفة الوطنية عليها حينما اتخذت بعض الاجراءات منها : عودة الثوار المنفيين إلى جزيرة هنجام (في الخليج العربي) لقاء تعهدات مكتوبة بالطاعة والانقياد لاوامر الحكومة . وانشاء بعض الدواوين للدوائر من موظفين عراقيين باشراف بريطاني ^(٣)، الا ان المؤسسة الدينية وعلى رأسها المرجع الاعلى شيخ الشريعة الاصفهاني استمر في معارضته لها بوصفها صنعة بريطانية وتتعارض ومطلب استقلال العراق التام. وقد ايده الوطنيون

(١) نقلاً عن : بثينة الناصري، خلق الملوك، ط١، ترجمة عبد الكريم الناصري، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٣، ص ٦٧.

(٢) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي ... ، ج١، ص ١٩٣.

(٣) عبد الامير هادي العكام، الحركة الوطنية في العراق ... ، ص ٤٨-٤٩.

الذين رفضت الحكومة تلبية مطالبهم^(١)، كما اقتدت به المرجعيات في الكاظمية ، إذ نادى بضرورة تأليف حكومة منتخبة من الشعب العراقي^(٢).

ويبدو أن هذا الموقف كان له صدى في الشارع العراقي، الذي ينقل نبضة تقرير بريطاني عُده لهذه الغاية " ان الناس يتنبأون بسقوط مشروع الحكم الجديد، وان المقاهي امتلأت بالاحاديث عن مكر البريطانيين وخططهم للسير بالعراق نحو إقامة حكومة وطنية كاذبة ظاهرها عراقية، وباطنها بريطانية، وقد سرى هذا الاتجاه اصحاب الرأي كافة في العراق " ^(٣) . وكذلك كان الاهالي يراجعون الموظفين البريطانيين بدل العراقيين في معاملاتهم^(٤).

تكن خطورة الخطوة الاولى لتأسيس الدولة العراقية، في ان الساسة البريطانيين قد اقدموا على خلق " نخبة حُكم " من الموالين لبريطانيا ، او في الاقل لايتبنون مواقف مبدئية ضدها . وتبين خلفية هؤلاء الاجتماعية والسياسية استمالة وقوعهم تحت تأثير أي دعوة لمناهضة وجودها في العراق ، إذ ستحول مصالحهم معها دون ذلك.

(١) وبرز هذه المطالب : اطلاق حرية الصحافة ، واطلاق حرية الاجتماعات ، وتشكيل الاحزاب والاندية السياسية ، واصدار العفو العام الخالي من كل قيد وشرط عن جميع السياسيين، ولاسيما المنفيين، رفع الادارة العرفية وتشكيل المؤتمر العام، وتعيين الوظائف. للمزيد ينظر: عبد الامير هادي العكام، الحركة الوطنية في العراق ...، ص ٤٩-٥٠.

(٢) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث ، ط ٧ ، ج ١، دار الرافدين ، بيروت، ٢٠٠٨ ، ص ١٤٧.

(٣) نقلاً عن : اخلاص لفنة الكعبي، المصدر السابق، ص ١٤٩.

(٤) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي، ج ١، ص ٢٢٢.

٢- ترشيح فيصل بن الحسين وتتويجه ملكاً على العراق :

اخفقت الحكومة المؤقتة في ردم الهوة بينها والمؤسسة الدينية في النجف، إذ لم يتوقف السيد ابو الحسن الاصفهاني والشيخ محمد حسين النائني اللذان تقاسما المرجعية العليا بعد وفاة شيخ الشريعة الاصفهاني في الثامن عشر من كانون الأول ١٩٢٠ ، عن حث العشائر على الاستمرار في مقاومة الانتداب البريطاني ومشاريعه^(١)، وهو مؤشر على ان فشل الثورة عسكرياً وبالرغم من مرارته لم يحطم ارادة هذه المؤسسة ، مما دفع الحكومة البريطانية إلى التعجيل في الخطوة التالية، القاضية بتتصيب حاكم دائم (ملك) على العراق، مقبول عند العراقيين ويرضى بالانتداب ، لاسيما ان وضع الحكومة البريطانية لايسمح لها بمواجهة تداعيات ثورة جديدة في العراق، في ظل تزايد انتقادات الشارع البريطاني واحزاب المعارضة للسياسة البريطانية في الشرق الاوسط " ، والتي وصلت إلى المطالبة بسحب الجيش البريطاني من العراق^(٢). وبالطبع كان للاضرار الجسيمة التي لحقت بالاقتصاد البريطاني خلال وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى، نتيجة لكلفة الحرب واستحقاقات ديون بريطانيا الكبيرة للولايات المتحدة، اثرها في ذلك. المفارقة التاريخية ان رغبة الزعامات العراقية وفي مقدمتها المؤسسة الدينية في النجف، في تولي احد انجال الشريف الحسين بن علي عرش العراق، المثبتة في المضابط المقدمة إلى الادارة المدنية ابان استفتاء (١٩١٨-١٩١٩) ، فضلاً عن رسائلهم المرسلة إلى الحجاز، قد نبهت بعض الساسة البريطانيين إلى اهمية هذا الاختيار في معالجة المعادلة الصعبة التي يتوجب عليهم حملها وهي حاكم مقبول يرضى بالانتداب .

(١) احمد اسعد شلال، المصدر السابق ، ص ١٧٢.

(2) Lord Ronaldshay, The Life of Lord Gurzon, London , 1928, P.30.

وبطرد فرنسا الدولة المنتدبة على سوريا فيصل بن الحسين من عرشه بعد هزيمة جيشه في معركة ميسلون (٢٤ / تموز / ١٩٢٠) اضحى فيصل الخيار المفضل للجانبين، على الرغم من اختلاف غايتهما. فبعد ان نادى العراقيون المتواجدون في سوريا في مؤتمرهم الذي عقدوه في دمشق في الثامن من آذار ١٩٢٠ بالامير عبد الله بن الحسين ملكاً على العراق ^(١)، وحذا حذوهم النجفيون في اجتماعهم الذي عقدوه في جامع الهندي في العاشر من حزيران ١٩٢٠ برعاية المرجعيات الدينية ^(٢) ، عادت العديد من الزعامات العراقية واختارت فيصل. إذ بايعه المجلس الحربي الاعلى للثورة في العاشر من تشرين الثاني ١٩٢٠ ^(٣)، مما يبين ان المرجع الاعلى شيخ الشريعة الاصفهاني والذي أيد في وقت سابق مبادرة الميرزا الشيرازي بشأن ارسال الشريف الحسين لاحد ابنائه ليتولى عرش العراق، مؤيداً لهذا القرار بوصفه رئيس الهيئة العلمية التي يخضع لها المجلس، الامر الذي يفسر سرعة مبايعته من قبل بعض قادة الثورة اللاجئين في الحجاز بعد اخفاق الثورة وملاحقة البريطانيين لهم ^(٤)، فضلاً عن مبايعة عدد من وجهاء بغداد له ^(٥).

(١) عبدالامير هادي العكام، الحركة الوطنية في العراق، ص ٥٣.

(٢) إبراهيم الوائلي، ثورة العشرين في الشعر العراقي، بغداد، ١٩٦٨، ص ٧٣.

(٣) عبد الستار شنين الجنابي، تاريخ النجف ، ص ٦٥.

(٤) عبد الشهيد الياسري ، المصدر السابق، ص ٣٣٨-٣٣٩.

(٥) ينظر: علي الباركان، المصدر السابق، ص ٢٢٧.

لم يات هذا التغيير من فراغ ، فالامير عبد الله - وبحسب ما ذكره في مذكراته - لم يتصل بالعراقيين وهم كذلك بعد مبايعته في دمشق^(١)، يضاف إلى ذلك صدى موقف فيصل الصلب من الانتداب الفرنسي الذي كلفه عرشه في نفوس العراقيين، وكذلك قدراته القيادية التي خبرت ايام قيادته الجيش العربي في الشام، وترؤسه الوفد العربي للدفاع عن القضايا العربية في مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩، نيابة عن والده ؛ مما اوحى للعراقيين وغيرهم ان والده يثق بامكانياته السياسية ومشاعره القومية. اما الحكومة البريطانية فمن غير المستبعد ان لا يكون ما جرى لفصل في سوريا سبباً مهماً لتفضيله عن غيره ، لان هاجس الاقصاء سيجعله اكثر تحفظاً في الاقدام على تحديها فضلاً عن كونه يمثل من الناحية الدينية الشخص الذي تلتقي عنده الطائفتين الاسلاميتين في العراق. ولا نستبعد انها ايضاً ارادت ان تخفف التأثير الذي تركه عامل تنكر بريطانيا لعودها للشريف حسين بموجب مراسلات حسين مكماهون الشهيرة ، وعلان الشريف الثورة العربية عام ١٩١٦ ، وعلاقاته الطيبة مع البريطانيين .

ونجد في طلب اللورد كيرزن من ولسن بصفته نائب الحاكم العام في العراق ، في الحادي والثلاثين من تموز ١٩٢٠ يبيدي اهتماماً اولياً بفكرة منح فيصل عرش العراق. ويبدو ان ما جاء في جواب ولسون قد اراح كيرزن وابرز ما جاء فيه : "... ان خبرتنا في الاشهر الماضية في بغداد تجعل من الواضح عدم وجود مرشح محلي يستطيع ان ينجح في الحصول على تأييد محلي كاف يمكنه من الفوز . ان فيصل هو الوحيد بين الملوك العرب الذي لديه فكرة عن الصعوبات العملية في ادارة حكومة متمدنة على اسس عربية . وهو يدرك ان المعونة الخارجية جوهرية لدوام حكومة

(١) ينظر: عبد الله بن الحسين، مذكرات الملك عبد الله، مطبعة الرائد، عمان، ١٩٤٧، ص

عربية، ويدرك خطر الاعتماد على جيش عربي [تذكير بمسألة طرده من سوريا] .
فاذا عرضنا عليه امارة العراق فأنا سنعيد اعتبارنا في اعين العالم العربي ... " (١).
ويعكس رد ولسن الموضوعي - نوعاً ما - تغييراً جذرياً في ارائه بشأن مستقبل
العراق، الذي طالما سعى لابقائه تحت الحكم البريطاني المباشر - وبالطبع - كان
لاندلاع ثورة العشرين وضرورتها اثرها المباشر في ذلك.

وبعد تأييد برسي كوكس والمس بيل لترشحه ، فاتحت الحكومة البريطانية في
الثامن من كانون الثاني ١٩٢١ فيصل، عارضةً عليه عرش العراق وفقاً لشروطها
وهي: اقراره بالوصاية البريطانية على العراق، وعدم التعرض للانتداب الفرنسي في
سوريا، فضلاً عن قبول العراقيين به (٢). وقد رفض فيصل العرض، ما لم يتم التغلب
على بعض الصعوبات وابرزها موافقة والده واخيه، واقترح ان تبادر الحكومة
البريطانية إلى ترشيحه حتى لا يظهر بمظهر الساعي لعرش العراق امامهم (٣) .
ويذكر عبد الرزاق الحسني انه سمع شخصياً من عبد الله اتهامه لاختيه باغتصاب
عرش العراق، بالرغم من تنازله عنه، وترضيته بعرش شرق الاردن (الاردن حالياً)
(٤) .

تواءمت مطالب فيصل الداعية إلى تذليل العقبات الشخصية والسياسية التي
تعترى قبوله عرش العراق، وجدية الحكومة البريطانية في تحقيقها. ورغبة ونستون

(1) See F.O.371/5038/E9252. telegram from Civil commiss-ioner, Baghdad, to Foreign office, dated July 31, 1920.

(٢) فيليب ويلارد ايرلاند ، المصدر السابق، ص ٢٤١.

(٣) كاظم نعمة، المصدر السابق، ص ٥٧.

(٤) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي ... ج ١، ص ٢٢٠.

تشرشل (Winston Churchill) ^(١) وزير المستعمرات الوزارة التي انيطت بها منذ الحادي والثلاثون من كانون الأول ١٩٢٠ شؤون الشرقين الأدنى والوسط، في إعادة رسم السياسة البريطانية في هاتين المنطقتين ^(٢)، بما يؤدي إلى خفض النفقات المالية، وضمان استقرار الوجود البريطاني فيهما ^(٣). لذا ارتأى عقد مؤتمر في القاهرة يضم ممثلي الإدارات البريطانية المعنية لمعالجة هذه القضايا.

عُقد مؤتمر القاهرة بين الفترة (١٢-٢٤ / آذار/ ١٩٢١) بحضور تشرشل، ومثل العراق فيه أربعة بريطانيين في مقدمتهم المندوب السامي برسي كوكس واثنان من الحكومة المؤقتة هما جعفر العسكري (وزير الدفاع) وساسون حسيقل (وزير المالية). وكانت المسائل التي ناقشتها اللجان العسكرية والسياسية المنبثقتان عن المؤتمر التي تخص العراق هي ^(٤):

(١) ونستون ليونارد سبنسر تشرشل، عسكري ورجل دولة بريطاني، تخرج من كلية ساندهيرست الحربية، انضم إلى حزب الاحرار عام ١٩٠٤، عضو في مجلس العموم ١٨٩٩ ، شغل عدة مناصب سياسية ابرزها : وكيل وزير وزارة المستعمرات عم ١٩٠٦ ووزيراً للتجارة بين عامي (١٩١٠-١٩٠٨) ثم وزيراً للحربية ١٩١٤ ، ثم وزيراً للمستعمرات ١٩٢١ وعاد وشغل وزارة الحربية عام ١٩٣٩ ، ثم ترأس الوزارة ابان الحرب العالمية الثانية. ثم عاد وترأس الحكومة البريطانية للمدة (١٩٥٠-١٩٥٥) . يعد من ابرز الشخصيات السياسية البريطانية في القرن العشرين توفي في لندن عام ١٩٦٥. ينظر: محمد يوسف ابراهيم القريشي ، ونستون تشرشل ودوره في السياسة البريطانية حتى ١٩٤٥، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب - جامعة بغداد ، ٢٠٠٥ .

(٢) كاظم نعمة، المصدر السابق، ص ٥٨.

(٣) عبد الامير هادي العكام ، الحركة الوطنية في العراق ، ص ٥٤.

(٤) برسي كوكس وهنري دويس، تكوين الحكم الوطني في العراق، ترجمة بشيرفرجو، مطبعة الاتحاد، الموصل، د.ت، ص ٤٧.

أولاً: النظر في اجراء ما يلزم لتقليل المبالغ التي كانت تنفقها الحكومة البريطانية في العراق.

ثانياً: النظر في المؤهلات المتوفرة في كل من الذوات الذين يمكن ترشيحهم لعرش العراق.

ثالثاً: النظر في الشكل الذي سيكون عليه وضع الحكومة العراقية الجديدة بالنسبة إلى الاكراد والمناطق الكردية.

رابعاً: النظر في نوع وكيفية تكوين جيش للدفاع عن المملكة العراقية الجديدة. استعرضت اللجنة السياسية اسماء المرشحين لتولي عرش العراق، وفي مقدمتهم فيصل . وباستثناء المرشحين العراقيين عبد الرحمن النقيب وطالب النقيب، فضلاً عن الشيخ خزعل^(١) لم يروج باقي المرشحين لانفسهم في العراق وعلى الأرجح في الدوائر البريطانية، ناهيك عن ان بعضهم قد يكون تفاجأ بطرح اسمه.

فالنقيبان كانا قد طلبا من الشاعر المعروف عبد الغني معروف الرصافي - بعد تردد ترشيح فيصل - اصدار صحيفة تروج لفكرة العراق للعراقيين، كفكرة معارضة للاتجاه الشريف الهاشمي؛ ويشير الرصافي إلى ان اجتماعات عدة عقدت لهذا الغرض، كان طالب النقيب خلالها الاكثر اندفاعاً، لكن المبلغ الذي طلبه

(١) الشيخ خزعل بن الشيخ جابر بن مرداو، ينتمي إلى قبيلة كعب العربية، امير امارة المحمرة ولد في البصرة عام ١٨٦٢، تولى امارة المحمرة بعد مقتل اخيه الشيخ مزعل عام ١٨٩٧ ، يعد من الشخصيات المرموقة في شمال الخليج العربي، وكان حليفاً لبريطانيا، انهى رضا بهلوي حكمه في (٢٠/نيسان/ ١٩٢٥) وضمت المحمرة لسلطته المباشرة، توفي في طهران في (٢٦/اذار/ ١٩٣٦) ودفن في النجف. ينظر: مجموعة مؤلفين، الشيخ خزعل امير المحمرة، ط٢، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٩. ؛ مصطفى عبد القادر النجار، المصدر السابق، ص ١٠٥-٢٢٧.

لاصدارها والبالغ مائة ألف ليرة عثمانية كانت كفيلة لتخليهما عن الفكرة ^(١) ولجوء الرجلين لفكرة تقدمية تتعارض وعلاقتها الوثيقة ببريطانيا، ليس بجديد في تاريخهما السياسي. فعبد الرحمن النقيب كان قد أسس " حزب المشورة " ذواتوجه القومي ، رداً على تهميشه من الاتحاديين، بعد محاولتهم استبدال القوى المحلية التقليدية والتي عدوها ببروقراطية عثمانية قديمة تعيق سياستهم الجديدة باخرى شبه علمانية ^(٢). والآخر اسس عام ١٩١٣ في البصرة " جمعية البصرة الاصلاحية " ^(٣)، التي نادت بوالي عربي يحكم البصرة، في محاولة للضغط على الاتحاديين من جهة، وتعزيز مكانته عند اهل البصرة من جهة اخرى.

وبين عبد الرحمن النقيب للمس بيل صراحة اعتراضه الشديد على تنصيب فيصل ملكاً على العراق، ملمحاً إلى ضرورة تنصيب عراقي، إذ قال لها : " اني من اقارب الشريف ، وانحدر من السلالة نفسها، واشاركة في مذهبه الديني، ولذا فاني ارجو ان تفهموا بأني لست مدفوعاً بدافع الاختلاف في الدم او العقيدة عندما اقول لكم بأني سوف لا اوافق ولن اوافق على تعيين الشريف او احد انجاله اميراً على العراق حيث ان الحجاز غير العراق وليس هنالك علاقة بينهما غير علاقة العقيدة ... " ^(٤).

(١) خيرى العمري، حكايات سياسية في تاريخ العراق الحديث ،دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٤٧ .

(٢) محمد جبار ابراهيم ، البنية الاجتماعية والاقتصادية ...، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) عن جمعية البصرة الاصلاحية ومنهجها ينظر: خولة طالب لفته ، سليمان فيضي ودوره السياسي والثقافي والاجتماعي في العراق ١٨٨٥-١٩٥١ ، مطبعة الاديب البغدادية، بغداد، ٢٠٠٣، ص ٦١-٦٥ .

(٤) نقلاً عن : فيليب ويلارد ايرلاند، المصدر السابق، ص ٢٥٠ .

بينما قام طالب النقيب في اذار ١٩٢١ بجولة شملت بعض مدن جنوب ووسط العراق ومنها النجف، للترويج لنفسه، لكنه لم يحقق ما كان يبغيه. فالمؤسسة الدينية وكذلك وجهاء النجف لم يعيروه اهتماماً^(١)، لسببين : كونه جزء من المشروع البريطاني حين ترأس وزارة الداخلية في ظل الانتداب، ولأن مسألة عرش العراق قد حسمت لصالح الاسرة الشرفية.

استبعد المؤتمر المرشحين العراقيين، ومهما كانت مسوغاتهم موضوعية، من قبيل ان رئيس الوزراء العراقي كبير في السن ولا يوجد له وريث لائق ، وكون طالب النقيب شخصية قاسية، ولا يملك شعبية تؤهله لحكم العراق، فضلاً عن ان طموحه السياسي الكبير قد يتعارض مستقبلاً ومصلحة بريطانيا^(٢)؛ ليس من الصعب التكهن ان بريطانيا الدولة الاستعمارية لم تكن لتحبذ شخصية عراقية، وان قبلت بالانتداب، لخشيتها من حدوث اصطفاك شعبي معها في المستقبل، سيضر بالمصالح البريطانية.

اما الشيخ خزعل فقد اجمع المؤتمر على انه لا يملك شعبية في العراق، عدا بعض المناطق في جنوبه^(٣). ويبدو ان ما ذهبوا اليه كان صحيحاً، فعلى الرغم من ان الشيخ عبد الكريم الجزائري كان يؤيد ترشيحه لكون خزعل من مقلديه، ولاسباب اخرى اوردها في رسالة بعثها للاخير، جاء فيها: " اني اعجب كل العجب منك مع علمي بمعرفتك وعقلك، تجنبك في هذه المدة من امور العراقيين، مع انك تربطك بهم رابطة المذهب والوطن واللسان ... بعد ان شاع ان الدولة البريطانية قد اعطت

(١) سنت جون فليبي، ايام فليبي في العراق، ترجمة جعفر الخياط ، دار الكشف، بيروت، ١٩٥٠، ص ٥٣.

(٢) فيليب ويلارد ايرلاند ، المصدر السابق، ص ٢٤٦.

(٣) غسان العطية، العراق نشأة الدولة ... ، ص ٤٧٢.

الحرية للعراقيين بانتخاب من يشاؤون لامورهم العامة"^(١) الا ان المرجعيات العليا في النجف عدته من الموالين لبريطانيا منذ زمن مبكر فيما رفض الامتثال لفتاوي الجهاد لا سيما في ثورة العشرين.

وبعد استعراض اسماء المرشحين الآخرين، لم يكن مستغرباً ان يعتري وجوه الحاضرين الارتياح عند عرض اسم فيصل، وان يكيل تشرشل له المديح بقوله : " ان فيصل من بيت رفيع ، وهو ابن الملك حسين شريف مكة الذي وطد نفوذه بين عامة العرب، وثبت شخصيته بين رجال الدين، فهو خليف ان ينال تشجيع الحكومة البريطانية اذا انتخبه العراقيون " ^(٢).

وبعد ان مهد البريطانيون لمجيء فيصل إلى العراق ^(٣)، واصلوا رسمياً عن مقررات مؤتمر القاهرة في الرابع عشر من حزيران، اعلن السيد ابو الحسن الاصفهاني والشيخ محمد حسين النائني عن معارضتهما لهذا الترشيح او أي مرشح آخر في ظل الانتداب. وكان لهذا الموقف صدىً في الفرات الاوسط، إذ لم يلق فيصل

(١) نقلاً عن : مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لامارة عريستان العربية ١٨٩٧-١٩٢٥ ، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧١، ص ٣١٢.

(٢) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي ، ج١، ص ٢١٠.

(٣) وصل فيصل إلى البصرة يوم (٢٣/ حزيران/ ١٩٢١) قادماً من جدة، بعد ان ازلت الحكومة البريطانية كل العوائق امامه. فعلى الصعيد الخارجي تم تطمين فرنسا المعارضة على ترشيحه، بان فيصل لم يقدم على أي عمل يضر مصالحها في سوريا. ولم يكن ذلك صعباً نظراً لحاجة فرنسا لدعم بريطانيا في مسألة تحجيم المانيا بعد الحرب. وكذلك تم حسم مسألة الامير عبد الله شقيق فيصل باعطائه عرش شرق الاردن؛ اما داخلياً فتم نفي طالب النقيب إلى جزيرة سيلان في (١٦/ نيسان/ ١٩٢١). عبد الامير هادي العكام، الحركة الوطنية... ، ص ٥٧ ؛ طالب مشتاق، اوراق ايامي، ط٢، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٩٨٩، ص ٩٦.

الترحيب المتوقع في كربلاء والنجف والناصرية، على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها المسؤولون المحليون في تحشيد الاهالي لاستقباله بالشكل المناسب واللائق به ، لذا كان الاستقبال الجماهيري ضعيفاً ^(١) . وعلى عكس من ذلك اوردت صحيفة " العراق " الرسمية تقارير مغايرة عن ما جرى في الفرات الاوسط ^(٢) ، ويبدو ان ذلك كان جزءاً من مساعي المندوب السامي برسي كوكس للتقليل من اثر ما جرى على شعبية فيصل.

ان موقف المؤسسة الدينية من ترشيح فيصل ، دفع البعض ^(٣) للتشكيك بنواياها والقول بأن المسألة تتعلق برغبة علماء الدين الشيعة في اقامة دولة دينية شيعية في العراق.

ويبدو ان هذا الرأي نابع من النظرة التقليدية تجاه المؤسسة الدينية في النجف وعلماء الدين الشيعة عامة، والتي تصورها معارضة " من جهة، ومن جهة اخرى تنامي دورها السياسي منذ اواخر القرن التاسع عشر. ان اقامة دولة شيعية كان يتطلب التعاطي المرن والمهادن مع التطورات السياسية التي شهدتها العراق، وهذا لم يحدث سواء في حركة الجهاد او مرحلة الحكم البريطاني المباشر، فضلاً عن ان الخلفية الفقهية للمرجعيات الدينية التي عارضت الترشيح لم تكن قائمة على مبدأ ولاية الفقيه العامة لذا فهي لم تدعو إلى اقامة دولة الولي الفقيه.

(١) حسن شبر، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٥٦ ؛ عبد الله النفيسي، المصدر السابق، ص١٧٨.

(٢) العراق ((صحيفة)) العدد ١٣، ٧ تموز ١٩٢١، الملحق المسائي.

(٣) ينظر: فيليب ويلارد آيرلاند، المصدر السابق ، ص ٢٣٩ ؛ البرت م منتشا شفيلى، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة هاشم صالح التكريتي، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد، ١٩٧٨، ص ١٧٨؛ فيبي مار، تاريخ العراق المعاصر العهد الملكي، ط١، ترجمة مصطفى نعمان أحمد ، المكتبة العصرية، بغداد، ٢٠٠٦، ص ٤٧.

لا يعني مما سبق ان الدور السياسي الذي اضطلعت به المؤسسة الدينية منذ العام ١٩١٤ تحديداً، لم يشجعها على تعزيز موقعها السياسي، بما يتناسب ومكانتها الدينية والاجتماعية وتطلعات المجتمع العراقي لتعزيز مكانتها ودورها في تحقيق اهدافها . وعلى الأرجح ان عدم ثقة هذه المؤسسة بالسياسة البريطانية في العراق، بما فيها مقررات مؤتمر القاهرة بوصفه مؤتمراً استعمارياً ووضع الاطر الاساسية للمشروع البريطاني في العراق ، وبذلك عدت كل ما ترشح عنه جزءاً من هذا المشروع.

ويتبادر إلى الالذهان تساؤل : لماذا لم تلجأ المؤسسة الدينية في النجف إلى اصدار فتوى تحرم انتخاب فيصل؟ على الأرجح ان ذلك بسبب امرين هما:
اولاً: اقدام الشيخ محمد مهدي الخالصي ^(١) أحد كبار مراجع التقليد في الكاظمية في الثاني عشر من تموز على مبايعة فيصل، حينما زاره الاخير في مدرسته الدينية ، على ان يسير بالحكم بسيرة عادلة، وأن يكون الحكم دستورياً نيابياً، ولا ينتقد العراق باي قوة اجنبية ^(٢) . واقدامه في اليوم التالي على اصدار فتوى تؤكد بيعته، ونجد من

(١) محمد مهدي الخالصي: فقيه اصولي ومن كبار مراجع التقليد، ولد في الكاظمية عام ١٨٦٠، درس في النجف، ثم عاد إلى الكاظمية، يعد من مؤيدي التيار الاصلاحي، كان مؤمناً بان العمل السياسي واجباً شرعياً، عارض ابرام معاهدة ١٩٢٢ بين العراق وبريطانيا واجراء انتخابات المجلس التأسيسي وعلى اثرها نفته السلطات العراقية عام ١٩٢٣ إلى بلاد فارس، التي توفي فيها عام ١٩٢٥. ينظر: محمد صالح الكاظمي، احسن الاثر فيمن ادركناه في القرن الرابع عشر، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٣٤، ص ٨-١٤.

(٢) جعفر عبد الرزاق، الدستور والبرلمان... ، ص ١٧٥ ؛ حسن شبر، تاريخ العراق المعاصر، ج٢، ص ٢٦٠، ٢٦١؛ محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، ط١، مطبعة الفلاح ، بغداد، ١٩٢٤، ص ٣٦٥.

المفيد ذكرها إذ جاء فيها : "... الحمد لله الذي نشر لواء الحق على رؤوس الخلق فأيدهم بالنصر برئاسة من حاز الشرف والفخر، الملك المطاع الواجب له علينا الاتباع ، الملك المبجل عظمة ملكنا فيصل الأول دامت شوكته، نجل جلالة الملك حسين الأول دامت دولته، فاحكموا بيعته، وابرموا طاعته واهتفوا بأسمه من عين لحكمه، ونحن ممن اقتفينا الاثر، وبايعه في السر والجهر، على ان يكون ملكاً على العراق، مقيداً بمجلس نيابي، منقطعاً عن سلطة الغير، مستقلاً معه بالامر والنهي، والله الامر " (١).

وبرر الخالصي لنجله سبب اصداره هذه الفتوى، حينما ذكره ان فيصل متحالف مع البريطانيين قائلاً: " اتحسب انك تعلم ما لم اعلمه انا، ان فيصلاً فوق ما ذكرت ولكني خشيت ان يبايعه الناس بيعة مجملة ولا قوة لنا على طرده فيذهب حق العراقيين بامضائهم صك العبودية جهلاً ولو باسم فيصل، فأردت ان اعلم الناس كي يبايعون ليبقى حق العراق محفوظاً متى طالب العراقيون به " (٢).

يبدو انه لم يكن يرغب بأن يظهر كعقبة في سبيل قيام دولة في العراق، لعدم وجود مرشح آخر لائق وقتئذ ، بيد ان ما يؤخذ عليه، فتواه التي منحت ترشيح فيصل بعداً دينياً ، واستغلتها السلطات البريطانية للترويج لفيصل من خلال نشرها في الصحف، وفي منشور خاص وزع بكثافة ، اسهم في اقناع الكثير من المترددين على انتخابه (٣) ؛ في الوقت الذي كان على الخالصي الاكتفاء ببيعة يوم الثاني عشر،

(١) نقلاً عن : عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي، ج ١، ص ٢٣١.

(٢) نقلاً عن المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣١.

(٣) في مقدمة هؤلاء العديد من رجال الدين في الكاظمية امثال: محمد مهدي صدر الدين والسيد أحمد السيد حيدر والشيخ عبد الحسين ال الشيخ ياسين والسيد إبراهيم السلمي والسيد حسن الصدر والسيد محمد السيد حيدر والسيد حسن صدر الدين. ينظر: جعفر عبد الرزاق، الدستور والبرلمان ... ، ص ١٧٤.

والتي ستحقق - بكل الاحوال - ما يبغيه . وبلا شك قد اضر موقف الخالصي بموقف المرجعية العليا في النجف، ذلك ان مرجعيتي الاصفهاني والناثني حديثتي العهد بمرجعية العليا ، ولم تترسخ عند الشيعة بعد.

ثانياً: مبايعة فيصل من قادة الثورة اللاجئين في الحجاز، ومرافقة بعضهم له حين قدومه الى العراق وفي مقدمتهم السيد محمد الصدر والشيخ عبد الواحد الحاج سكر، اذ اصدر الصدر مذكرة بيعة ترشحه ملكاً لدولة عراقية مستقلة دستورية^(١)، وكان هؤلاء يشكلون ثقلًا اجتماعياً وسياسياً ليس من السهل تجاهله.

صب هذا التباين في مصلحة برسي كوكس المسؤول - بحسب مفردات مؤتمر القاهرة - عن تنفيذ منهاج انتخاب فيصل . فاعز إلى مجلس الوزراء العراقي باتخاذ ما يلزم لاجراء استفتاء شعبي يعتمد فيه اسلوب المضابط ، بعده يتوافق مع رغبة تشرشل في ضرورة ان يتم الانتخاب من الشعب مباشرة، وليس من مجلس عراقي^(٢). وهذه الرغبة لم تكن لتخلوا من مرامي سياسية، ذلك ان انتخاب مجلس عراقي من قبل العراقيين يقوم بدوره بانتخاب فيصل سيعطي فيصل ميزة في مفاوضاته القادمة مع الساسة البريطانيين بشأن صلاحياته، فضلاً عن ذلك الخشية من ان يؤدي انتخاب المجلس إلى وصول عناصر وطنية تثير المتاعب لبريطانيا.

جرى الاستفتاء في يوم التاسع والعشرين من تموز، وكانت نتيجته النهائية بحسب المصادر الرسمية (دار الاعتماد البريطانية) تفيد بتصويت (٩٦%) من العراقيين المشاركين فيه لصالح الامير فيصل ملكاً على العراق^(٣) ، وبالرغم من كونها ليست دقيقة وعلمية، لان العديد من المناطق قد صوت عنها وجهاؤها وشيوخ

(١) عبد الشهيد الياسري، المصدر السابق، ص ٩٧.

(٢) المس بيل، العراق في رسائل المس بيل، ص ٢٣٩.

(٣) ينظر: غسان العطية، العراق نشأة الدولة ... ، ص ٤٧٦.

عشائرها، فضلاً عن عدم وجود قانون انتخابي ، وعدم استبعاد ان تكون لدار الاعتماد يداً فيها ، لاطهار طغيان شعبية فيصل عند العراقيين، وهذا بحد ذاته رسالة واضحة المعاني للمؤسسة الدينية في النجف ومن يعارض فيصل والمشروع البريطاني، لكن هذا لا يمنع من توفر اكثرية لصالح فيصل.

وجد فيصل بعد انتخابه، ان الفرصة مؤاتية له لمفاتيح برسي كوكس بما يجول في خاطره، بشأن تحديد طبيعة العلاقة بين العراق وبريطانيا في المرحلة الجديدة، وفقاً لصيغة تحالفية بديلة عن الانتداب، تضمن له دوراً سياسياً فاعلاً في السلطة، وترضي الوطنيين العراقيين الذين ينظرون اليه كشخصية قومية، مع عدم الاضرار بالتزامات بريطانيا ومصالحها في العراق.

ويبدو ان كوكس المدرك بان تنصيب فيصل ضرورة اقتضتها الحاجة لحل معضلة السياسة البريطانية في العراق، اقتنع ان ذلك يتطلب ان لا يظهر فيصل كدمية بيد بريطانيا، مما سيعزز من رصيد المعارضين لسياستها في العراق^(١). فاقنع بدوره تشرشل بواقعية مطالب فيصل، وان الانتداب في العراق اضحى طرازاً عتيقاً لا ينسجم وطبيعة المرحلة^(٢). وفي التاسع عشر من آب عقدت وزارة المستعمرات مؤتمراً، نوقش فيه الصيغة البديلة للانتداب بما لا يتعارض ومسؤولية بريطانيا امام عصبة الامم، واستخلص المؤتمر ان من الضروري عدم تأخير

(١) عن مناقشات فيصل مع برسي كوكس الممهدة لتتويجه . ينظر: كاظم نعمة، المصدر السابق، ص ٧٤-٧٧.

(٢) توبي دود، اختراع العراق، ترجمة عادل العامل، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٩، ط١، ص ٥٣.

تتصيب فيصل^(١) وفي اليوم التالي بعث تشرشل إلى كوكس رسالة ذكر فيها رغبة الحكومة البريطانية بعقد معاهدة طويلة الامد مع العراق باسرع وقت ممكن^(٢) . ترك اختيار موعد التتويج لفيصل فاختر بنفسه يوم الثالث والعشرين من آب ١٩٢١ الذي يوافق الثامن عشر من ذي الحجة ١٣٣٩هـ، ويصادف يوم الغدير الذي يحتفل به الشيعة بوصفه اليوم الذي اوصى به النبي محمد (ص) للامام علي بالخلافة، في محاولة لكسب ودهم وتذكيرهم بانه من سلالة آل البيت ويحترم عقائدهم^(٣) .

جرى التتويج في ساحة القشلة في بغداد، والقى خلاله الملك فيصل خطابا حدد فيه اولويات سياسته وأبرزها : اجراء الانتخابات العامة وجمع المجلس التأسيسي والذي ستوكل له مهمة اقرار دستور للبلاد والتصديق على المعاهدة العراقية - البريطانية المقبلة^(٤). بعد تسلم الملك فيصل عرش العراق قدمت الحكومة العراقية المؤقتة استقالتها، ايداناً ببداية عهد جديد، تماشياً مع التقاليد البرتوكولية المعروفة في الدول الملكية الدستورية. وكان على فيصل اختيار رئيس وزراء يكلفه بتشكيل حكومة جديدة . ووجد ان على الحكومة مهمات جسيمة اخطرها ابرام المعاهدة العراقية البريطانية التي ستحل محل الانتداب، الامر الذي يتطلب حكومة تحظى بدعم شعبي، وعدم معارضة المؤسسة الدينية في النجف، لذا حاول استمالة الاخيرة، فارسل الشيخ عبد الواحد الحاج سكر إلى النجف للتداول مع بعض المرجعيات امثال

(١) كاظم نعمة، المصدر السابق، ص ٧٧.

(2) See: C.O.730-4-41616.tel.Personal, From Churchill to cox, dated August 20, 1921.

(٣) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق الحديث...، ص ٢٣٣.

(٤) عن نص الخطاب ينظر: عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج ١، ص ٦٦-٦٨.

الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ محمد جواد الجواهري^(١)؛ وهما يمثلان مرجعيتين اقل تشدداً ازاء تنصيبه، لاسيما بعد تنازل مرشحها المفضل الشيخ خزعل عن الترشيح لصالح فيصل بعد اختياره في مؤتمر القاهرة.

لم يوفق موفد الملك في مسعاه، إذ رفضا المشاركة في تشكيل الحكومة وعلى الأرجح ان خشية الشيخين من ان يؤدي قبولهما إلى انقسام حاد في المؤسسة الدينية يضعف من موقفها المعارض للوجود البريطاني، فضلاً عن ان مكانتهما الدينية كمرجعين لاتبيح لهما ادبياً تولي مناصب سياسية، قد وقفت وراء هذا الرفض ، وقد بين عبد الواحد الحاج سكر في رسالة إلى الملك فيصل نتائج مداولاته في النجف ، وبرز ما جاء في الرسالة : "... ولايقبل كل فرد منهم ان يكون شاغلاً لاحد هذه المناصب قطعياً، ولا يمكن ذلك سوى انهم يأملون من جلالتك ان لاتجعل في هذه المناصب الا المتدين المسلم، الوطني ، خصوصاً رئاسة الوزارة واخص منها وزارة الداخلية، فان عليها المعول بعد الله حيث يترتب عليها امور مهمة تخص تشكيل المؤتمر المطلوب من حضرتكم] المجلس

التأسيسي[تشكيله بالوقت العاجل على الوجه الكامل ... " (٢).

لم تلق خطوة فيصل ترحيباً من كوكس ، بعدها ستؤثر سلباً على المشروع البريطاني بشأن خلق نخبة حاكمة موالية لبريطانيا، فضلاً عن علمه بان المعاهدة

(١) عبد الستار شنين الجنابي، تاريخ النجف السياسي ... ، ص ٧٤.

(٢) د.ك.و. ملفات البلاط الملكي ، رسائل الشيوخ إلى الملك فيصل، الملف رقم (١١٠٣)، رسالة الشيخ عبد الواحد الحاج سكر إلى الملك فيصل الأول في الأول من ايلول ١٩٢١، وثيقة رقم (٧) ، ص ٧.

القادمة سوف لن تباعد في جوهرها عن بنود لائحة الانتداب، نظراً للالتزامات بريطانيا القانونية والتي تصب في مصلحتها اصلاً، مما يتطلب حكومة موالية لبريطانيا. لذا اصر كوكس على تولي عبد الرحمن النقيب الوزارة، بالرغم من معارضة فيصل الذي اضطر إلى الموافقة ؛ و أعلن في الثامن عشر من ايلول ١٩٢١ عن تشكيلها . وتبين التولية الوزارية انها نسخة من الحكومة المؤقتة من حيث التمثيل الاثني والديني والطائفي ، فلم تضم سوى شيعياً واحداً هو الشيخ عبد الكريم الجزائري وزيراً للمعارف، وقد رفض المشاركة فيها ، فأنيطت بشيعي اخر هو السيد هبة الدين الشهرستاني ^(١). اصرار فيصل على تولية منصب وزاري لمرجع ديني شيعي كان محاولة لكسب ود الشيعة من جهة ومن جهة اخرى احراج المؤسسة الدينية و اضعاف موقفها الثابت تجاه رفضها للانتداب البريطاني وهو ما يعكسه الاصرار على تولية الشيخ عبد الكريم الجزائري بالرغم من رفضه ذلك (كما سبق) .

ويثار تساؤل ، اليس ما قام به كوكس امراً واقعياً، لكون المؤسسة الدينية في النجف كانت معارضة للسياسة البريطانية في العراق، فضلاً عن ان سياسة الدولة العثمانية تجاه الشيعة قد حرّمهم من الكفاءات الادارية ؟

ان ذلك سيكون واقعياً في حال كان اغلب وزراء حكومتي النقيب الاولى والثانية من ذوي الكفاءات الادارية - لنا خير مثال فيما ذكره خيرى العمري من طرائف عن هؤلاء الوزراء تبين مدى ضحالة عقليتهم بحيث كانت مادة يتندر بها

(١) ضمت الوزارة إلى جانب رئيس الوزراء كل من رمزي بك وزيراً للداخلية، وساسون حزقيل وزيراً للمالية، وناجي السويدي وزيراً للعدلية، وجعفر العسكري وزيراً للدفاع، وحنا خياط وزيراً للصحة، وعزت باشا وزيراً للاشغال العامة، وعبد اللطيف المنديل وزيراً للتجارة، وعبد الكريم الجزائري وزيراً للمعارف، ومحمد علي فاضل وزيراً للاوقاف. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج ١، ص ٧٤-٧٥.

البغداديون في المقاهي^(١). وعلى الأرجح ان حجة كوكس في اختيارهم كانت خضوعهم لمشورة المستشارين البريطانيين. مقابل ذلك يمكن القول ان التحجج بعدم وجود شخصيات شيعية قادرة على تولي وزارة هي في الاصل بيد البريطانيين، فعلى سبيل المثال برز في النجف تياران اصلاحيان بثقافة عالية احدهما ذا نزعة إسلامية والاخر تغريبية علمانية وكان ذلك منذ عام ١٩٠٨^(٢) - وبالطبع ليس كل الشيعة يخضعون لارادة المؤسسة الدينية في النجف - وهو ما يفسر - اقدام الشهرستاني على المشاركة في الوزارة، لكن يبدو ان السياسيين البريطانيين في العراق قد وظفوا علاقة الشيعة بالمرجعيات الدينية لصالح اهدافهم ونجد ذلك واضحاً في جواب المس بيل عن سؤال لاحد العراقيين بشأن، موقف بريطانيا في حال وصول الشيعة إلى حكم البلاد في ظل نظام برلماني دستوري، إذ نص: " فنحن كأجانب لانستطيع التفريق بين السني والشيعة غير انك لو تركت الامر بايديهم فأنهم سيتغلبون على الصعوبة بنوع من انواع التحايل والتمويه، كما فعل الاتراك ... على ان السلطة النهائية يجب ان تكون في ايدي السنة، برغم من اقليتهم العددية، والا فستكون عندك دولة يسيرها المجتهد وهو امر خبيث جداً "^(٣) ومما لاشك فيه ان المس بيل لاتقصد الوطنيين السنة بل الموالين لبريطانيا من اصحاب الوجاهة والنفوذ والضباط الشرفيين الذين ايدوا الانتداب البريطاني .

(١) ينظر: خيرى العمري، حكايات سياسية ... ، ص ٤٣-٤٥.

(٢) عن التيارات الاصلاحية الفكرية في النجف ينظر: عدي حاتم المفرجي ، النجف الاشرف وحركة ... ، ص ٢٠-٦٠.

(٣) المس بيل، العراق في رسائل المس بيل ، ص ١٨٨-١٨٩.

ثالثاً: تثبيت نظام السياسي العراقي :

١- المعاهدة العراقية – البريطانية ١٩٢٢ :

كانت الخطوة التالية بعد تتويج فيصل هي الموافقة على اقتراحه بعقد معاهدة بين العراق وبريطانيا، تنظم التزام الاخيرة تجاه العراق، على وفق صك الانتداب، لكون كلمة الانتداب مرفوضة من الشعب العراقي. فقدم برسي كوكس الذي شاطره الرأي – مسودة معاهدة قابلة للتفاوض بين الحكومتين العراقية والبريطانية ^(١). وحاول فيصل وحكومته طيلة فترة المفاوضات السرية الحصول على ما من شأنه اظهار العراق دولة مستقلة عليها التزامات دولية، وهو ما رفضه تشرشل واصر على صيغة الانتداب ^(٢).

وجد فيصل في الاعتراف الضمني بعرشه من المؤسسة الدينية في النجف ، على اثر اقرار مؤتمر كربلاء ^(٣)، الذي عقد في الثاني عشر من نيسان ١٩٢٢ برعاية السيد ابو الحسن الاصفهاني والشيخ النائني والشيخ محمد الخالسي وحضره الكثير من علماء الدين المسلمين السنة والشيعة لمواجهة غارات الاخوان (جيش ابن سعود غير النظامي) الثقة بسياسة فيصل في مواجهة غارات الاخوان على العشائر العراقية، فرصة لتدعيم موقفه في المفاوضات، وعلى الارجح ان بريطانيا قد منحت الضوء الاخضر لتلك الغارات لاجباره على ابداء مرونة في موقفه في المفاوضات، لكن الأمور لم تسر حسبما ارادت، وليس ادل على ذلك اعلان تشرشل في الثالث

(١) منتهى عذاب ذويب، المصدر السابق، ص ٢٠٦.

(٢) عن سير المفاوضات ينظر: فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية – البريطانية واثرها في السياسة العراقية ١٩٢٤-١٩٤٨ ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ١٤-٣٩ ؛ كاظم هاشم نعمة، المصدر السابق ، ص ١٠٥-١١٠.

(٣) للمزيد عن المؤتمر ينظر : عبد الرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، ج١، ص ٢٣٨ ؛ عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية... ، ص ٢٤٤-٢٥١ ؛ محمد مهدي البصير، تاريخ القضية ... ، ج٢، ص ٢٨٥-٢٩٠.

والعشرين من نيسان " ان الملك فيصل وحكومته لم يخبرا بريطانيا عن رفض الشعب العراقي للانتداب " (١) .

أحدث هذا التصريح بعد نشره في الصحافة العراقية ضجة كبيرة في الاوساط العراقية المعارضة لاسيما الدينية. فعلى اثره ارسل الشيخ محمد مهدي الخالصي إلى المرجعيات الدينية في النجف يؤكد فيها رفضه لكل معاهدة تمس بالاستقلال التام للشعب العراقي (٢). ويبدو انه قد شعر بمسؤوليته الادبية بعدما بايع فيصل من دون التشاور مع المؤسسة الدينية في النجف، وهو ما نلمسه بتأكيد على مسألة الاستقلال التام.

وبناءً على ذلك ارسل الشيخ علي الحسيني الشيرازي برقية إلى الملك فيصل الأول باسم المرجعيات الدينية في النجف قال فيها : " بعد السلام والدعاء والاحترام، فان امل الامة والعلماء من جلالكم كمال المحافظة على رغباتهم التي لايبغون عنها بدلاً عن استقلال العراق التام ورفض كل ما يمس بكرامته، فالرجاء تحقيق امالهم كما هو مقتضى مقامكم الرفيع " (٣).

لم يجب الملك على الرسالة، ذلك ان المفاوضات قد قطعت شوطاً كبيراً. وفي الثاني والعشرين من حزيران ١٩٢٢ عرض نص المعاهدة في مجلس الوزراء لمناقشتها، فاعترض جعفر ابو التمن وكان يشغل منصب وزير التجارة قائلاً : " ان هذه المسألة لايمكن للمجلس ان يقوم بها، ويجب ان تعرض على البرلمان، لان السادة الدينيين واعمة الاسلام ضد اية معاهدة اطلاقاً " (٤) ولم يتم التوصل في هذا

(١) نقلاً عن : علي الوردي، لمحات اجتماعية ... ، ج ٦ ، ص ١٦٤ .

(٢) عبد الستار شنين الجنابي، تاريخ النجف السياسي، ص ٨٧ .

(٣) د.ك.و، البلاط الملكي، مضابط رفض الانتداب البريطاني على العراق، ملف رقم (٣٩٩٧) ، و(٧) ، ص (١٢) .

(٤) نقلاً عن : حسن شبر ، المصدر السابق، ص ٢٧٧ .

الاجتماع إلى نتيجة محددة، فتقرر تأجيل الاجتماع إلى يوم الرابع والعشرين من الشهر نفسه، فكان هذا اليوم صاخباً، فقد اغلق اهل بغداد محلاتهم واوفدوا وفداً لمقابلة رئيس الوزراء السيد النقيب، فقابله كل من الشيخ محمد مهدي الخالصي والشيخ أحمد الداود كاظم ابو التمن وعبد الحسين الجلي وغيرهم، فبينوا له القلق الذي يسود اوساط الشعب العرقي جراء المعاهدة، وعرضوا عليه رغبتهم بعدم الخوض فيها إذ لم يصرح فيها بالغاء الانتداب، فأكد لهم بانه " لايقبل معاهدة لا تتضمن رغبات الشعب العراقي ومطالبه".^(١)

تضمن مشروع المعاهدة التي تقدمت بها بريطانيا للعراق سبع عشرة مادة وضعت السلطات في البلاد بيد المندوب السامي البريطاني وان تشرف بريطانيا على العلاقات الخارجية فضلاً عن احتفاظها بالقوات العسكرية في العراق ، وتقيد العراق بقيود ثقيلة في المجال المالي اما الناحية الدينية فسمحت للتبشير بالديانة المسيحية .^(٢)

وفي الخامس والعشرين من حزيران، انتهى مجلس الوزراء العراقي من مناقشة المعاهدة. وقرر المصادقة عليها مع بعض التحفظات، فقدم جعفر ابو التمن استقالته، ولكن مجلس الوزراء وضع شرطاً لتصديق المعاهدة وهو وجوب تصديق المجلس التأسيسي على المعاهدة^(٣).

على اثر ذلك ارسلت المرجعيات الدينية في النجف رسالة بتاريخ الحادي والعشرين من تموز جاء فيها : " ان غاية الامة التي ترمي اليها من ابتداء تشكيل

(١) منتهى عذاب ذويب، المصدر السابق، ص ٢٢٦.

(٢) للمزيد عن المعاهدة ينظر: عبد الرزاق الحسني ، العراق في ظل المعاهدات ، ط ٦ ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ١١-١٤ .

(٣) عبد الرزاق عبد الدراجي ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

الحكومة العراقية والى ما بعد ، هي استقلال حكومتنا التام، وعدم قيام سلطة اجنبية عليها من جميع الجهات، ولا تحول عن ذلك ما دام لها الاختيار، وقد صرحت بذلك جميع طبقاتها ورفض كل ما يمس باستقلالها وكرامتها ، فبناءً على ذلك كل قرار او معاهدة او قانون انتخاب يقع بدون ان ينشر فيقع موقع القبول عند الأمة فذلك كله ينافي مبدأها واستقلالها وهي مجبورة عليه لا ينفذ عليها، وتستعين بالله على رفضه ونعم المستعان " (١).

وفي الثامن والعشرين من تموز عقد في جامع الهندي اجتماعاً برعاية السيد ابو الحسن الاصفهاني حضره نحو خمسمائة شخصية دينية وسياسية ونوقشت خلاله اوضاع البلاد، وقرر المجتمعون مقاطعة الانتخابات وعدم انتخاب أي شخص إلى المجلس التأسيسي في الوقت الحاضر (٢). وعلى اثر هذا الاجماع بعث عدد من شيوخ العشائر في الفرات الاوسط في الرابع من آب ١٩٢٢ رسالتين : الاولى الى الملك فيصل الاولى تضمنت المطالب الاتية (٣):

- ١- رفض الانتداب رفضاً باتاً واعتراف الحكومة البريطانية بالغائه رسمياً.
- ٢- ازالة أي سلطة اجنبية على الحكومة العراقية.
- ٣- اسقاط اية وزارة تصدق على معاهدة غير مرضية بنظر الامة.
- ٤- اطلاق حرية الصحافة.

اما الثانية فقد طالبت المندوب السامي بالاتي (٤):

- ١- رفض الانتداب البريطاني رفضاً تاماً ومطالبة بريطانيا بالغائه رسمياً.

(١) نقلاً عن : عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج ١، ص ١١١-١١٢.

(٢) عبد الستار شنين، تاريخ النجف السياسي، ص ١٦٥.

(٣) اخلاص لفته الكعبي، المصدر السابق، ص ١٦٦.

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٦.

- ٢- مراجعة الحكومة العراقية لوزارة الخارجية بدلاً من وزارة المستعمرات، لان مراجعتها لوزير المستعمرات مخالف للاستقلال التام.
- ٣- رفض تدخل ممثلي اية سلطة اجنبية، لان اعمالهم تتنافى والاستقلال التام.

يبدو من خلال قراءة هذه المطالب تأثير الاحزاب السياسية العراقية التي اجيزت بعد صدور قانون الجمعيات عام ١٩٢٢^(١)، مثل الحزب الوطني العراقي برئاسة جعفر ابو التمن، وحزب النهضة^(٢)، واعلن هذان الحزبان في برامجهما وقوفها ضد الانتداب او أي شكل يدل عليه وكانت تربطهما ، كما سبق - علاقات مع المرجعيات الدينية في النجف .

وبأصرار الحكومة العراقية والمندوب السامي على التصديق على المعاهدة، واهمال المطالب الوطنية ، قررت القوى الوطنية استثمار زيارة يوم الغدير التي تصادف يوم السبت الثاني عشر من آب ١٩٢٢ ، للقيام بتظاهرة سلمية كبرى في النجف، لكن السلطات المحلية عززت من تواجدها، فارتأى السيد ابو الحسن الاصفهاني حفاظاً على ارواح الزائرين ان يصدر فتوى بتحريم التجمعات داخل البلدة اثناء الزيارة^(٣) .

(١) عن القانون ينظر : رعد ناجي الجدة ، تشريعات الجمعيات والاحزاب السياسية في العراق ، بغداد ، ٢٠٠٢ ، ص ١٥-٢١ .

(٢) اجيز في ١٩ اب ١٩٢٢ برئاسة المحامي امين الجرججي وافتتح له فروع في مدن الفرات الاوسط فضلاً عن البصرة والموصل ابرز ما جاء في منهاجه ضمان استقلال العراق للمزيد ينظر : عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الاحزاب السياسية العراقية ، ط ١ ، مركز الابجدية ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٤٥-٥١ .

(٣) اخلاص لفته الكعبي ، المصدر السابق ، ص ١٦٧: عبد الحليم الرهيمي ، تاريخ الحركة الاسلامية ، ص ٢٥٥.

وبسبب المطالبات والاحتجاجات على الحكومة العراقية، قدم عبد الرحمن النقيب استقالة حكومته في التاسع عشر من آب ١٩٢٢، في حين سافر الملك فيصل الأول إلى خارج العراق لغرض العلاج، فانفرد كوكس في ادارة العراق، واستعمل القوة العسكرية المفرطة ضد العشائر الرافضة للمعاهدة أذ قصفت الطائرات البريطانية مناطقها بشدة (١) .

يبدو لي ان ما جرى كان مخططاً مسبقاً بين الملك والنقيب وكوكس، وفي الثلاثين من ايلول ١٩٢٢ ، كلف الملك فيصل عبد الرحمن النقيب بتشكيل وزارته الثالثة، والتي قررت في العاشر من تشرين الأول ١٩٢٢ التوقيع على المعاهدة (٢).

٢- انتخابات المجلس التأسيسي ١٩٢٤ :

كان لابد من تنفيذ الخطوة التالية بعد ان صادقت الحكومة العراقية على المعاهدة، فعلى وفق النظام الدستوري البرلمان، لاتكون أي معاهدة تعقدها الحكومة العراقية سارية المفعول، ألا بعد ان يصادق عليها البرلمان العراقي (مجلس الامة) ، وبما ان العراق دولة حديثة التكوين فان الامر يتطلب ان يتبنى المجلس التأسيسي هذه المهمة. ومن المفارقات التاريخية ان أي مجلس تأسيسي في دول العالم الدستورية من اولى مهامه اقرار دستور للبلاد. لكن يبدو ان الحاجة الملحة لاقرار المعاهدة رسمياً ونهائياً نظراً للمعارضة الشديدة لها من العراقيين، دفعت الحكومة البريطانية لكسر العرف الدستوري.

وفي ضوء ذلك قرر مجلس الوزراء اجراء الانتخابات في العشرين تشرين الأول ١٩٢٢، وانيطت بوزير الداخلية عبد المحسن السعدون تنفيذ هذه المهمة (٣).

(١) عبد الامير العكام ، حركة الوطنية في العراق ، ص ١٦٢ .

(٢) عبد الستار شنين الجنابي ، تاريخ النجف السياسي ، ص ٩٩ .

(٣) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج ١، ص ١١١ .

ومنذ اللحظة الاولى خشى عبد المحسن السعدون من حدوث معارضة او عرقلة لعملية الانتخاب. وقد ظهر ذلك واضحاً من خلال التعليمات التي اصدرها في الحادي والعشرين من تشرين الأول، إلى متصرفي الالوية، والتي ابلغهم فيها ان لا يعطوا مجالاً إلى ما يشوش الازهان من الدعاية المضادة لها (١) . جاءت هذه التعليمات بعد ان ارتفعت الاصوات في النجف بمقاطعة هذه الانتخابات، لاسيما بعد ان عقد في جامع الهندي اجتماعاً حاشداً، قرر المجتمعون فيه باسم المرجعية الدينية، مقاطعة الانتخابات وعدم انتخاب أي شخص للمجلس التأسيسي (٢).

بدأت العناصر الوطنية بشتى اتجاهاتها وشرائعها توحيد جهودها من اجل مقاطعة الانتخابات والانتقال من التهديد بالمقاطعة إلى مرحلة التنفيذ الفعلي الانتخابات (٣)، فقاموا بحملة دعائية واسعة في هذا اتجاه ، واتصلوا بالمؤسسة الدينية في النجف . وتدارس الجميع النتائج التي ستؤدي اليها هذه الانتخابات اذا ما جرت وتمت، من تصديق للمعاهدة، ووضع دستور دائم للبلاد سيكون خاضع لبنود المعاهدة. وما يتبع ذلك من تكبير البلاد بقيود الانتداب البريطاني (٤).

توصلت المؤسسة الدينية مع القوى الوطنية إلى حل يحفظ للعراق سيادته، فقررت ان لاتعترض على اجراء الانتخابات بعد ان تحقق السلطات المطالب الاتية(٥):

١- الغاء الادارة العرفية.

(١) المفيد (صحيفة) العدد (٩٢) ٨ آب ١٩٢٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) محمد مهدي البصير، المصدر السابق، ص ٤٨٥.

(٥) محمد مهدي البصير، المصدر السابق ، ص ٤٨٥.

٢- اطلاق حرية المطبوعات والاجتماعات.

٣- سحب المستشارين من الالوية.

٤- اعادة المنفيين السياسيين.

٥- السماح بتأليف الجمعيات السياسية.

يبدو ان المؤسسة الدينية ارادت من خلف هذه المطالب وضع الكرة في ملعب الحكومة والمندوب السامي، وفقاً لمطالب ديمقراطية منطقية. لكن المندوب السامي كان يدرك ان تشكيل الجمعيات السياسية والسماح لها بحرية التحرك يعني امكانية وصول قوى وطنية إلى المجلس التأسيسي ستعمل على منع اقرار المعاهدة.

تأزم الوضع كثيراً لعدم استجابة الحكومة لمطالب الشعب، وعندها اعلنت المؤسسة الدينية تأكيد قرارها بمقاطعة الانتخابات وتحريمها، فصدر الشيخ النائي في الخامس من تشرين الثاني ١٩٢٢ فتوى جاء فيها : " حكمنا بحرمة الانتخابات وحرمة الدخول فيها على كافة الامة العراقية وان من دخل في هذا الامر او ساعد عليه ادنى مساعدة فقد حاد الله ورسوله والائمة الاطهار (صلوات الله عليهم اجمعين) اعاذ الله الجميع عن ذلك" (١).

ثم اعقبت فتوى النائي فتوى اخرى للسيد ابو الحسن الاصفهاني جاء فيها: " برغم مما قد صدر منا تحريم الانتخاب في الوقت الحاضر لما هو غير مخفي وما ظاهر فمن دخل فيه او ساعد عليه، فهو كمن حارب الله ورسوله واوليائه صلوات الله عليهم اجمعين " (٢).

(١) د.ك.و : ملفات البلاط الملكي، ملف (٢٦١٩) الانتخابات وفتاوى علماء النجف

ضدها، ٩ تشرين الثاني ١٩٢٢ ، ورقة ١-٣.

(٢) د.ك.و : ملفات وزارة الداخلية ، فتاوى تحريم الانتخابات، رقم الملف (٢٦١٩) و (٢)،

٣، ٩، ١١).

وعلى اثر صدور فتاوى المؤسسة الدينية، اعلن اهالي النجف بان مشاركتهم في الانتخابات امر غير ممكن، فضلاً على انها لاقت صدى واسعاً في جنوب العراق (١). واثارت هذه الفتوى علماء الدين في كربلاء والكاظمية، ودفعتهم إلى اصدار فتاوى مشابهة من اجل مقاطعة الانتخابات (٢).

ادت مقاطعة الانتخابات ، وطلب المندوب السامي من عبد الرحمن النقيب اجراءها بالقوة، إلى تقديم عبد الرحمن النقيب استقالة حكومته في السادس من تشرين الثاني ١٩٢٢ بعد شعوره بعدم السيطرة على الموقف؛ وكلف الملك فيصل بطلب من المندوب السامي مسؤولية تشكيل الوزارة لعبد المحسن السعدون. الذي ألفها في الثامن عشر من تشرين الثاني ١٩٢٢ (٣).

قابلت المؤسسة الدينية الاجراء الجديد باصدار فتوى اخرى فأصدر النائب فتوى جاء فيها: " لا اشكال في حرمة الانتخابات ومن انتخب فقد عصى وجاء بغضب من الله العظيم " (٤).

على اثر ذلك ، اصدر الشيخ مهدي الخالصي فتوى ايد فيها ما ذهب اليه المؤسسة الدينية في النجف ، وتلاها فتاوى أخرى لرجال الدين الشيعة في بغداد والكاظمية امثال السيد حسن الصدر، والسيد محمد مهدي الصدر، والسيد محمد مهدي الموسوي والسيد محمد إسماعيل اسد الله وغيرهم (٥).

(١) عبد الهادي حائري، تشيع ومشروطين ، ص ١٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٥.

(٣) عبد الامير هادي العكام، الحركة الوطنية في العراق، ص ١١٩-١٢٠.

(٤) د.ك.و : ملفات وزارة الداخلية، ملف (٢٦١٨) والانتخابات والعشائر، ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٢، ورقة (٨).

(٥) اخلاص لفته، المصدر السابق، ص ١٧١.

اثمرت جهود علماء الدين الشيعة وفي مقدمتهم اقطاب المؤسسة الدينية في النجف، إذ استقالت الهيئات الانتخابية في معظم المناطق الشيعية^(١). ويذكر عبد الرزاق الحسني ان المطارنة المسيحيين دعوا اسفارهم إلى مقاطعة الانتخابات تمسكاً بالجامعة الوطنية وحفظاً للمصالح المشتركة^(٢).

بذلت الحكومة مساعي كثيرة لاسترضاء المؤسسة الدينية في النجف، ولكنها لم تتجح فحاولت ان تقلل من اهمية هذه الفتاوى، فاشاعت في البلاد بان العلماء قد رجعوا عن فتواهم، لكنها لم تتجح بعد صدور فتوى اخرى للسيد ابو الحسن الاصفهاني نسخت منها الالاف والصقت على ابواب الجوامع. ويبدو من نصها التشديد في الموقف إذ جاء فيها : " إلى اخواننا المسلمين ان هذا الانتخاب يميئ الامة الإسلامية، فمن انتخب بعد علمه بحرمة الانتخاب، حرمت عليه زوجته وزياراته ولايجوز رد السلام عليه ولا يدخل حمام المسلمين " ^(٣).

نتيجة لتطور الامور وللخشية من تحولها الى خطورة اكثر ، ابدت الحكومة والمندوب السامي بعض المرونة تجاه مطالب المؤسسة الدينية، حيث اطلقت سراح بعض المنفيين وأعادتهم من جزيرة هنجام، واصدرت قراراً للتفتيش الاداري خصت مادته الرابعة : ان يكون مقر الفنين الاداريين في بغداد ويرسلون للتفتيش حسبما تقتضيه الضرورة وتراه وزارة الداخلية^(٤). وتم توقيع بروتكول ملحق بمعاهدة ١٩٢٢ قلص مدة المعاهدة من (٢٠) عاماً إلى (٤) اعوام لاجل تهدئة المعارضة، كما تم

(١) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج ١، ص ١٤٩.

(٢) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج ١، ص ١٤٩.

(٣) نقلاً عن : عبد الحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص ٢٦٠.

(٤) محمد مهدي البصير، المصدر السابق، ص ٤٩٠.

التخطيط لتأجيل الانتخابات مؤقتاً لانتقاص الاحتقان في الشارع العراقي واعداد الظروف المناسب لتنفيذ الانتخابات (١).

على الرغم من الجهود التي بذلتها من اجل انجاح العملية الانتخابية، الا أن هذه الانتخابات لم تجر وفشلت الجولة الاولى في تحقيق اهدافها ، فلجأت الحكومة العراقية ودار الاعتماد البريطانية إلى اساليب اخرى كالترغيب والترهيب لتحقيق اهدافها، وقام الملك فيصل الأول في الثاني عشر من آذار ١٩٢٣ بجولة في انحاء البلاد. وقد رافقت تلك الجولة وصاحبته حملة صحفية من قبل الصحف الرسمية، تهيئة الرأي العام لقبول الانتخابات، وادانة العناصر التي تقف عقبة في طريق أجزائها وقد شعرت المؤسسة الدينية بالقلق من زيارة فيصل لذا ارسل السيد الاصفهانى الى رؤساء العشائر اكد فيها استمرار تحريم الانتخابات جاء فيها " بلغوا فيها كما امرتكم سادات الشامية ورؤسائها اني قد بينت غير مرة تحريم الانتخابات في الوقت الحاضر وبقيناً بلغكم ذلك فألأمول فيكم ما هو المعهود فيكم من تمسك بعري الشريعة المطهرة ... " (٢) .

ولاجل تعزيز موقف الملك امام الانتقادات المحتملة اصدر المندوب السامي بياناً اوضح فيه ان زيارة الملك تؤكد ان البلاد ليست في حالة الاحكام العرفية (٣). اراد فيصل ان يقول ان شرطاً آخر من شروط المؤسسة الدينية لمواقفها من اجراء الانتخابات قد تحقق.

من جانبها استمرت المؤسسة الدينية في معارضتها للمعاهدة، ولاجل توحيد المواقف أزاء التطورات الجديدة، التي رأت فيها خدعة بريطانية لتمرير المعاهدة

(١) العراق " صحيفة " العدد ٣١٦ ، ١٤ آيار ١٩٢٣.

(٢) محمد مظفر الادهمي، المجلس التأسيسي ، ج٢، ص ٣٨.

(٣) د. ك. و.، وزارة الداخلية ، الانتخابات وفتاوى علماء النجف ضدها ملف (٢٦١٩)

اتصلت بعلماء الكاظمية وعلى رأسهم الشيخ مهدي الخالسي، واتفق الجانبان على تشديد لهجة الفتاوى بحيث تشمل تحريم التعامل مع الحكومة إذ لم تلغ الحكومة مشروع الانتخابات وتعمل على إنهاء الانتداب أولاً^(١). وهذا يدل على ان الاستجابة لفتاوى التحريم قد شجعت المؤسسة الدينية على المطالبة الصريحة باهدافها الحقيقية وتم تفعيل ذلك بأرسال مجموعة من الفتاوى الجديدة الى الكاظمية لغرض نشرها في المناطق الاخرى وبرزها فتوى السيد ابو الحسن الاصفهاني^(٢). لم يمض وقت طويل حتى نفذت المعارضة لتهديدها، حيث خلع الشيخ مهدي الخالسي بيعة الملك فيصل في مهرجان ضخم عقده في مدرسته العلمية في الكاظمية قال فيه : " لقد بايعنا فيصلاً ليكون ملكاً على العراق بشروط وقد اخل بتلك الشروط فلم يعد له في اعناقنا واعناق الشعب العراقي أية بيعة " ^(٣).

أدركت الحكومة العراقية ان الامر قد اخذ منحى خطيراً يهدد النظام السياسي، وان المؤسسة الدينية في النجف والشيخ الخالسي ليس بالامكان تحجيمها والسيطرة عليها، نظراً لتأثيرهما على شيعة العراق. وبناء على ذلك رأت حكومة عبد المحسن السعدون ان الامر يتطلب اجراءات اكثر صرامة وجراءة، وبناء على ذلك قررت في السابع عشر من حزيران ١٩٢٣ ، وبأكثرية الاصوات البدء باجراء الانتخابات في الالوية العراقية وتهديد المرجعيات المعارضة بصورة قانونية وذلك باخراج من لا يحمل التبعية العثمانية منهم، وتقديم العراقيين المقاطعين للانتخابات إلى المحاكم عن

(١) د.ك.و، وزارة الداخلية ، ملفه تحريم الانتخابات، و (٨) ص (١٢).

(٢) ينظر الملحق رقم (١) .

(٣) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية، ج ١، ص ١٧٧ ؛ اخلاص لفته، المصدر

السابق، ص ١٧٨.

طريق تعديل قانون البغدادي بحيث أصبح بإمكانها اخراج الاجانب من العراق اذ ما اقترفوا جناحاً سياسية ^(١).

وبدواعي ضبط منشورات تحض على العنف وتحريم الانتخابات في مدرسته الدينية، قررت الحكومة العراقية في السابع والعشرين من حزيران ١٩٢٣، نفي الخالسي وولديه إلى خارج العراق بلاد فارس تحديداً لكونهم اجانب قد خرقوا القانون. والواقع لم يكن السعدون ليقدم على هذه الخطوة لولا حصوله على الضوء الاخضر من سلطات الانتداب البريطاني. لا سيما ان الاخيرة قد اهتمت بموضوع تبعية الخالسي قبل هذا التاريخ . اصف الى ذلك تقرير بريطاني جاء فيه " ان للشيعنة تاثير في شؤون البلاد مصدره العلماء ورجال الدين الذين يعملون وراء المصلحة المذهبية دون المصلحة الوطنية فأضعاف موقف رجال الدين ... ابعاد تكتل رجال الدين والشيعنة ضد اجراءات الحكومة " ^(٢) .

كان هذا الاجراء من المفارقات التاريخية، فالشيخ الخالسي هو من اسهم في تذليل العقبات امام انتخاب فيصل ، والاخير قد حرص على مبايعته له حتى يقتدي العراقيون به وهو الان يتهم بعراقيته - مع ان الكثير من الباحثين - يؤكدون عروبة الخالسي ، وكون تبعية عائلته كانت جزء من عزوف الكثير من العراقيين عن التجنس بالجنسية العثمانية خشية التجنيد ^(٣) .

تلقت النجف خبر نفي الخالسي بألم شديد واعلن الاضراب العام واغلقت الاسواق وتجمهر الاهالي واعلن معظم اقطاب المؤسسة الدينية تضامنهم مع الخالسي. وبعد تسلم رسائل لعقد اجتماع في دار السيد ابو الحسن الاصفهاني،

^(١) لطفي جعفر فرج، عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراقي السياسي المعاصر، بغداد، ١٩٨٨، ص ٨٨-٩١.

^(٢) نقلاً عن : المصدر نفسه، ص ٨٧-٨٨ .

^(٣) ينظر: عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الاسلامية ، ص ٣٣٠.

حضره كل من السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجواهري والميرزا مهدي الخراساني والشيخ عبد الكريم الجزائري وغيرهم، وقد أيد الحاضرون فكرة السيد الاصفهاني بالاحتجاج على نفيه، واختاروا طريقة الهجرة من العراق إلى فارس احتجاجاً على ذلك (١) .

عملت الحكومة في بادئ الامر على أمتصاص نقمة المؤسسة الدينية، فارسلت متصرف كربلاء مولود مخلص لتطمين اقطابها وابلاغهم اسف الحكومة على اضطرارها إلى اتخاذ مثل هذه الاجراءات رغماً عن الوسائل السلمية التي اتبعتها حتى الان (٢) .

وفي تقرير سري بعثت به ادارة التحقيقات الجنائية المركزية إلى مستشار وزارة الداخلية عن تطورات الوضع في النجف جاء فيه " ... وعلمنا بأن علماء الدين الذين اصدروا اوامرهم باغلاق المحلات بعد ظهر يوم (٢٧ حزيران) احتجاجاً على نفي الخالصي، وقد تجمعوا في صحن الامام علي وكان في مقدمتهم السيد ابو الحسن الاصفهاني والميرزا النانني، والسيد محمد الفيروز ابادي والسيد علي الشهرستاني، والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ احمد كاشف الغطاء والميرزا احمد الخراساني واخرون غيرهم، ومعهم ما يقارب الـ (١٠٠٠) من طلبة العلوم الدينية والاتباع، وادوا الزيارة وابتهلوا النصر للإسلام، ثم غادروا النجف إلى مسجد السهلة في الكوفة لليلة واحدة ... وفي الساعة الثامنة مساءً زار العلماء في مسجد السهلة مجموعة من شيوخ العشائر المحيطة بمدينة الكوفة منهم عمران الحاج سعدون وعلوان الحاج سعدون واخرون، وطلبوا منهم عدم مغادرة العراق ووعدوهم بتنفيذ اوامرهم الا انهم رفضوا هذا العرض " (٣) .

(١) علي الوردي، لمحات اجتماعية ... ، ج ٦ ، ص ٢٢٦ .

(٢) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج ١ ، ص ١٧٣ .

(٣) عبد الستار شنين الجنابي ، تأريخ النجف السياسي ، ص ١١٤-١١٥ .

غادر اقطاب المؤسسة الدينية الكوفة عن طريق نهر الفرات بوساطة الزوارق البخارية في الثامن والعشرين من حزيران ١٩٢٣ ، متوجهين إلى كربلاء التي وصلوها في اليوم التالي. حيث اعدت لهم خيمة خاصة للنزول فيها. ومنعت السلطات المحلية الاهالي من الاتصال بهم. ثم وصلت الاوامر إلى متصرف كربلاء بتسهيل سفر الذين يحملون الجنسية الفارسية منهم، اما الباقون فيجب ابقائهم في العراق ووضعهم تحت مراقبة الشرطة ^(١). وفي الأول من تموز تم تسفير تسعة منهم في مقدمتهم السيد ابو الحسن الاصفهاني والشيخ النائني إلى فارس ^(٢).

مما لاشك فيه ان اقدام اقطاب المؤسسة الدينية على الهجرة إلى فارس، كان خطأ تاريخياً ، إذ سهل على الحكومة تنفيذ مخططها الرامي إلى تهجيرهم بدون أي اضرار، بل على العكس من ذلك اظهرت الحكومة بمظهر القوي الذي حجم المؤسسة الدينية ، فضلاً عن ان هجرتهم الطوعية لم تدع للعشائر ومقلديهم فرصة التعبير عن مشاعرهم والتي ربما كانت ستأخذ منحى آخر، لا سيما ان فيصل لا يزال في جولته في الفرات الاوسط وقد تمكن من كسب العديد من شيوخ العشائر الى جانب الحكومة .

قررت الحكومة استئناف عملية الانتخابات مجدداً بعد ان ذلت اهم العقبات امامها، واختارت يوم الثاني عشر من تموز ١٩٢٣ البدء فيها، بعد ان تم الغاء الهيئات التفتيشية القديمة، وتأليف اخرى جديدة ^(٣). تمت الانتخابات بصعوبة في

(١) حسن شبر ، المصدر السابق، ص ٣٢٠.

(٢) حسن شبر ، المصدر السابق ، ص ٣١٠.

(٣) د.ك.و . ملفات وزارة الداخلية، فتاوى علماء النجف، رقم الملف (٢٢١٩) و (١٢) ،

النجف اما في الكاظمية فدلّت النتائج على عزوف الكثير من اهلها عن المشاركة فيها. (١)

وبعد ان ادت مهمتها قدمت حكومة عبد المحسن السعدون استقالتها في الخامس عشر من تشرين الثاني ١٩٢٣ ، وأراد الملك فيصل تكليف شخصية تعمل على تهدئة الخواطر بعد هجرة رجال الدين. فختار جعفر العسكري وزير الدفاع في حكومته السابقة، ليشكلها، وانيطت بها مهمة جمع المجلس التأسيسي والمصادقة على المعاهدة وقرار دستور دائم للبلاد.

صدرت الارادة الملكية في السابع والعشرين من اذار ١٩٢٤ بافتتاح المجلس التأسيسي وجرى في العاشر من اذار ١٩٢٤ التصديق على المعاهدة، بعد جلسة طويلة وبضغوط من المندوب السامي هنري دويس (٢) على الملك فيصل هده في حالة عدم تصديقها سيتم اعادة البلد وضع الاحتلال او ترشيح دولة اخرى لتكون مندوبة على العراق ورشح المندوب السامي ايطاليا وهذا يعني عدم مساعدة بريطانيا العراق في قضية الموصل (٣).

وفي السادس والعشرين من اذار ١٩٢٤ ، بعث السيد ابو الحسن الاصفهاني بوساطة إلى الملك فيصل الأول يعلن فيها قبوله للشروط التي وضعتها الحكومة العراقية، قبل السماح لهم بالعودة إلى العراق وابرز ما جاء فيها: " وقد اخذنا على

(١) محمد مظفر الادهمي ، المجلس التأسيسي ، ج٢ ، ص ١٦٢.

(٢) هنري دويس Henry Dobbs (١٨٧١-١٩٣٤) سياسي وعسكري بريطاني عمل في مناصب مختلفة في بلاد فارس وافغانستان والهند ، التحق بالحملة البريطانية على العراق ثم عمل مستشاراً مالياً بعد احتلال بغداد خلفه برسي كوكس مندوباً سامياً لبريطانيا في العراق ١٩٢٣ . ، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥-١٩٣٠ ، ترجمة: فؤاد قرنجي ، دار المامون ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٢٥ .

اعناقنا عدم المداخلة في الامور السياسية والاعتزال عن كل ما يطلبه العراقيون
ولسنا بمسؤولين عن ذلك وانما المسؤول عن مقتضيات الشعب وسياسته جلالتم " (١).

انتهت عودة المرجعيات الدينية الى العراق (١) ، وتعهدوا بعدم الخضوع بالشأن
السياسي مرحلة مهمة من تاريخ هذه المرجعيات ودورهم السياسي الفاعل في الحياة
السياسية في العراق. ومن دون شك اثر ذلك سلباً على الدور السياسي لمؤسسة
الدينية في السنوات اللاحقة

٢ - موقفها من القانون الاساسي (الدستور) :

يعد الدستور اهم وثيقة سياسية وقانونية تنظم شؤون الحكم وصلاحيات
المؤسسات الدستورية وتنظم العلاقة بين السلطات الثلاثة (التنفيذية ، والتشريعية ،
والقضائية) ، وعلى وفق ذلك ترتكز الانظمة السياسية في الدول الديمقراطية عليه.
ولم يكن مصطلح الدستور غريب عن العراقيين ، فقد شهد العراق اول معالم
للحياة الدستورية بعد اعلان إعادة العمل بالدستور العثماني في الثالث والعشرين من
تموز ١٩٠٨ ، في اعقاب قيام الثورة الاتحادية - وكانت المؤسسة الدينية في النجف
من المناصرين والمنظرين للنظام الدستوري ، وانعكس موقفها على مطلب العراقيين
لدولة دستورية مستقلة أبان استفتاء ولسن (١٩١٨-١٩١٩) - كما سبق -

(٣) عبد الستار شنين الجناني، تاريخ النجف السياسي، ص ١٢٦.

(١) يعزو البعض بسبب عودة المرجعيات الى العراق الى عوامل مختلفة منها : انقطاع الاموال الشرعية
عنها ، الضغط الذي مارسته الحكومة الفارسية ضدها بسبب موقفها الراض لسياسة رضا بهلوي من
بريطانيا ، عدم تحمس المرجعيات الدينية في قم لوجود هذه المرجعيات (اي عمل المنافسة) ،
الخشية من حدوث فراغ فقهي في النجف . ونعتقد ان جميع هذه العوامل وبدرجات متفاوتة كانت بسبب
العودة السريعة لهذه المرجعيات الى العراق وتقديمها التنازلات .

ارتكزت الاسس القانونية والسياسية لوضع دستور للعراق الى عدة قرارات دولية هي :

١. الفقرة الرابعة من المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الامم التي تتعلق بالانتداب على الدول الخارجة من نفوذ الدولة المهزومة في الحرب العالمية الاولى ، والمادة الاولى من نبود لائحة الانتداب البريطاني على العراق والتي نصت : " للمنتدب ان يضع في اقرب وقت لا يتجاوز ثلاث سنين من تاريخ تنفيذ الانتداب ، قانوناً اساسياً للعراق يعرض على مجلس جمعية الامم للمصادقة فينشره سريعاً ، وهذا القانون يسن بمشورة الحكومة الوطنية، ويبين حقوق الاهالي الساكنين ضمن البلاد ومنافعهم ورجائهم"(١).

٢. البيان الذي اصدره المندوب السامي البريطاني برسي كوكس بعد تتويج فيصل والذي اكد على (ان تكون حكومته دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون) .

٣. نص المادة الثالثة من الاتفاقية العراقية - البريطانية ، والتي اكدت على ان يسن دستور عراقي ووضعت حدوده وشكله .

وقد اتمت دار الاعتماد البريطانية لائحة الدستور وارسلتها الى وزارة المستعمرات في اوائل عام ١٩٢٢ ، فأجرت الوزارة تعديلات هامة فيها ، واعادتها الى معتمدها في العراق ليقدمها الى الحكومة العراقية (٢) .

بعد اعادتها تألفت لتدقيقها لجنة تكونت من وزير العدلية ناجي السويدي (٣)، وساسون حزقيل وزير المالية ، والمستر دراوين مستشار وزارة العدلية والمستر نايجل

(١) نقلاً عن : عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج١ ، ص ٣٠١ .

(٢) جعفر عبد الرزاق ، المصدر السابق ، ص ٢١٥ .

(٣) ناجي شوكت : سياسي عراقي ولد في بغداد عام ١٨٨٢ من اسرة سياسية معروفة اكمل دراسته في استنبول ، شغل وظائف مختلفة في العهد العثماني ، داخل العراق وخارجه ، تولى مناصب ادارية ووزارية عديدة ، توفي في عام ١٩٤٢ . للمزيد ينظر: مير

دافيدسن المستشار الحقوقي للحكومة العراقية ورستم حيدر ^(١) ممثل الملك

فيصل الاول ^(٢) .

ناقشت اللجنة لائحة الدستور فوجدت فيها ما يستحق التعديل ، لكنها انقسمت الى فريقين : الوزيرين العراقيين من جهة والموظفين البريطانيين في الجهة الاخرى ، وقد دون كل فريق وجهه نظره في التعديلات وارسلت مع اللائحتين القديمة والجديدة الى وزارة المستعمرات للبت فيها . وتم تأييد وجهة النظر العراقية في معظم التعديلات التي اوردها الاعضاء العراقيين ولا سيما فيما يتعلق (بسلطة المجالس النيابية ، وجعل الحكومة تحت اشراف المجلس النيابي وتحقيق مسؤولياتها امامه) ، وكان هذا الحق قد فسخ للملك في اللائحة الاصلية^(٣).

صادقت وزارة المستعمرات على اللائحة بشكلها الاخير ، فأعيدت الى الحكومة العراقية لعرضها على المجلس التأسيسي للمصادقة عليها . وجاءت هذه اللائحة بشكلها العام واسسها مشابهة للدستور المصري والقانون الاساسي العثماني ، فضلاً عن استعانتها ببعض الدساتير الاجنبية مثل (الاسترالية ، والنيوزلندية ، واليابانية) ^(٤). وفي الثالث من نيسان ١٩٢٤ قدمت الحكومة لائحة القانون الاساسي الى المجلس التأسيسي ليصوت عليها . وارتأى المندوب السامي ان يتم التصديق على

بصري ، اعلام السياسية في العراق الحديث ، ط١ ، ج٢ ، دار الحكمة، لندن ، ٢٠٠٤ ، ص٢٧٢-٢٧٣ .

^(١) محمد رستم حيدر : سياسي عراقي من اصل لبناني ولد في بعلبك في لبنان ودرس في دمشق رافق الامير فيصل إلى مؤتمر الصلح في باريس ، احد المقربين من العائلة المالكة ، شغل منصب رئيس الديوان الملكي في عهد فيصل فضلاً عن مناصب وزارية واخرى ادارية، اغتيل في بغداد عام ١٩٤٠ . المصدر السابق، ص٢٥٢-٢٥٣ .

^(٢) محمد مظفر الادهمي ، المجلس التأسيسي العراقي ، ج٢، ص٢٥٠ .

^(٣) جعفر عبد الرزاق، المصدر السابق ، ص٢١٦ .

^(٤) للمزيد ينظر: عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج٢، ص٢٥٠-٢٥١ .

المعاهدة العراقية البريطانية قبل الدستور ، بذريعة ان العراق دولة منتدبة وعلى دستورها ان لا يتعارض معها ولهذا صودق على المعاهدة قبل الدستور - كما سبق .

الف المجلس التأسيسي لجنة تمثل جميع الالوية العراقية لمناقشة لائحة القانون ، واستغرقت المناقشات ثمانية عشرة جلسة بدأت في الرابع عشر من حزيران وانتهت المصادقة عليه في الحادي والعشرين من تموز ١٩٢٤ ، وتظهر طول مدة المناقشة عمق الخلافات بشأنها لا سيما مسألة عدم تعارض بنود القانون مع المادة الثالثة من المعاهدة العراقية - البريطانية عام ١٩٢٢ ، وحقوق الطوائف الدينية والاقليات ، كما لم يوفق المجلس بأدخال اي تعديلات اساسية مهمة في مشروع القانون الاساسي^(١).

وبالرغم من مصادقة المجلس على القانون الاساسي الا ان مصادقة الملك فيصل الاول على القانون لم تتم مباشرة ، وعلى هذا الاساس لم ينشر في الجريدة الرسمية الا في الحادي والعشرين من اذار ١٩٢٥ ، وهذا التأخير كان مقصوداً لأجل تمكين بريطانيا من الحصول على امتياز النفط بموافقة مجلس الوزراء فقط، دون عرض الامتياز على مجلس الامة (مجلس النواب ومجلس الاعيان) لأستحصال الموافقة عليه بقانون .^(٢)

احتوى القانون الاساسي العراقي (١٢٣) مادة موزعة على عشرة ابواب^(٣). ومن ابرز ماخذه - عدا تلك التي اخضعت له لسلطة الانتداب البريطاني - منح الملك الذي من المفترض انه مصون غير مسؤول بحسب المادة الخامسة والعشرين

(١) للمزيد ينظر : محمد مظفر الادهمي ، المجلس التأسيسي ، ج٢ ، ص ٢٥٦-٢٨٦ .

(٢) رعد ناجي الجدة ، التطورات الدستورية في العراق ، ط١ ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٤ ، ص ٣٩ .

(٣) عن نص القانون الاساسي ينظر : المصدر نفسه ، ص ٢٧٧-٢٨٨ .

صلاحيات مكنته من فرض ارادته على السلطة التنفيذية والتشريعية ، منها الفقرة الثانية من المادة السادسة والعشرين التي اجازت للملك حق حل مجلس النواب ، والفقرة الثالثة من المادة نفسها ، التي اباحت للملك اصدار مراسيم مالية وعسكرية والتصديق على المعاهدات اثناء عطلة المجلس ، فضلاً عن الفقرة الخامسة التي اعطته الحق في اختيار رئيس الوزراء - ولا يوجد مجالاً للشك - ان البريطانيين ارتأوا من ذلك ضمان مصالحهم في العراق . ، اذ انه سيضعف دور المجالس المنتخبة ويحد من امكانية عرقلتها لمصالح بريطانيا في العراق .

على الرغم من اهمية اصدار " الدستور " العراقي الذي ثبت النظام السياسي في العراق وحدد شكله ب (الملكي ، الوراثي ، النيابي) بصورة قانونية معترف بها من قبل عصبة الامم ، وبين حقوق وواجبات الدولة والمجتمع ، الا ان معظم المرجعيات الدينية في النجف لم تبد رأياً بشأنه بوصفه خاضعاً للمعاهدة العراقية - البريطانية . ولتعهدا السابق بعدم الخوض في السياسة .

لكننا نستطيع القول ان الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ محمد جواد الجواهري كانا مرحبين بأصداره وذلك لقيامهما بالتوقيع على مذكرة قضاء النجف المرسلة الى الملك فيصل الاول التي اعلنت ولاءهما له وباركت تشكيل المجلس التأسيسي. (١) يبدو ان قرار المرجعيات الكبيرة بالهجرة الى بلاد فارس قد القى بظلاله على موقف الشيخين فعلى الأرجح انهما لم يؤيدا قرار الهجرة فضلاً عن تثبيت النظام السياسي في العراق قد دفعهما الى التفكير بواقعية سيما وانهما من المرجعيات الحركية - ان جاز التعبير - اي على اتصال مباشر بالعشائر والقوى المحلية الاخرى .

يتضح مما سبق ان المؤسسة الدينية في النجف لم تكن بالضد من تأسيس الدولة العراقية من قبل بريطانيا ، لكنها عارضت الاسس التي اقيمت عليها وفي مقدمتها افتقارها للسيادة العنصر الاساسي لقيام أي دولة وطنية وذلك باخضاع

(١) عن المذكرة ينظر : جلال كاظم الكفاني ، المصدر السابق ، ص ١٧١ .

نظامها السياسي لبندو المعاهدة العراقية البريطانية ١٩٢٢، فضلاً عن الدولة العراقية مشروع عراقي اجبرت بريطانيا على اقامته وكان للمؤسسة الدينية الدور الكبير في بلورته .

عملت المؤسسة الدينية جاهدة على اصلاح هذا الخلل في بنية الدولة العراقية باصرارها على شروطها للموافقة على اجراء انتخابات المجلس التأسيسي وهي شروط تتوافق والمعايير الديمقراطية من قبيل حرية العمل السياسي وحرية التعبير ، بيد ان موقفها المبدئي هذا لم يراعي طبيعة المرحلة التاريخية والمتمثلة بسطوة بريطانيا وترسخ سيطرتها في العراق، الامر الذي جعلها بعيدة عن الواقعية السياسية واتضح ذلك بجلاء باصرار كبار اقطابها على الهجرة إلى خارج العراق فنح ذلك بريطانيا والنخبة السياسية الحاكمة الحرية التامة في التعامل مع الموقف السياسي في العراق بعدما ضعفت المعارضة الوطنية القوية لهما.

اولاً: موقفها من السلطة (١٩٢٦ - ١٩٣٣) :-

بعد التصديق على الدستور العراقي عام ١٩٢٥ سعت بعض الزعامات الشيعية في اداء دور فعال في الحكم يتناسب وثقل الشيعة السكاني ومشاركتهم ابناء وطنهم في مناهضة الاستعمار البريطاني ، لكن هذا السعي اصطدم باخر للنخبة السياسية الحاكمة والقاضي بترسيخ اركان حكمها من خلال توزيع المناصب الوزارية وتعيين كبار موظفي الدولة ومتصرفي الالوية على المقربين منها. فحينما حاول نائبي المنتفك في مجلس النواب (السيد عبد المهدي والشيخ محمد باقر الشبيبي) تأسيس حزب سياسي، اصطدم مساعهما باعتراض رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون الذي عد ذلك محاولة لضرب الوحدة الوطنية لانه - بحسب رأيه - قائماً على الأساس المذهبي والمطامع الشخصية ، ونجد صدى ذلك في رسالته إلى الملك فيصل الأول في الثالث عشر من آب ١٩٢٥ وما جاء في بعض فقراتها " ان مجلس الامة سائر سيراً حسناً ولكن قام في الأيام الأخيرة بعض المفسدين مثل السيد عبد المهدي والشيخ محمد باقر الشبيبي نائبي المنتفك ببث الشقاق والتفرقة بين السنة والشيعة وحاولا تأسيس حزب سياسي قائم على الاساسات المذهبية ... لاشك ان هذا الخبر مما يسوء جلالكم سماعه ولكن عبدكم سييذل ما في وسعه للحيلولة دون تأليفه والتشديد على ما يريد بالبلاد وابنائها سوءاً حباً بالمطامع الذاتية " (١)

حاول محسن ابو طبيخ ثني عبد المحسن السعدون عن التخلي عن هذه السياسة، إذ يذكر في مذكراته ما نصه " أثرت هذا الموضوع للسعدون نفسه، ناصحاً تارة ومحذراً تارة آخر من مغبة المضي في تجاهل حقوق الاكثرية الشيعية وما قد ينجم عن ذلك من أمور وردود فعل طويلة الامد تتعكس على مستقبل العراق لاجيال

(١) عن نص الرسالة ينظر: عبد الامير العكام ، وثائق تنشر لأول مرة بين الملك فيصل الأول وعبد المحسن السعدون، دراسات تاريخية ((مجلة)) ، العدد ٢١، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٦١-٦٢.

تأتي . فوجدت لديه صورة قد اخذ مفهومها من ثقافته التركية" - على الأرجح انه قصد بأن السعدون درس في تركيا وقد كتب وصيته بالتركية - ويضيف ابو طبيخ " وكان كل الذي سمعته ان ابناء الشيعة من المتعلمين المؤهلين للوظائف الحكومية هم قلة، وقد نسوا ان الموجود منهم وعلى درجات عالية من المعرفة في النجف وحدها قد يفوق مجموع الافندية الموجودين في كافة دوائر الدولة"^(١).

شهد عام ١٩٢٧ حادثاً مؤسفاً كان له اثره في توتر العلاقة بين المؤسسة الدينية والحكومة العراقية. عرف بـ(فتنة النصولي) نسبة إلى قيام احد المدرسين السوريين المستقدمين للتدريس في المدارس العراقية، ويدعى انيس زكريا النصولي^(٢) في اوائل كانون الثاني ١٩٢٧ باصدار كتابه الموسوم " الدولة الأموية في الشام " ، وقد مجد فيه الدولة الاموية وخلفاءها، واورد اموراً عدها الشيعة طعناً بالامامين علي ابن ابي طالب ونجله الحسين (ع) إذ اظهرهما مرتابان في حقهما في الخلافة - وهو ما يتناقض مع جوهر العقيدة الامامية والحقائق التاريخية - فضلاً عن انتقاده لمراسيم العزاء في عاشوراء^(٣) - وزاد الامر سوءاً - موافقة مديرية المعارف العراقية

(١) عبد الامير العكام ، المصدر السابق، ص ٢٨٨.

(٢) انيس زكريا النصولي: ولد في بيروت من اسرة تجارية ، تخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٢٤ ، ذو نزعة قومية عكسها في كتاباته في الصحف والمجلات المصرية مثل (الهلال المقتطف، الزهراء) له مؤلفات عديدة في التاريخ الإسلامي والعربي من ابرزها: اسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر، الدولة الاموية في قرطبة عام ١٩٢٦ انتدبته وزارة المعارف العراقية لتدريس مادة التاريخ العربي في المدارس الثانوية، فدرس في الموصل ثم في بغداد. للمزيد ينظر: خيرى العمري، حكايات سياسية .. ، ص ١٤٦-١٤٧.

(٣) للمزيد ينظر: انيس زكريا النصولي، الدولة الاموية في الشام ، ط١ ، دار السلام ، بغداد، ٢٠٠٧، ص ١-٦٠.

على ادراجه ضمن المنهج المقرر لتدريس مادة التاريخ العربي في مدرسة " الثانوية المركزية " ببغداد التي يدرس فيها النصولي (١) .

واحدث ذلك ازمة شديدة بين وزير المعارف السيد عبد المهدي المنتفكي ومدير المعارف العام ساطع الحصري (٢) الذي كان مكلفاً من الملك فيصل الأول برسم السياسة التعليمية في العراق - كما سيأتي - إذ عد الوزير القضية اخطر من مبدأ حرية الفكر التي كفلها الدستور لانها تتعلق بمشاعر واحاسيس الشعب وسيكون لها تداعيات خطيرة (٣) . لذا كان يرى ضرورة فصل المدرس النصولي، بينما دعم اغلب اعضاء حكومة جعفر العسكري الثانية (٤) موقف ساطع الحصري القاضي بكون القضية تقع ضمن إطار حرية الفكر (٥).

موقف الوزراء هذا كان غير مسؤول ، فاذا سلمنا بان الحصري والنصولي هما غير مطلعين على طبيعة المجتمع العراقي وحساسية التطرق إلى مثل هذه الامور فيه ، فأن هؤلاء الوزراء على علم بذلك، وان التذرع بليبرالية الدولة العراقية في هذا الموضوع لم يكن في محله، لكن يبدو ان الملك فيصل الاول قد اقتنع بما

(١) عبد الكريم الارزي، مشكلة الحكم في العراق من فيصل الأول إلى صدام، لندن، ١٩٩١، ص ٢١٥.

(٢) ساطع الحصري: تربوي ومفكر قومي عربي، ولد في صنعاء عام ١٨٧٩، اكمل دراسته في اسطنبول، وبعد تأسيس الدولة العراقية، منح الجنسية العراقية وعين مديراً عاماً للمعارف، له مؤلفات عدة منها: حول القومية العربية، اراء واحاديث في القومية العربية، دفاع عن العروبة، بعد اخفاق حركة مايس عام ١٩٤١ ، هرب إلى خارج العراق ونزعت عنه الجنسية العراقية، توفي في بغداد عام ١٩٦٨ . للمزيد تنظر: ساطع الحصري ، اراء واحاديث في الوطنية والقومية ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، د.ت .

(٣) خيرى العمري، حكايات سياسية، ص ١٦٨.

(٤) شكلت في (٢١/ كانون الأول/ ١٩٢٦) وقدمت استقالتها في (٨/ كانون الثاني/ ١٩٢٨).

(٥) خيرى العمري، حكايات سياسية... ، ٢٠١٦.

ذهب اليه وزير المعارف، سيما وانه قد زار النجف واطلع على امتعاض المؤسسة الدينية ورغبتها بأن يتخذ اجراءات صارمة ضد المؤلف لمنع تكرار ذلك^(١). وعلى اثر ذلك اصدرت وزارة المعارف امراً بفصل النصولي وابطال تدريس كتابه وسحبه من الاسواق^(٢).

لم تنته قضية النصولي عند هذا الحد، إذ عمد زملائه من المدرسين السوريين إلى تحريض طلبة الثانوية المركزية في الثلاثين من الشهر نفسه على الاعتصام والتظاهر اما وزارة المعارف ضد ما وصفه (خنق الحرية الفكرية) فحدثت مصادمات بينهم والشرطة اسفرت عن جرحى بين الطرفين . بعدها ادرك الطلبة ذو الحس الوطني ان استمرار المظاهرات يخدم سلطات الانتداب اذ ستستغله لبث الفرقة بين ابناء الشعب الواحد ، فوقفوا اعتصامهم بعد ان اصدروا بياناً أكدوا فيه على الوحدة الوطنية^(٣).

على الرغم من تسوية قضية النصولي تماماً، الا انها لم تنته بدون ان تستغله سلطات الانتداب اذ اورد التقرير البريطاني السنوي عن حالة العراق إلى عصبة الامم لعام ١٩٢٧، هذه الحادثة ومما جاء فيه... "وان هذه الحادثة لم يكن لها اهمية بحد ذاتها ولكن زعماء المجتمعين (السني والشيوعي) باتخاذهما جانب مجتمعهما فانهما انشدا العداء المشترك، وبذلوا كل جهودهم لجعل تلك الحادثة مناسبة للقيام بتجربة القوة بين المذهبين، وان الذين رغبوا في حزب شيوعي وجدوا بأن هذه الحادثة كانت فرصة للحصول على حجج جديدة لغرضهم"^(٤). وتدل هذه الفقرة ان بريطانيا تريد ان ترسخ فكرة وجود صراع بين الشيعة والسنة في محاولة لبث الفرقة بين

(١) العرفان ((مجلة)) عدد ٧ ، صيدا، ١٩٢٧ ، ص ١١.

(٢) عدي حاتم المفرجي، النجف الاشرف ... ، ص ٢٩٣.

(٣) عبد الغني الملاح، المصدر السابق، ص ٦٥؛ خيرى العمري، حكايات سياسية...، ص ١٦٠؛ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات .. ، ج ٢، ص ٨٩.

(4) Report by his Britannic Majesty's Government to the council of the League of Nations on the Administration of IRAQ" for the Year 1927, Archive Editions, London, 1992, P.361.

العراقيين . وقد اثار التقرير الملك فيصل الاول اذ احتج عليه عند المندوب السامي هنري دويس وكان رد الاخير ان الصحف الاوربية قد تناقلت الخبر لذا لا يمكن تجاهله .

ويبدو ان الدور الذي اداه الوزير عبد المهدي المنتفكي قد نمى لديهم الرغبة في ضرورة مشاركتهم الفعالة في مجلس الوزراء سيما وان العرف السياسي الذي اسسه برسي كوكس يحصر تمثيل الشيعة في وزير واحد او اثنان لم يزل مستمراً في الوزارات المتعاقبة.

وبتزايد مطالب المواطنين في الاصلاح السياسي عقدت في النجف عدة اجتماعات بين (١٢-١٤ ايلول ١٩٢٧) ضمت الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ محمد جواد الجزائري والسيد محمد آل بحر العلوم والشيخ هادي آل كاشف الغطاء ، والسيد محمد الصدر - ومعظم مراجع تقليد - والشيخ علي الشرقي وحמיד خان وأمين الجرججي (رئيس حزب النهضة)، وقد طرح احد المجتمعين فكرة اقامة حكومة شيعية في حال عدم استجابة الحكومة لمطلب إنصاف الشيعة في المناصب الوزارية والادارية، لكن غالبية المجتمعين رفضوا الفكرة بشكل قاطع واكدوا على الوحدة الوطنية وضرورة المطالبة بالاصلاح السياسي ^(١). وابرز ما تمخضت عنه

(١) لم تسجل دعوى انفصالية في وسط وجنوب العراق، الا في البصرة وتأثير من وجهائها من الاثرياحينما وضعوا في مضبطة البصرة موافقتهم على ملك انتخاب الملك فيصل الأول عام ١٩٢١ شرط منح البصرة حكماً ذاتياً، وقد تجددت هذه الدعوى في اواخر العشرينيات لكن مصادر وزارة الداخلية اكدت انها على نطاق ضيق ولا تمثل رأي اهالي البصرة وعدت مسألة المطالبة بانفصال البصرة غير وارد ولا تستحق الذكر . عن قضية مطالبة البصرة بالانفصال ينظر: د.ك.و ، وزارة الداخلية ، الموضوع - حركة الانفصال في البصرة، ١٨ تشرين الأول ١٩٢٨ و (٥٠) ، ص ٧٥ ؛ د.ك.و، وزارة الداخلية، الموضوع حركة انفصال البصرة، ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٨ ، و (٥١) ص (٧٦) ؛ ريدار فسر، شيعة العراق: جذور الحركة الفيدرالية، ط١، ترجمة فضال جعكر ، معهد الدراسات الاستراتيجية ، بغداد، ٢٠٠٧ ، ص ١١.

الاجتماعات الاتي^(١):

- ١- اصدار فتوى تبيح للشيعة الدخول في الوظائف الحكومية . بعدما اصدر الشيخ الخالصي فتوى في عام ١٩٢١ بعد تشكيل الحكومة المؤقتة وعدها تمثل سلطات الاحتلال على غرار فتوى الميرزا الشيرازي تحرم عمل المسلم بأمرة ولي امر غير مسلم. ومع ان شخصيات دينية وسياسية مثل هبة الدين الشهرستاني وجعفر ابو التمن لم تلتزم بها - كما سبق - الا ان عامة الشيعة استجابت لها في حينها، ويصف علي الوردي تأثيرها بقوله "لقيت هذه الفتوى رواجاً شديداً في اوساط الشيعة وساعد الانتعاش الاقتصادي الذي كان سائداً يومذاك على تدعيم الفتوى، فكان الرجل الشيعي يفضل كسب المال الحلال من السوق على ما تدره عليه الوظيفة من مال حرام " ^(٢).
- ٢- تخصيص نصف المناصب الوزارية في كل حكومة للشيعة، والمساواة في تعيين الموظفين الرسميين .
- ٣- اجراء انتخابات برلمانية جديدة بعيداً عن تدخل الحكومة السيطرة على جميع واردات الوقف في المناطق الشيعية وصرفها على المناطق الشيعية.
- ٤- اعادة النظر بشكل اساسي في النظام الضرائبي المفروض على الاراضي التي تعود ملكيتها إلى الملاكين الغائبين.

(١) اسحاق نقاش، شيعة العراق، ط١، المكتبة الحيدرية ، قم ، ١٩٩٨، ص ١٦٤-١٦٥ ؛ ليوراد لوكيتز، العراق والبحث عن الهوية الوطنية، ط١، ترجمة دلشاد ميران، منشورات ئاراس، اربيل، ٢٠٠٤، ص ٩٣-٩٤؛ فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية - البريطانية، ص ٢١١.

(٢) علي الوردي، لمحات اجتماعية ... ، ج ٦ ، ص ٤٢.

تؤثر هذه المقررات الى رعية المؤسسة الدينية في ضرورة المشاركة الفاعلة في الحياة السياسية بعدها عنصر دعم للدولة والمجتمع . من جانبها سعت النخبة السياسية الحاكمة الى استقطاب الشيعة على وفق رؤيتها وهي على النحو الاتي:

١- جهود الملك فيصل الأول:

منذ الايام الاولى لتوليه العرش سعى فيصل لكسب ودهم ، فاختر يوم الغدير لتتويجه واتصل بالمؤسسة الدينية لاشراكها في تشكيل الحكومة - كما سبق - وكان حريصاً في سنوات حكمه الاولى على حضور احتفال يوم الغدير في الكاظمية ، الامر الذي دفع بعض المتعصبين للكتابة إلى المندوب السامي البريطاني برسي كوكس يتهمون فيصل بالتشيع^(١) ، فضلاً عن زيارته المتكررة لمدن العتبات المقدسة ولقاءه المرجعيات الدينية ، وقد حرص خلالها إلى ابداء الاحترام الشديد لهم والاستماع لرغباتهم^(٢) . وكانت زيارته للمدن ومناطق العشائر في الفرات الاوسط وغيرها، قد اضفت شعوراً لدى رجالاتها ، بأمكانية حصول اصلاحات سياسية تزيل ما يعتقدونه غبناً بحقهم .

وخلال تلك الزيارات عمد وجهاء المدن في الفرات الاوسط إلى تذكيره بالتضحيات التي بذلتها منطقتهم في سبيل تأسيس الدولة العراقية، وان ثورة العشرين هي من دفعت بريطانيا لاستقدامه وتوليته عرش العراق^(٣) . وكان فيصل يدرك جيداً

(١) جميل ابو طيخ ، مذكرات بغداد: مراجعة في تاريخ الصراع الطائفي والعنصري ١٩٢٦م-٢٠٠٧م، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ٢٠٠٨ ، ص١٣٧.

(٢) علي محمد علي دخيل ، نجفيات، ط٥، موسوعة العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٠ ، ص ٢١٥.

(٣) مذكرات محسن ابو طيخ ، ص ٢٨٥-٢٨٧.

ان بناء دولة مستقرة يستلزم مشاركة الشيعة في مؤسساتها، لذا اقترح في عام ١٩٢٨ تأسيس مدرسة تخرج الموظفين من الوية العراق كافة، كما دعا إلى تسهيل ادخال عدد من خريجي المدرسة الجعفرية ^(١) إلى كلية الحقوق، بغية تعيينهم في دوائر الدولة، وكذلك ايجاد توزيع التعيينات بحسب النسبة السكانية للالوية. وبعث الديوان الملكي بمذكرة إلى الوزراء اصحاب الشأن، ولم تلق صداً طيباً، إذ بعث وزير المعارف توفيق السويدي ^(٢)، مذكرة مطولة يرد فيها على مذكرة رئاسة الديوان الملكي ، فند فيها فكرة الملك، وملخصها ان مساواة طلبة الالوية المتخرجين من مدرسة الموظفين في التعيين، ستعمل على ادخال فئات لاتملك المؤهلات في دوائر الدولة وتحرم من هم يملكونها من ابناء بغداد فرصة التعيين ، بعد حصة بغداد ستكون صغيرة ^(٣).

وبالرغم من تحفظه على التوسع في ادخال طلاب المدارس غير الرسمية من خريجي المدرسة الجعفرية في مدرسة الحقوق ،الا ان السويدي اضطر بضغط من الملك فيصل الذي تلقى شكاوى من طلبة هذه المدرسة إلى الموافقة ، ونجد ذلك

(١) تأسست عام ١٩٠٨ بأسم مكتب الترقى الجعفري العثماني ثم غيرت إلى اسم المدرسة الجعفرية، عبد الرزاق الدراجي، المصدر السابق، ص ٣٠.

(٢) توفيق يوسف السويدي: سياسي ورجل دولة عراقي ، ولد في بغداد عام ١٨٩٢، درس القانون في مدرسة الحقوق في اسطنبول وجامعة السوربون في باريس، مثل العراق مع جعفر العسكري في مؤتمر لوزان ١٩٢٣ ، تولى وزارة المعارف في وزارة عبد المحسن السعدون الثالثة (١٩٢٨-١٩٢٩) برئاسة الوزراء عام ١٩٢٩ ، شغل عدة مناصب وزارية منها الخارجية عام ١٩٣٤، والعدلية ١٩٣٥ ، تولى رئاسة الوزراء للمرة الثانية عام ١٩٤٦ ، والثالثة عام ١٩٥٠ توفي في بغداد عام ١٩٦٨ . عنه ينظر: باقر امين الورد المحامي، اعلام العراق الحديث قاموس تراجم ١٨٦٩-١٩٦٩، ج ١، مطبعة اوفسيت الميناء، بغداد، ١٩٧٨، ص ١٨٦-١٨٧.

(٣) للمزيد ينظر: عبد الكريم الارزي، مشكلة الحكم في العراق ، ص ١٠-٢٠.

بوضوح في قول السويدي " ان البلاط استدعى ساطع الحصري مدير المعارف العام وطلب اليه ان يصادق على تعادل شهادات هؤلاء الجعفرية مع الدراسة الثانوية، فصادق عليها مرغماً، والي (كذا) إلى الوثائق فقبلتها كشهادات معادلة للثانوية وأمرني إلى الله " (١) ويذكر حسن العلوي ان ساطع الحصري قد ادعى ان الشيخ شكر مدير المدرسة الجعفرية كان يزور الشهادات، بالرغم من كون هذا الشيخ عالماً فاضلاً ومحل اعتماد المرجعيات الدينية الشيعية في العراق (٢). ولا يستبعد ان يكون الحصري كان غير ميال للمدارس الدينية نظراً لتوجهاته العلمانية لذا طرح هذا التبرير .

ويبدو ان فيصل كان يدرك صعوبة اقناع النخبة السياسية بصحة مساعيه، ونجد في مذكرته السرية التي كتبها اواخر عام ١٩٣٠ إلى عدد من السياسيين العراقيين ، ما يعكس ذلك، إذ يقول " كنا منذ زمن طويل احس بوجود افكار وآراء حول كيفية ادارة شؤون الدولة عند بعض وزرائي ورجال ثقتي، غير افكاري وآرائي، وكثير ما فكرت في الاسباب الباعثة لذلك. وفي الاخير ظهر لي بأن ذلك - كان ولم يزل - ناشئاً عن عدم وقوفهم تماماً مع افكاري، وتصوراتي ونظرتي في شؤون البلاد، وكيفية تشكيلها ، وتكوينها ... " (٣) وتكمن أهمية هذا الرأي لكون المذكرة قد عالجت بعض الاشكاليات التي تعيق اندماج الشيعة في الجهاز الاداري لدولة. ومن ابرز ما جاء في هذا الصدد (٤) :

(١) نقلاً عن : حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤-١٩٩٠، ط ١،

دار نشر روح الامين، طهران، ١٤٢٦هـ، ص ٣٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤٧.

(٣) نقلاً عن : عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية، ج ٣، ص ٣١٥.

(٤) عن نص المذكرة ينظر: عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج ٣، ص ٣١٥-

- ١- ان البلاد العراقية هي من جملة البلدان التي ينقصها اهم عنصر من عناصر الحياة الاجتماعية، ذلك هو الوحدة الفكرية والمالية والدينية.
 - ٢- العراق مملكة تحكمها حكومة عربية سنية، مؤسسة على انقاض الحكم العثماني، وهذه الحكومة تحكم قسماً كدياً أكثرية جاهلة... واكثرية شيعية جاهلة منتسبة عنصرياً إلى نفس الحكومة ، الا ان الاضطهادات التي كانت تلحقهم من جراء الحكم التركي، الذي لم يمكنهم من الاشتراك في الحكم ، وعدم التمرن عليه ، والذي فتح خندقاً عميقاً بين الشعب العربي المنقسم إلى هذين المذهبين ... ولا أرغب ان ابرر موقف الاكثرية الجاهلة من الشيعة، وانقل ما سمعته الوف المرات، وسمعه غيري من الذين يلقون في اذهان اولئك المساكين البسطاء من الاقوال التي تهيجهم، وتثير ضغائنهم، ان الضرائب على الشيعي ، والموت على الشيعي، والمناصب للسني، ما الذي هو للشيعي ؟ حتى ايامه الدينية لا اعتبار لها ويضربون الامثلة على ذلك ، مما لا لزوم لذكرها ... وفي هذا الصدد وقلبي ملآن أسى انه في اعتقادي لا يوجد في العراق شعب عراقي بعد، بل توجد كتلات بشرية خيالية ، خالية من أي فكرة وطنية. والواقع ان فيصل قد اغفل ان الوحدة بين ابناء الشعب السنة والشيعة هي من اجبرت البريطانيين على تأسيس الدولة ولو لم يكن هنالك شعب واحد لطالب كل مكون بدولة خاصة به لكن خيار الدولة العراقية كان خيار الجميع .
- ومن ابرز الاقتراحات التي ذكرها الملك فيصل لتطمين الشيعة هي:
- ١- السعي لتوحيد ايام الصيام والافطار.
 - ٢- تعمير العتبات المقدسة.
 - ٣- تقسيم اموال الاوقاف بين رجال الدين الشيعة والسنة.
 - ٤- احترام الشعائر العامة.
 - ٥- حل مشكلة الاراضي في الفرات الاوسط وغيرها.

- ٦- ادخال ابناء الشيعة في المدارس الحكومية ، واشراكهم في الوظائف الحكومية.
- ٧- اعطاء صلاحيات للالوية ، شبيهة بمجالس الولايات في العهد العثماني، ليكون ذلك جزء من اشراك سكان الالوية في الحكم.
- لكن هذه الاقتراحات لم تجد صدىً ايجابياً عند النخبة السياسية، وفي اجابة ناجي شوكت ^(١) على المذكرة - ما يؤكد ذلك - إذ كان رأيه بشأن التعامل مع المطالب الشيعة، ضرورة العمل على انهاء نفوذ المؤسسة الدينية في النجف على الشيعة، والتأكيد على المقدرة والقدم في التعيين، فضلاً عن مراعاة العدالة في وضع الضرائب ^(٢).

٢- التجنيد الاجباري:

كانت فكرة التجنيد الاجباري منذ بداية تأسيس الدولة العراقية تأخذ حيزاً مهماً في مناقشات ومداولات الوزارات العراقية المتعاقبة، وقد طرحت بشكل اوسع بعد قيام " الاخوان " بغزو المناطق الجنوبية من العراق عام ١٩٢٢ ^(٣)، الا ان وجود جيش

(١) ناجي شوكت سياسي عراقي ولد في بغداد عام ١٨٩٤ درس القانون في اسطنبول وخدم ضابط احتياطي في الجيش العثماني ثم التحق بالجيش العربي وبعد تأسيس الدولة العراقية عين معاوناً لمتصرف بغداد ثم متصرفاً للموصل فوزيراً للداخلية عام ١٩٢٨ ووزيراً للعدل ١٩٢٩ ثم رئيساً للوزراء ١٩٣٢ فضلاً عن مناصب الوزارية اخرى توفي عام ١٩٨٠ . للمزيد ينظر : ناجي شوكت ، سيرة وذكريات ثمانين عاماً ١٨٩٤-١٩٧٤ ، مطبعة دار الكتاب ، بيروت ، ١٩٧٥ .

(٢) اوراق ناجي شوكت (رسائل ووثائق) دراسة في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ، تقديم: محمد انيس ومحمد حسين الزبيدي، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٧٧، ص ٨٠-٨١.

(٣) للمزيد ينظر: ماريا حسن مغتاط التميمي ، التجنيد في العراق ١٨٦٩-١٩٣٥ - دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية - الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥، ص ٦٠-٨٠.

كبير يقلل النفقات المدفوعة للمتطوعين قادر على حفظ الامن الداخلي والخارجي (٤) ، لم يكن وحده سبباً في تبني السياسيين العراقيين وفي مقدمتهم الملك فيصل الأول لهذه الفكرة ، إذ وجد هؤلاء فيها وسيلة لأيجاد ولاء مشترك اتجاه النظام السياسي من دون المساس بمعادلة السلطة القائمة، لهذا عدّ فيصل الجيش بمثابة العمود الفقري لتكوين الامة (٥).

وفي الحادي والعشرين من آذار ١٩٢٦ اتخذت الحكومة العراقية اولى الخطوات العملية في تشريع قانون للتجنيد الاجباري، إذ اصدرت قراراً نصت احدى فقراته " ان يشرع بتأليف لجنة في وزارة الدفاع لدرس تبديل طريقة التجنيد الحالية (التطوع) ، وتحضير لائحة قانون التجنيد الاجباري " (٦) بعدها استدعي جعفر العسكري من لندن - إذ كان يشغل منصب ممثل الملك في لندن - لغرض تشكيل الوزارة واتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ القرار. وقد حاول العسكري استغلال مفاوضات تعديل الاتفاقية العسكرية الملحقه ب(اتفاقية عام ١٩٢٢) التي نصت عليها احدى بنود المعاهدة العراقية - البريطانية ١٩٢٦ (٧)، لأجل تقديم لائحة " قانون الدفاع

(٤) يذكر ان المادة (٤) من الاتفاقية العسكرية المنعقدة في (٢٥/آذار/ ١٩٢٤) والملحقة بمعاهدة ١٩٢٢، نصت على تعهد الحكومة العراقية بتخصيص ما لا يقل عن (٢٥) بالمئة من ايرادات العراق السنوية ، لاجل القيام باعباء الجيش، مما كان يستنفذ اموال طائلة . عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٢، ص ٩٩.

(٥) عبد المجيد كامل التكريتي، الملك فيصل الأول ودوره في تأسيس الدولة العراقية الحديثة (١٩٢١-١٩٣٣)، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩١، ص ٢٨٤.

(٦) نقلاً عن : ماريّا مغناظ حسن التميمي، المصدر السابق، ص ٦٨.

(٧) معاهدة ١٩٢٦: بعد صدور قرار عصبة الامم في (١٦/ كانون الاول / ١٩٢٥) بشأن قضية الموصل بين تركيا وبريطانيا والذي جاء به : أن تكون كل المنطقة المتنازع عليها ضمن المملكة العراقية واشترطت ان يبقى العراق تحت الانتداب البريطاني لمدة (٢٥) عاماً، وان يكون ذلك بمعاهدة بين العراق وبريطانيا تقدم الى عصبة الامم تضمن الانتداب في هذه المدة ، عقدت بريطانيا مع العراق في =

الوطني" التي تتضمن فرض التجنيد الاجباري الى مجلس النواب وبعد مناقشتها بصورة نهائية في مجلس الوزراء قدم وزير المعارف عبد المهدي المنتفكي في السابع من حزيران عام ١٩٢٧ استقالته من منصبه معللاً سببها برفضه تقديم اللائحة الى مجلس النواب قبل ان تنتهي الحكومة من تعديل الاتفاقيتين العسكرية والمالية بما ينسجم والمصلحة الوطنية^(٨).

لم يخرج موقفه هذا عن نطاق رفض العشائر في الفرات الاوسط للتجنيد الاجباري، ولم يكن هذا الموقف مفاجئاً للحكومة ، ففي كانون الثاني من العام ذاته زار الملك فيصل النجف وطلب من المرجعين ابو الحسن الاصفهاني والشيخ محمد حسين النائني تعزيز لائحة القانون التي ترمع الحكومة مناقشتها وقتئذ مبين لهما مالتجنيد من فوائد في تقوية الجيش لكي يتمكن من الوقوف بوجه غزوات "الاخوان" ، لكنه لم يلق الجواب الذي يرضيه^(٩).

وبالرغم من وجود سبب تاريخي لرفض العشائر للتجنيد الاجباري ويتمثل بالميراث الاليم والمأسي التي صاحبت فرضه ايام العثمانيين من قبيل اضطر البعض منهم إلى التجنس بالجنسية الفارسية، وتسجيل الابناء في سجل الاناث، لتفادي شمولهم بقانون الخدمة العسكرية العثماني، نظراً لطول مدة التجنيد وزجهم في

= (١٣/ كانون الثاني / ١٩٢٦) معاهدة لم يختلف مضمونها عن معاهدة ١٩٢٢ ، سوى تمديد مدتها الى (٢٥) عاماً واجراء تعديلات على الاتفاقيات العسكرية والمالية الملحق بها ويلاحظ ان الموقف الشعبي لم يكن واضحاً بسبب السرعة التي وقعت بها المعاهدة اذ لم تتجاوز مدة المباحثات بشأنها اكثر من (٢٥) يوماً . للمزيد ينظر: احمد رفيق البرقاوي، العلاقات السياسية العراقية - البريطانية ١٩٢٢-١٩٣٢ ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٩٥-١٠٨ ؛ فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية - البريطانية ... ، ص ١٥٠-١٦٠ .

(٨) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ... ، ج٢، ص ٩٨-٩٩.

(٩) امجد اسعد شلال ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

حروب الدولة العثمانية^(١٠)، الا انه لم يخلُ من اسباب اخرى، فشيوخ العشائر رأوا فيه وسيلة لاضعاف سيطرتهم على ابناء عشائرتهم^(١١). كذلك حاجة العشائر لالبناءها في العمل في ارضيهم الزراعية اضعف الى ذلك وجود تمايز بين الريف والمدينة يجعل من الصعب تقبل سيطرة ضباط المدينة على العشائر.

وجدت المؤسسة الدينية في النجف في التجنيد الاجباري وسيلة ضغط على الحكومة لاجراء اصلاحات سياسية تبيح المشاركة الحقيقية لالبناء الشيعة في ادارة بلدهم. ونجد صدى ذلك في طرحها اواخر عام ١٩٢٧ فكرة موافقة العشائر على القانون نظير ان ينال الشيعة زيادة في التعيينات الحكومية^(١٢).

والجدير بالذكر ان بريطانيا استغلت الموقف المعارض من اصدار القانون، ورفضت تأييد جهود الحكومة العراقية لاقارره، بذريعة ان اقراره سيؤدي إلى حدوث اضطرابات في العراق، ولكن الواقع انها لم تكن ترغب بتقوية الجيش العراقي لانه بالضد من مصالحها في العراق^(١٣)، من جانبها تقادت الحكومة حدوث ازمة سياسية في عام ١٩٢٧ بسحبها مشروع القانون من مجلس النواب، وكذلك اخفق الملك فيصل في عام ١٩٣٢ في كسب تأييد المؤسسة الدينية في النجف و شيوخ العشائر لاصدار القانون، ولم تتمكن الحكومة من اصداره الا في عام ١٩٣٥ (كما سيأتي).

لم تكن مساندة المؤسسة الدينية لموقف الشيعة نابعة من رغبة في تفويض الدولة العراقية، اذ انها كانت تدرك موقفهم المبدئي من الولاء للدولة وقد بذلوا الكثير من اجل إقامتها، وما طالبوا به يدخل في سياق حقوقهم في المواطنة، وبيان مدى

(١٠) للمزيد ينظر : ماريا حسن مغتاز التميمي ، المصدر السابق ، ص ١٢٦-١٤٦ .

(١١) ليورا لوكيتز ، المصدر السابق ، ص ٣٤-٣٥ .

(١٢) اسحاق نقاش ، المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

(١٣) ماريا حسن مغتاز التميمي ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .

قدرتهم في معارضة السلطة، كمحاولة للضغط عليها لاجراء مراجعة لسياساتها أتجاههم. وفي هذا الصدد نجد من المفيد أن نذكر موقف هذه المؤسسة من احدى القضايا التي كادت أن تؤدي الى ما يهدد سلامة الدولة واستقرارها وهي فتنة الحصان .

ففي حزيران ١٩٣٣ نشر موظف في وزارة المعارف يدعى عبد الرزاق الحصان كتاب بعنوان " العروبة في الميزان " عد فيه العشائر العربية الشيعية من اصول غير عربية (١٤). - وهذا بحد ذاته جريمة بحق عشائر العراق الاصلية- وقد اثار الكتاب غضباً كبيراً في مدن الفرات الاوسط كافة (١٥) ، تطور بعدها إلى اعمال عنف ضد دوائر الحكومة ، لاسيما في النجف، اذ هاجمت مجموعة غاضبة من الاهالي مستودع للسلاح في المدينة واطلقت سراح المسجونين ، واغلقت الاسواق وسرى الاضراب إلى العديد من مدن الفرات الاوسط (١٦).

وبالرغم من محاولة الحكومة تهدئة الاوضاع باعلانها محاكمة الحصان وسجنه الا ان الاضرابات استمرت، وقد وصلت إلى تهديد حياة متصرف النجف جعفر حمندي (١٧) الذي حوضر في مقر عمله، ولجل انقاذه بعث السيد ابو الحسن

(١٤) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٢، ص ٣٤٣؛ خالد التميمي، المصدر السابق، ص ٣٢٠-٣٢١.

(١٥) فرهاد ابراهيم، الطائفية السياسية في العالم العربي نموذج الشيعة في العراق، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١١٠؛ لويد دولبران، العراق من الانتداب إلى الاستقلال ١٩١٤-١٩٣٢، ط١، ترجمة الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٢٢١.

(١٦) فرهاد ابراهيم ، المصدر السابق ، ص ١١٠ .

(١٧) جعفر حمندي: ولد في بغداد عام ١٨٩٤، شارك في ثورة العشرين، تخرج من كلية الحقوق في بغداد عام ١٩٢٥ ، عين حاكماً لقضاء الكاظمية، شغل عام ١٩٢٨ منصب مدير الامور الحقوقية في وزارة الداخلية، وفي عام ١٩٣٣ عين قائم مقام لمدينة النجف توفي عام ١٩٥٢. للمزيد ينظر : باقر امين الورد المحامي ، المصدر السابق، ج٢، ص ٢١

الاصفهانى نجله السيد الجواهري لتهدة المتظاهرين الغاضبين، لكنهم اصرروا على الاستمرار، فتدخل الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء فخطب فيهم مبيناً لهم خطا هذه الأعمال، فعم الهدوء وفتحت الاسواق وعاد الجميع إلى بيوتهم^(١٨)، لتنتهي الازمة التي كادت ان تتطور إلى ما لا يحمد عقباه، وقد بعث الملك فيصل الاول بكتاب شخصي إلى الشيخ يشكره على موقفه في انهاء الازمة^(٢)

موقفها من معاهدة ١٩٣٠ :

بعد أن اعلمت الحكومة نظيرتها العراقية عزمها على ابلاغ عصبة الأمم عن تخليها عن معاهدة ١٩٢٧^(١٩) وادخال العراق في العصبة عام ١٩٣٢ ، وضرورة عقد معاهدة رابعة بين الطرفين تنظم العلاقة بينها، شكل عبد المحسن السعدون في التاسع عشر من ايلول ١٩٢٩ وزارته الرابعة. وتعهدت الوزارة بحصول العراق على استقلاله والعمل بالمعاهدة قبل دخول العراق إلى العصبة، غير ان البريطانيين اصرروا على ان تدخل المعاهدة حيز التنفيذ بعد دخول العراق إلى العصبة، مما يعني ان المعاهدة ستبرم حسب شروط البريطانيين، وستكون بمثابة الثمن لاستقلال العراق ؛ وعلى اثر انتحار السعدون في الثالث عشر من تشرين الثاني ١٩٢٩ ، ألف ناجي

(١٨) محمد الحسين ال كاشف الغطاء، محاوراة الامام المصلح...، ص ٣٢١.

(٢) عن نص الرسالة ينظر: الملحق رقم (٢)

(٣) على اثر تعثر المفاوضات بشأن تعديل الاتفاقية العسكرية، بموجب معاهدة ١٩٢٦ وتذمر الملك فيصل وحكومة جعفر العسكري الثانية (٢١/ كانون الاول/ ١٩٢٦ - ٨/ كانون الثاني ١٩٢٨) عقدت هذه المعاهدة في (١٤/ كانون الاول/ ١٩٢٧) ومن ابرز بنودها: تعهد بريطانيا بانها ستبذل مساعيها لتأمين دخول العراق في عصبة الامم عام ١٩٣٢، بشرط ان يقبل العراق نصيحة ملك بريطانيا عن طريق المندوب السامي، واعتراف بريطانيا باستقلال العراق التام على ان لا يمس بتعهداتها تجاه عصبة الامم او الدول الاجنبية. للمزيد ينظر: فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية - البريطانية ... ، ص ١٨٨-٢١٥.

السويدي الرجل الثاني في حزب التقدم ^(١) الحاكم وزارته الاولى في الثامن عشر من الشهر نفسه، لكنها لم تكن أوفر حظاً من سابقتها في ثني البريطانيين عن موقفهم فأستقالت في الحادي عشر من اذار ١٩٣٠ ^(٢).

عهد الملك فيصل الاول إلى نوري سعيد بتأليف الوزارة فألفها في الخامس والعشرين من الشهر نفسه، وكانت أولى مهامها عقد المعاهدة الجديدة بين العراق وبريطانيا. بدأت المفاوضات بصورة سرية في الثالث من نيسان، وتقرر ان تدخل حيز التنفيذ بعد دخول العراق إلى عصبة الأمم ^(٣). ولم تستغرق المفاوضات بين الجانبين طويلاً، فنوري سعيد كان يملك خبرة في التعامل مع البريطانيين، لكونه احد اعضاء اللجان الوزارية التي تكونت لمفاوضة الجانب البريطاني في جل المعاهدات والاتفاقات التي عقدها العراق مع بريطانيا، فضلاً عن كونه مشبع بفكرة التفاهم مع البريطانيين مهما تباعدت الاهداف بينهم وبين امانى العراق المشروعة ^(٤)، فتم التوقيع على المعاهدة في الثلاثين من حزيران ١٩٣٠ ^(١).

(١) حزب برلماني أسسه عبد المحسن السعدون لمساندته في مجلس النواب، وقد اجيز من وزارة الداخلية في (٢٢/آب/١٩٢٥) وضمت هيئته الادارية عبد المحسن السعدون رئيساً، وارشد العمري معتمداً، وعضوية كل من محسن ابو طبيخ، وكاطع العوادي، وفخري جميل، ومحمد سعيد العبد الواحد، وابراهيم يوسف، عبد الرزاق الحسني، تاريخ الاحزاب السياسية العراقية ١٩١٨-١٩٥٨، ط١، مركز الابجدية ، بيروت، ١٩٨٠، ص ٨٦.

(٢) توفيق السويدي، مذكراتي: نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٨٤-١٨٦؛ ابراهيم خليل احمد وجعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، الموصل، ١٩٨٧، ص ٦٨-٦٩؛ عبد الغني الملاح، المصدر السابق، ص ٧٨-٧٩.

(٣) احمد رفيق البرقاوي، المصدر السابق، ص ١٥٣.

(٤) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية، ج٣، ص ١٨.

١٩٣٠^(١). ونتفق مع ذكره عبد الغني الملاح بأن اختيار هذا التاريخ الذي يصادف ذكرى اندلاع ثورة العشرين، قد تم للدلالة على ان تلك الثورة لم تنجح وان الاستعمار هو الاقوى على الرغم من المعارضة الشديدة^(٢).

واجهت المعاهدة معارضة شعبية ورفض جماهيري واسع مثل مختلف شرائح الشعب واتجاهاته، وهذا يدل على وحدة الشعب في المواقف التي تهدد مستقبل الوطن . فالمعاهدة لم تحقق الاستقلال التام الحقيقي اذ جل موادها تقيد العراق وتبقيه خاضع للأرادة البريطانية^(٣).

ولم تكن المؤسسة الدينية بعيدة عن تطلعات الشعب، فحينما رفع مثقفو النجف برقية اليها جاء الجواب " أن خطر المعاهدة يهدد شرف الأمة " ^(٤) كذلك ساند الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء المعارضة التي تزعمها الحزب

(١) تضمنت المعاهدة احدى عشر مادة مع ملحق عسكري للشؤون العسكرية مكون من سبع فقرات وملحق مالي مكون من خمس فقرات وأبرز ما تضمنته المعاهدة وملاحقها منحها العراق الاستقلال التام، ولكنها احتفظت لبريطانيا بقواعد جوية يقوم البريطانيون باختيار مواقعها، وان تستمر الامتيازات والإعفاءات للقوات البريطانية ، والمشاورة التامة بين العراق وبريطانيا في الشؤون الخارجية، وأعطت الافضلية لممثلي بريطانيا على بقية الدول في توظيف الموظفين البريطانيين، وحددت مدة المعاهدة بخمسة وعشرين سنة. للمزيد ينظر: عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٣، ص ١٦-٣٨؛ فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية - البريطانية ... ، ص ٢٤٣-٣٠٨؛ عبد الرحمن البزاز، المصدر السابق، ص ١٤٩-١٥٦.

(٢) عبد الغني الملاح، المصدر السابق، ص ٨٠.

(٣) للمزيد ينظر: عبد الامير هادي العكام، الحركة الوطنية في العراق ... ، ص ٣٢٠-٣٢٣؛ عبد الرحمن البزاز، المصدر السابق، ص ١٥٤-١٥٥؛ احمد رفيق البرقاوي، المصدر السابق، ص ١٦٧-١٧٥.

(٤) نقلاً عن : عبد الستار شنين الجنابي، تاريخ النجف السياسي، ص ١٥٨.

الوطني^(١)، وحزب الشعب^(٢)، وبعث الشيخ محمد الحسين بطلب من جعفر ابو التمن معتمد الحزب الوطني برسالة إلى الملك فيصل الاول طالبه فيها تلبية مطالب الشعب والعمل على تحقيق الاستقلال التام الذي لايشوبه شائبة^(٣).

استنكر الشيخ عبد الكريم الجزائري ابرام المعاهدة وعدّها تكبيلاً للشعب العراقي في حريته وكرامته وثرواته واستقلاله، وكان انكاره هذا علنياً امام وفد الحزب الوطني^(٤) الذي زاره في السابع عشر من تموز ١٩٣٠ في منزله، لكنه رفض اصدار فتوى دينية تحرم المشاركة في الانتخابات النيابية^(٥).

الجدير بالذكر ان الحزب كرر مناشدته للمؤسسة الدينية بأداء دور مشابه لدورها في انتخابات المجلس التأسيسي عندما قاطعت الانتخابات ، باصدار فتاوى دينية تحرم المشاركة في الانتخابات الجارية منذ العاشر من الشهر تموز ، كوسيلة للضغط على الحكومة لاجبارها على الغاء المعاهدة، لكنها رفضت^(٦). وعلى

(١) اعيد تأسيس الحزب الوطني بعد حله من المندوب السامي البريطاني عام ١٩٢٢، في عام ١٩٢٨ وضمن هيئته التأسيسية كل من : جعفر ابو التمن ، محمد مهدي البصير، بهجت زينل، مولود مخلص عبد الغفار البديري، محمود رامز، واحمد عزت الاعظمي وابرز ما جاء في منهاجه السعي لاستقلال العراق التام. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الاحزاب العراقية، ص ٣٧-٣٩.

(٢) اسس في عام ١٩٢٥ برئاسة ياسين الهاشمي وعدد من اعضاء مجلس النواب وابرز ما جاء في منهاجه تأمين استقلال العراق التام. المصدر نفسه، ص ٩٤-٩٥.

(٣) مقابلة مع الشيخ شريف محمد الحسين آل كاشف الغطاء، اجريت في مكتبته في النجف بتاريخ (٢٠٠٩/٢/٢١).

(٤) ضم الوفد: كل من ، توفيق الفكيكي وعلي محمود . محمد مظفر الادهمي، العراق تأسيس النظام الملكي وتجربته البرلمانية تحت الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢، مكتبة الذاكرة ، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٢٩٠ ؛ محمد حسين الصغير، قادة الفكر الديني والسياسي في النجف الاشرف، ط١، مؤسسة البلاغ ، بيروت، ٢٠٠٨ ، ص ١٣٢.

(٥) محمد مظفر الادهمي، العراق تأسيس النظام...، ص ٢٩٠.

(٦) عبد الرزاق عبد الدراجي، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

الارجح ان ذلك يرجع إلى تعهد المرجعين ابو الحسن الاصفهاني والشيخ النائني بعدم التدخل في السياسية - كما سبق - فضلاً عن عدم الرغبة بالظهور بمظهر المعارض للحكومة سيما وانها ايدت رفض العشائر للتجنيد الاجباري، اصف إلى ذلك انقسام المعارضة على نفسها منذ ان اعلن ياسين الهاشمي ^(١) ورشيد عالي الكيلاني ^(٢) معارضتهما لمقاطعة الانتخابات ، بذريعة ان المقاطعة لن تكون سوى

(١) ياسين الهاشمي: سياسي ورجل دولة عراقي ، ولد في بغداد عام ١٨٨٤ ، تخرج من الكلية الحربية في اسطنبول عام ١٩٠٥ ، قاتل في صفوف العثمانيين في الحرب العالمية الاولى ثم دخل في خدمة الحكومة العربية التي شكلها فيصل في سوريا، وبعد تأسيس الدولة العراقية تقلد عدة مناصب ابرزها: وزير الاشغال العامة في عهد حكومة عبد المحسن السعدون الاولى، وتولى رئاسة الوزراء (١٩٢٤/٨/٢-١٩٢٥/٦/٢٥) ، وزيراً للمالية في اعوام ، ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٣ ، تولى رئاسة الوزارة للمرة الثانية في (١٩٣٥/٣/١٧) التي اطيح بها بانقلاب بكر صدقي في (١٩٣٦/١٠/٢٩) بعدها ترك العراق إلى دمشق وفيها توفي عام ١٩٣٨ . للمزيد ينظر: سامي عبد الحافظ القيسي ، ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢-١٩٣٦، ج٢، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٦ .

(٢) رشيد عالي الكيلاني : سياسي ورجل دولة عراقي اكمل دراسته في مدرسة الحقوق في بغداد انتخب نائباً عن بغداد في المجلس التأسيسي عام ١٩٢٥ عين وزيراً للداخلية في العام نفسه فرئيساً لمجلس النواب وفي عام ١٩٢٧ تولى وزارة العدلية . وفي عام ١٩٣٢ رئيساً للديوان الملكي وسكرتيراً خاصاً للملك فيصل الاول . في عام ١٩٣٣ ترأس الوزارة العراقية مرتين . ثم تولها للمرة الثالثة في (٣١ اذار ١٩٤١) واستمرت لغاية تشكيل حكومة الدفاع الوطني في (٣ نيسان ١٩٤١) وبعد المناداة بالشريف شرف وصياً على العرش عهد للكيلاني تشكيل وزارته الرابعة التي استمرت من ١٠ نيسان ١٩٤١ ولغاية فشل انتفاضة مايس ، توفي عام ١٩٦٥ . للمزيد ينظر: قيس جواد علي الغريبي ، رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٢-١٩٦٥ ، شركة دار الحوراء ، بغداد ، ٢٠٠٦ .

إضعاف جديد للمعارضة^(١).

اتصالاً مع ما سبق نجد ان المؤسسة الدينية قد راعت من جهة مشاعر الشعب، ومن جهة اخرى لم تكن ترغب بخلق ازمة سياسية في العراق قد تجبرها بريطانيا لصالحها ، سيما وانها تدرك ان لا خطوط حمراء قد تمنع بريطانيا من فعل اي شي يحقق مصالحها في العراق ، فضلاً عن ذلك لا نستبعد ان المؤسسة الدينية ارادت ان ترفع النقاب عن حقيقة بعض السياسيين الموالين لبريطانيا حين يعي الشعب العراقي بصورة تامة ان المعاهدة شكل من اشكال التبعية وان الاستقلال القادم لا يعدو كونه شكلي.

ثالثاً : موقفها من ظاهرة عدم الاستقرار السياسي:

١- موقفها من ضعف مجلس الامة (البرلمان) :

وجود سلطة تشريعية سليمة وفاعلة من سمات الدولة الحديثة القائمة على وفق مبدأ الفصل بين السلطات، ومراقبة احداها الأخرى، وقد عانت الحياة السياسية العراقية ابان هذه المرحلة من خلل لم يخرج عن ما ارادته بريطانيا لهذه الحياة.

(١) لم تحصل المعارضة التي شاركت في الانتخابات سوى على (١٣) مقعداً، بعدها تمكن نوري سعيد الذي شكل حزب العهد العراقي من اعضاء المجلس الموالين له من تمرير المعاهدة باغلبية (٦٩) صوتاً مقابل (١٣) وتغيب خمسة . وعلى اثر ذلك شكل ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني حزب الاخاء الذي وحد جهوده مع الحزب الوطني فوقعا وثيقة التآخي في (١٩٣٠/١١/٢٣) والتي نصت على عدم المشاركة في أي وزارة قبل تعديل المعاهدة. لكن هذا التآخي انتهى بعد تولي رشيد عالي رئاسة الوزراء في (٣٠/٣/١٩٣٣) وشغل الهاشمي منصب وزارة المالية، والتي على اثرها انتقد جعفر ابو التمن حزب الاخاء بشدة . للمزيد ينظر: خالد التميمي ، محمد جعفر ابو التمن، ص ٣٢٠-٣٢١؛ عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية، ج ٣، ص ٩٩؛ احمد رفيق البرقاوي، المصدر السابق، ص ١٦٦.

نص القانون الاساسي العراقي " الدستور " لسنة ١٩٢٥ على ان النظام السياسي في العراق ملكي وراثي نيابي. وبموجب هذا الدستور انيطت السلطة التشريعية إلى مجلس الامة (النواب - الاعيان) والملك ^(١) واعطيت لمجلس النواب صلاحيات تشريعية : حق اعضائه باقتراح لائحة قانونية عدا ما يتعلق بالامور المالية ^(٢) ، والبت باللوائح القانونية مع مجلس الاعيان شريطة ان لاتكون قانوناً ما لم يوافق عليها المجلسان ويصدقها الملك ^(٣)، وحق توجيه مجلس الامة الاسئلة والاستيضاحات للوزراء ^(٤)، وحق مجلس النواب بحجب الثقة بالوزارة باكثرية الاعضاء ^(٥). وتصدر القرارات باكثرية الاعضاء الحاضرين واذا تساوت الآراء فللرئيس انذاك صوت الترجيح . ولا تحصل اكثرية ما لم يصوت نصف الاعضاء الحاضرين ^(٦) .

وتعكس هذه الصلاحيات اهمية مجلس النواب بالنسبة إلى السلطة التنفيذية من ناحيتين اقرار القوانين وحجب الثقة. لذا سعت الحكومة والمعارضة للحصول على الاكثرية داخل المجلس ، وتمثل ذلك بتأسيس الاحزاب البرلمانية، إذ شهدت الدورة النيابية الاولى (١٦ تموز ١٩٢٥-١٩ ايار ١٩٢٨) تأسيس رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون اول حزب نيابي (حزب التقدم) اعقبه تأسيس ياسين الهاشمي (حزب الشعب) المعارض للحكومة في العشرين من تشرين الثاني ١٩٢٥ - كما سبق - وشهدت الدورة النيابية الثالثة (١ تشرين الأول ١٩٣٠ - ٨ تشرين الثاني ١٩٣٢) تأسيس نوري السعيد (حزب العهد العراقي) بغية مساندته في التصديق على

(١) رعد ناجي الجدة، القانون الاساسي المادة (٢٨).

(٢) المصدر نفسه، المادة (٤٥).

(٣) المصدر نفسه، المادة (٦٢).

(٤) المصدر نفسه، المادة (٥٤).

(٥) المصدر نفسه، المادة (٦٦).

(٦) المصدر نفسه، المادة (٥٣).

معاهدة ١٩٣٠ - كما سبق - وفي (٢٧ آب ١٩٣٤) أسس علي جودت الايوبي حزبه (١) لوحدة الوطنية) لاسناد وزارته وعلى هذا النحو ادى اخضاع الحكومات العراقية المتعاقبة مجلس النواب لارادتها الى اضعاف دوره، ليصل في مرحلة الثلاثينيات إلى ادنى ضعفه لاسيما بعد وفاة الملك فيصل الأول عام ١٩٣٣، وازدياد الصراع بين الساسة على السلطة، وقد انتهجت السلطات التنفيذية في سبيل ذلك طريقتين هما:

أ- التدخل في الانتخابات :

عمدت السلطة التنفيذية إلى استغلال الثغرات في قانون الانتخابات الذي كان قد صدر عام ١٩٢٤، بغية حصولها على الاغلبية النيابية وتمثل ذلك بأعدادها قوائم ترشيح خاصة بها، تضم مويدها تسمى بـ(قائمة الحكومة) ويسمى مرشحوها بـ(مرشحي الحكومة) وكانت الحكومة تحرص على عرضها على الملك لمباركتها واحياناً يختار بنفسه بعض المرشحين،

سعت الحكومات كذلك الى التأثير على "هيئات التفتيش"^(١) إلى منع بعض ممثلي المعارضة من الترشيح لافساح المجال لقائمتها^(٢). واستغلالها لطريقة الانتخاب وهي على درجتين : الأولى يرشح فيها الناخبون الاولون مرشحهم ومن ثم ينتخب الناخبون الثانويون نوابهم في المجلس^(٣)، وبهذه الطريقة المقتبسة اصلاً من قانون

(١) يذكر ان كل قرية او محلة يختار منها ثلاث وجهاء، ويجتمع هؤلاء بالمختار او بمن يقوم مقامه، ويشرعون بتحضير قوائم الناخبين الاولين، بعدها ترسل نسختان من قوائم الانتخاب إلى مدير الناحية ثم إلى مراكز الاقضية والالوية، فتجمع وتحرر في سجل واحد يختص بالشعب الانتخابية. بعدها تدقق هيأت التفتيش في السجلات الواردة لها، وبعد تدقيقها تعيد نسخة إلى الشعب الانتخابية وتحفظ النسخة الثانية في بلدية القضاء. للمزيد ينظر: رعد ناجي الجدة، المصدر السابق، ص ٣٠٩-٣١٠.

(٢) فائز عزيز اسعد، انحراف النظام البرلماني في العراق، مطبعة السندباد، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٨٣.

(٣) رعد ناجي الجدة، التطورات الدستورية، ص ٣٠٩.

الانتخاب العثماني تمكنت الحكومة من التأثير على الناخب الثانوي في اختياره للنائب (١) .

لم تكن طريقة الانتخاب هذه، معرقة في تأسيس حياة نيابية سليمة وتطوير الممارسة الديمقراطية للفرد العراقي فقط ، انما عكست رغبة البريطانيين والساسة العراقيين في دعم الولاءات المحلية بعدّها اداة اخضاع اجتماعية وسياسية ، على حساب تطوير المجتمع بأخراجه من الأطر التقليدية المقيدة بعبارة اخرى لم يكن للناخب الاولي على الاغلب خياراً سوى شيخ العشيرة او وجهاء المحلات بحكم العلائق الاجتماعية وكان هؤلاء يحرصون على ضمان المصالح الشخصية على حساب المصلحة العامة .

فضلاً عن سعة الدوائر الانتخابية . فوفقاً للمادة الثامنة من قانون ١٩٢٤ عد كل لواء (محافظة حالياً) منطقة انتخابية واحدة، وقسم العراق إلى ثلاث مناطق انتخابية : الاولى تضم الوية الموصل (نينوى حالياً) وكركوك والسليمانية واربيل. والثانية: تضم الوية بغداد وديالى والدليم (الانبار حالياً) والحلة وكربلاء والكوت (واسط حالياً) والديوانية. والثالثة : تضم الوية المنتفك (ذي قار حالياً) العمارة (ميسان حالياً) والبصرة (٢). عيوب هذا النظام ان على المرشح ان يحوز على اكثرية اصوات اللواء بكامله، وهو امر يصعب الحصول عليه، فالمرشح عادة يكون معروفاً لدى محله او المحلات المجاورة الا انه غير معروف في المحلات النائية في اللواء (٣) . فضلاً عن السماح لمرشحي الالوية في الترشح في المنطقة الانتخابية التي ينتمي لها اللواء. مما جعل المجالس النيابية لاتمثل الشعب تمثيلاً حقيقياً ، ومكن الحكومة من

(١) مجيد خدوري، نظام الحكم في العراق، ترجمة: فيصل نجم الدين الاطرقجي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٦، ص ٩٦.

(٢) رعد ناجي الجدة، التطورات الدستورية، ص ٣٠٩.

(٣) عباس عطية جبار، المصدر السابق، ص ٢٥٨ .

التدخل المباشر في انتخاباتها. وهو ما عبر عنه النائب عطا الخطيب عن الكوت في مجلس النواب عام ١٩٢٨ بقوله " انا لا اعرف شخصاً واحداً في الكوت فاذا لم يقع تدخل من قبل الحكومة في انتخابي، فلماذا نتخبوني، فمالي والكوت، ومن اين يعرفني اهل الكوت " (١) وفي السياق نفسه يقول العين مولود مخلص عن انتخابات عام ١٩٣٥ "ان المجلس الحالي انتخب كما انتخب غيره ... انما الفرق بين الوزارة الايوبية والوزارة الهاشمية هو حسن الانتقاء " (٢) وتبين هذه الاقوال مدى تزييف الانتخابات النيابية من السلطة التنفيذية.

عدت المؤسسة الدينية في النجف هذا الخلل في قانون الانتخابات احد اسباب عدم تمثيل الشعب بصورة تعكس ارادته في المجالس النيابية، لذا طالبت بتعديله، ونجد ذلك جلياً في المادة الثانية من " ميثاق الشعب " الذي حرره الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء عام ١٩٣٥ - كما سيأتي - إذ حثت على ضرورة ان تجري عملية الانتخاب على وفق الدرجة الواحدة، وعدّ كل منطقة انتخابية مستقلة ؛ ومما لاشك فيه ان ضعف تمثيل الشيعة في المجالس النيابية بصورة لا تتناسب وحجمهم السكاني دفعتهم للمطالبة بالتعديل، إذ مثل الشيعة في الدورة الاولى بـ(٢٧) نائباً من مجموع (٨٨) نائباً ، واسفرت هذه النسبة مع تغير طفيف حتى الدورة السادسة (١٩٣٥-١٩٣٧) بـ(٣٦) من مجموع (١٠٧) نائباً، بينما تباينت بين صعود

(١) نقلاً عن : احلام حسين جميل، الخلفية السياسية والاجتماعية للاوضاع التي كان يطبق في ظلها دستور ١٩٢٥ في العراق، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٦ ، ص ٤٠.

(٢) نقلاً عن : حسين جميل ، الحياة النيابية في العراق ١٩٢٥-١٩٣٦ موقف جماعة الاهالي منها، ط١، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٨٢ ، ص ٦٦.

ونزول حتى الدورة التاسعة (١٩٣٩-١٩٤٣) ^(١) ويبدو ان هذه الزيادة جاءت بعد زيادة عدد اعضاء المجلس.

ب- حل مجلس النواب :

مكن القانون الاساسي الملك من فرض ارادته على مجلس الأمة باجازته حق حل مجلس النواب وتعيين مجلس الاعيان. وقد استغلت السلطة التنفيذية هذا الحق فكانت تستحصل ارادة ملكية لحل المجلس كلما اقتضت مصلحتها ذلك من قبيل التخلص من المعارضة حينما تشتد الالتزامات السياسية وبغية الحصول على الاغلبية النيابية وكانت حجتها عدم وجود توازن بين السلطتين التنفيذية والتشريعية^(٢).

وبدا ذلك بوضوح منذ الدورة النيابية الاولى ، حينما استصدر عبد المحسن السعدون ارادة ملكية بحل مجلس النواب بعد تكليفه بتشكيل الوزارة في الرابع عشر من كانون الثاني ١٩٢٨ ، واسفرت الانتخابات الجديدة من حصول حزبه التقدم على اغلبية ساحقة ^(٣). وتوالى حل المجلس وللاسباب نفسها طيلة فترة الثلاثينيات ولم تكمل اياً من هذه الدورات النيابية عدا الدورة العاشرة (١٩٣٩-١٩٤٣) مدتها القانونية والبالغة اربعة سنوات، حتى أن الدورة النيابية السابعة لم يزد عمرها على الستة اشهر (شباط ١٩٣٧ - آب ١٩٣٧) ^(٤).

يبدو جلياً ان منح الملك صلاحية حل مجلس النواب، الذي يتناقض مع كونه مصون غير مسؤول ، اسهم في اضعاف الحياة النيابية. وقد شخص الشيخ محمد

(١) للمزيد عن تمثيل الشيعة في مجالس النواب في الدورات البرلمانية بين (١٩٢٥-

١٩٣٩) ينظر : عبد الكريم الارزي، تاريخ في ذكريات العراق ١٩٣٠-١٩٥٨)، ط١،

مركز الابجدية ، بيروت، ١٩٨٢ ، ص ١٦٠-١٩٣ ؛ عبد الكريم الارزي ، مشكلة

الحكم ...، ص ١٠٦

(٢) مجيد خدوري، نظام الحكم في العراق ، ص ٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٤ .

(٤) مجيد خدوري ، نظام الحكم في العراق ، ص ٩٢-٩٣ .

الحسين آل كاشف الغطاء هذا الخلل حينما شبه الملك في هذه الحالة بـ "ذئب مسلط على الشعب وان تدخله في السلطة التشريعية ، يؤدي إلى غياب مجلس نيابي يمثل الشعب تعرض فيه مصالحه، ويحول النواب انفسهم إلى ذئاب على الشعب تنهشه وتستأثر بخيراته " ^(١) بمعنى ان وظيفته ستقتصر على الحصول على الرواتب والمخصصات.

ان التوصيف السلبي للشيخ بشأن نشاط مجلس النواب، دفعه إلى ارسال رسالة إلى مقلده جعفر ابو التمن بعد دخوله المجلس على اثر فوزه في حزيران ١٩٢٨ بانتخابات احد المقاعد الشاغلة يتساءل فيها عن نواياه، سيما وان الجمهور في النجف كان منقسماً على نفسه فيما يخص قبوله المقعد النيابي ام لا ^(٢)؛ مما يعكس عدم ثقة الشيخ محمد الحسين بمجلس النواب وانتخاباته.

ولم يكن تدخل السلطة التنفيذية وحده عامل ضعف في الحياة النيابية، إذ أثر ضعف تأثير الاحزاب السياسية في الحياة النيابية سلباً عليها، نظراً لكون هذه الاحزاب كانت تسعى لتحقيق غاية واحدة وهي حصول العراق على استقلاله، ولم تكن تمتلك برامج اجتماعية واقتصادية شاملة تعبر عن فلسفة اجتماعية واقتصادية، وبعد تحقيق هذه الغاية انتفت الحاجة لبقاء تلك الاحزاب من جهة، ومن جهة اخرى هذه الاحزاب ضعيفة التركيب تأسست على اعتبارات شخصية، وكانت مرهونة بالمدى الذي اراده المؤسسون لها ^(٣)، ولهذا تلاشت بمجرد ان تركها من أسسها ^(٤).

(١) نقلاً عن : الشيخ باقر شريف القرشي، مقابلة مع الشيخ القرشي في مكتبته في النجف الاشرف ، بتاريخ (٢٠٠٩/٢/٢١).

(٢) خالد التميمي، المصدر السابق، ص ٢٢٦.

(٣) عباس عطية جبار، المصدر السابق ، ص ٢٦١.

(٤) يذكر ان حزب التقدم الذي اسند ثلاث وزارات لعبد المحسن السعدون ، انتهت حياته السياسية بانتحار مؤسسة، وحزب العهد العراقي باستقالة نوري سعيد، وكذا الحال مع حزب الوحدة الوطنية الذي الفه علي جودت الايوبي و تلاشى بعد استقالة

ومنذ ان قام رئيس الوزراء ياسين الهاشمي بتجميد حزبه " الاخاء الوطني " داخل البرلمان عام ١٩٣٤ لتحل محله الكتل البرلمانية، لم تقم في العراق اية احزاب علنية سوى جمعية الاصلاح (١) الشعبي التي لم تعمر اكثر من شهر واحد . وبانعدام الحياة الحزبية تأثرت الحياة النيابية تأثراً بالغاً، لاسيما ان بديلتها الكتل النيابية لم تكن تتصف باتجاه سياسي او اجتماعي معين، وهو ما يعكسه تأييدها للوزارات رغم اختلاف مناصبها، وبذلك اصبح النائب خاضعاً لمشئئة السلطة التنفيذية ، الامر الذي شكل سبباً مهماً لاختفاء المعارضة التي تحاسب الحكومة على اعمالها داخل مجلس النواب (٢).

ضعف الاحزاب نتيجة لعدم امتلاكها برامج اصلاحية وثقل شعبي، وتغليبها للمصالح الفئوية، دفع الشيخ محمد الحسين إلى رفض التحزب ، ما لم تحمل هذه الاحزاب مشروعاً للتغيير وقدرة على الاصلاح ، فضلاً عن امتلاكها للسند الشعبي. وقد عبر عن امله في قيام احزاب تصل بمستواها إلى حد يمكنها من خدمة الشعب

وزارة الايوبي في (٢٣ شباط ١٩٣٥) . للمزيد ينظر: احلام حسين جميل، الخلفية السياسية والاجتماعية ...، ص ٥١.

(١) جمعية الاصلاح الشعبي: تأسست في ٢٩/ نيسان/ ١٩٣٦ وضمت عضويتها كل من كامل الجادرجي، ويوسف إبراهيم، وعبد القادر إسماعيل ، وصادق كمونه، ومكي جميل، ومحمد صالح القزاز، وعبد الله سالم، وبرز ما جاء في منهاجها : التقارب بين الدول العربية، تقوية الجيش ، نشر الثقافة، احتكار الدولة لوسائل النقل. ضمان الحريات العامة، اغلقت بعد شهر من تأسيسها بذريعة تبنيها للشيعوية . للمزيد ينظر: عبد الرزاق الحسني، تاريخ الاحزاب السياسية، ص ١١٨-١٢٣.

(٢) عباس عطية جبار، المصدر السابق ص ٢٦٣ ؛ مجيد خدوري، نظام الحكم في العراق، ص ١١١-١١٣.

(١) كان الشيخ يدرك ضرورة وجود احزاب قادرة على تنفيذ برامجها سواء في الحكومة او البرلمان بما يخدم مصلحة الشعب وتطلعاته.

اخيراً أن تغيب الدور المفترض لمجلس النواب بعده جهة تشريعية ورقابية على السلطة التنفيذية، يعد من ابرز عوامل عدم الاستقرار السياسي الذي شهده العراق وقتئذ - كما سيأتي - إذ اوجد ارضية خصبة لنمو اتجاهات تتجاوز الاطر الدستورية للوصول إلى السلطة من جهة، ومن جهة أخرى عكس اخفاق النخبة السياسية في عملية بناء الدولة من ناحيتين الاولى : تتعلق بتقوية مؤسساتها لاسيما البرلمان بعده ركناً اساسياً فيها، والثانية: ان عملية بناء الدولة يجب ان ترافقها عملية اخرى على المستوى الاجتماعي والثقافي ومجلس النواب المنتخب من الشعب بصورة تعكس ارادته ستسهم في تفعيل اندماج افراده على اختلاف خلفياتهم القومية والمذهبية في الدولة، إذ ستخلق شعوراً جماعياً اتجاهها . بكلمة اخرى بناء وتقوية السلطة التشريعية بصورة تضمن المشاركة الفعلية جزء من عملية بناء الهوية الوطنية ، العنصر الاساسي في الدولة الوطنية. ويبدو ان المؤسسة الدينية التي طالبت منذ وقت مبكر بفصل حقيقي للسلطات وانتخابات غير خاضعة لارادة البريطانيين والنخبة السياسية كانت تعي ذلك . لكننا ايضاً يجب ان لا نقلل من حجم التفاوت الاجتماعي والثقافي بين افراد المجتمع وتأثير ذلك على تمادي النخبة السياسية في تجاهل هذه الحقيقة.

٢- موقفها من الحركات العشائرية:

كان من الطبيعي ان تشكل العشائر قوة سياسية مهمة في العراق بوصف المجتمع العراقي ذا اغلبية عشائرية من جهة، ومن جهة مثل دورها القيادي في ثورة

(١) للمزيد ينظر: حيدر نزار عطية، المصدر السابق، ص ٢٠٣-٢٠٥.

العشرين حافظاً لشيوخها على أداء دور سياسي يتناسب وثقلهم الاجتماعي والعسكري لامتلاك عشائريهم الاسلحة بكميات كبيرة تفوق ما لدى الجيش نفسه^(١).

ادركت النخبة السياسية اهمية العشائر لذا لجأت إلى استغلال مناصبها في اقامة وتوثيق التحالف مع شيوخ العشائر وذلك بمنحهم مكاسب اقتصادية وسياسية، الوزارة كانت مثلاً تساند مؤيديها من العشائر ضد عشائر اخرى في النزاعات القائمة بشأن ملكية الارض^(٢).

ونتيجة لضعف المؤسسات السياسية لاسيما مجلس الامة ، شكلت وفاة الملك فيصل الأول في الثامن من ايلول ١٩٣٣ بداية لصراع السياسيين حول السلطة . فالملك غازي الذي خلف والده على عرش العراق ، لم يمتلك خبرة وقدرة والده في التعامل مع الوضع السياسي وخلق توازنات بين السياسيين، فضلاً عن وقوع غازي تحت تأثير الساسة المحيطين به^(٣).

يؤثر استصدار علي جودت الايوبي أرادة ملكية بحل مجلس النواب في الرابع من ايلول ١٩٣٤ بعد اسبوع من تكليفة تشكيل الوزارة، البداية الحقيقة لذلك الصراع، إذ كان الغرض منها أبعاد معارضيه من حزب الأخاء الوطني وانصاره من شيوخ العشائر عن المجلس. وتم له ذلك في السادس من كانون الأول ١٩٣٤ حينما اجريت الانتخابات النيابية وفاز بها حزبه (الوحدة الوطنية) باغلبية ساحقة، افرزت ضعف تمثيل شيوخ العشائر في المجلس النيابي لاسيما الموالين لحزب الاخاء^(٤).

على اثر ذلك عدّت المعارضة الانتخابات غير دستورية بعدها اجريت باساليب تخدم مصلحة الأيوبي وأكد التقرير البريطاني السنوي لعام ١٩٣٥ حقيقة

(١) نزار توفيق سلطان الحسو ، المصدر السابق، ص ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٣) عبد الرحمن البزاز، المصدر السابق، ص ١٧٧.

(٤) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراقي السياسي، ج ٢٤، ص ٦٠.

ذلك وتداعياته ومما جاء فيه " .. كان هؤلاء يعتقدون ان موقفهم قوي، وهم لم يدركوا مدى المرارة الشخصية التي اثاروها باستبعادهم من المجلس الكثير من زعماء الاحزاب والفئات الاخرى، ولا فهموا الاستياء الواسع الذي جلبوه لانفسهم.."(١) .

استحالة احداث تغيير دستوري بحل المجلس نفسه او قيام الملك غازي بحله لتأييده الايوبي، دفع الساسة المعارضين إلى اللجوء الاساليب اخرى ، تمثلت باستخدام ورقة العشائر كأداة ضغط سياسية ناجعة. لذا اتفق القادة الاخائيون رشيد عالي الكيلاني وحكمت سليمان وحلفاءهم من وجهاء وشيوخ العشائر السيد محسن ابو طيبيخ والسيد علوان الياصري والشيخ عبد الواحد الحاج سكر، في اجتماعاتهم في دار حكمت سليمان في منطقة الصليخ، والتي عرفت بمؤتمرات صليخ على ضرورة اسقاط وزارة الايوبي. بمعارضة الحكومة وتقديم الاحتجاجات إلى الملك غازي بشأن مساوئ الوزارة ثم التوسل بوسائل العنف في حال أخفاق مساعيهم . ولأجل ذلك صاغ هؤلاء وثيقة شرف اسموها ب(العهد المقدس) واقسموا على القرآن الكريم على طاعتها وكان اهم بنوده - بحسب محسن ابو طيبيخ - " انه لايجوز لاحدنا ان يقبل أي منصب يعرض عليه من مناصب الدولة إذ لم تحصل الموافقة عليه من اصحابه، فاذا وافق اصحابه فلا يجوز له عدم الموافقة (٢)، وبعد ان أيد ياسين الهاشمي جماعة مؤتمرات صليخ، يبدو ان الجميع اتفق على تحريك العشائر ضد الحكومة، التي بدورها حشدت زعماء العشائر الموالية لها، منهم رايح العطية شيخ عشيرة

(١) نقلاً عن : العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦ ، ترجمة وتعليق نجدة فتحي

صفوت، منشورات مركز الخليج العربية - جامعة البصرة، بغداد، ١٩٨٣، ص ١١٣.

(٢) محسن ابو طيبيخ ، المبادئ والرجال بواخر الانهيار السياسي في العراق، ط٢، تحقيق

جميل السيد محسن ابو طيبيخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٣، ص

الحميدات والشيخ مرزوق العواد من عشيرة العواد، وعلوان الجامع السعدون شيخ بني حسن وداخل الشعلان شيخ بني الابراهيم^(١) .

وسعى الطرفان إلى كسب الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء لصفيهما، وبادر الموالين للمعارضة إلى ذلك حينما قدموا اليه مضبطة في التاسع عشر من كانون الثاني ١٩٣٥، عرضوا فيها مطالبهم وتذمرهم بسبب - ما وصفوه - الغبن والاحجاف الذي لحق ابناء الشعب من عدم تطبيق القانون الأساسي والعبث بالحقوق وشيوع المحاباة والرشاوى وتغلب القوي على الضعيف. واكدوا حرصهم على المبادئ التي من شأنها تعزيز الحكم الوطني على أسس صحيحة تضمن للشعب حقه في الرفاء والتقدم والرقى^(٢)

استدعى الشيخ محمد الحسين المعارضين وغيرهم في داره في محلة العمارة في النجف ، وقد بلغ عددهم (٢٢٤) شخصاً ثم طلب منهم توحيد كلمتهم ومساندة الشعب في المطالبة بحقوقه وصيانة الدستور عن طريق تقديم المضابط الخاصة بذلك إلى الملك غازي مباشرة. وفي بغداد التقوا الملك وقدموا له تسع مضابط اكدوا فيها ان المصلحة العامة دعتهم لكتابتها وطالبوه بالاتي^(٣):

- ١- حل مجلس النواب وانتخاب مجلس جديد وفق الدستور.
 - ٢- تقديم الوزارة استقالتها وابدالها باخرى تتال رضا الشعب.
- مقابل هذا التحرك عمد الشيوخ الموالين للحكومة على استعراض قوتهم في مدن الفرات الاوسط، ورفع برقيات موالية للحكومة ، ازاء ذلك دعا الشيخ الطرفين

(١) نزار توفيق سلطان، المصدر السابق، ص ١٧٨.

(٢) عز الدين عبدالرسول عبدالحسين المدني،الاتجاهات الاصلاحية في النجف ١٩٣٢_١٩٤٥، اطروحة دكتوراه غير منشورة،كلية الاداب_جامعة الكوفة، ٢٠٠٤ ، ص ٥٤.

(٣) عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي، ج٤، ص ١٣٣، د . ك . و . رسائل الشيوخ إلى الملك غازي، رقم الملف (١١١٦، ٣١١) و ٤ ، ص ٥.

لعقد اجتماع في داره وعندما حضر الجانبان اطلع الشيخ محمد الحسين على اراء الموالين للحكومة الذين اعلنوا موافقتهم على تقديم استقالتهم من مجلس النواب شريطة ان يقدم الموالين للمعارضة استقالتهم ايضاً من مجلس الاعيان الا ان الاخيرين رفضوا ذلك الطلب، مما ادى إلى اخفاق الاجتماع (١).

كادت تطورات الاوضاع ان تؤدي إلى نشوب قتال بين الطرفين لولا الفتوى التي اصدرها الشيخ محمد الحسين بتحريم القتال بين العشائر ومما جاء فيها " من البداة بمكان ان محاربة العشائر بعضهم لبعض ، واستعمال القتال والمضاربة فيما بينها هو من أفصح المآثم، واعظم الجرائم، واكبر المحرمات، ومحاربة المؤمنين فيما بينهم محاربة الله ورسوله ... " (٢) ودعاهم إلى توحيد صفوفهم والاتفاق من اجل تحقيق الاصلاح الذي يحقق غاية الجميع، إذ يقول " الاصلاح هو اقصى ما نروم وغاية ما نحاول ... (٣) .

وبشداد ضغط مجلس الاعيان الذي يسيطر عليه الاخائيون حينما لم يناقش شروع ميزانية ١٩٣٥ ، إلى جانب المعارضة الشعبية المتمثلة بالمظاهرات التي ترعّمها المحامون وغيرهم من المثقفين، والوضع العشائري المتأزم فضلاً عن الخلافات داخل وزارته نفسها ،اضطر علي جودت الايوبي إلى تقديم استقالته في الثالث والعشرين من شباط ١٩٣٥ (٤).

اختلفت الاراء فيمن يشكل الوزارة الجديدة لتخلف وزارة الايوبي، فدعا الملك غازي، ياسين الهاشمي إلى تأليف الوزارة بشرط عدم اشراك رشيد عالي الكيلاني وحكمت سليمان نظراً لدورهما في اثارة الاضطرابات بين العشائر فرفض لتقيده

(١) عز الدين المدني، المصدر السابق، ص ٥٤-٥٥.

(٢) نقلاً عن : عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٤، ص ٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ٥٥.

(٤) عبد الغني الملاح، المصدر السابق، ص ١٢٥.

بمقررات مؤتمرات صليخ ،حينها كلف الملك جميل المدفعي بتشكيل الوزارة الجديدة التي شكلت في الرابع من آذار ١٩٣٥ (١).

كان من المنتظر ان تخلد العشائر الموالية لجماعة صليخ إلى الهدوء بعد تشكيل الوزارة الجديدة، الا انها استمرت في حركتها واخذت تطالب بسقوط الوزارة بذريعة انها لا تختلف عن التي سبقتها لا من حيث العناصر ولا من حيث الاهداف (٢).

ويثار تساؤل ، الم يعلم رؤساء العشائر ان السياسيين في السلطة والمعارضين لها، يعملون على استغلالهم بغية الوصول او الحفاظ على الحكم؟ تدفعنا الاجابة إلى الخوض في السبب الجوهرى لهذا الانسياق وهو الحاجة لدفع النخبة السياسية - وهم السياسيون القادرون على الوصول إلى السلطة على تبني اصلاحات على المستويات كافة ، ونجد ذلك جلياً فيما ذكره محسن ابو طبيخ في مذكراته إذ يقول " وجراء شعور الاحباط الذي احست به لمشروع (٣) كرست من اجله اكثر من عشرة سنوات وابتعدت عن الوطن وتعاون معي اخلص الرجال ممن شاركت

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٥؛ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج ٤، ص ٥٨.

(٢) ضمت وزارة المدفعي الثالثة إلى جانبه سبعة وزراء هم : عبد العزيز القصاب للداخلية ورشيد خوجه الدفاع، وتوفيق السويدي للعدل ومحمد زكي للاشغال العامة . وهم وزراء لم يشتركوا في الوزارة السابقة، فضلاً عن نوري سعيد للخارجية ويوسف غنيمه للمالية وعبد المحسن الجلبي للتربية. وازاء ما جاء في منهاجها: تثبتت روح الاستقرار والطمأنينة، والاهتمام لتأمين حقوق الافراد وتقوية الشعور بالواجب، وكذلك تعزيز روح المودة بين العراق والدول الاخرى. للمزيد ينظر: عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج ٤، ص ٦٠-٦١.

(٣) يذكر ابو طبيخ انه كان يروم تأسيس حزب سياسي ينتمي اليه من شاء من العراقيين لكن طبيعة توجهاته حماية حقوق ابناء العشائر، لكن أخفق في تحقيق ذلك للمزيد ينظر: مذكرات محسن ابو طبيخ، ص ٢٩٠.

معهم في ثورة العشرين بتحقيقه، حصلت لدينا قناعة لا تقبل الشك بضرورة التعاون مع ساسة بغداد في سبيل استخلاص ما يمكن لنا كسبه، لابنائنا ومناطقنا ... " (١) . ولم تكن الرغبة في المشاركة السياسية الفاعلة في الحكم وحدها السبب وراء هذه الرغبة، بل حاجة مدن الفرات الاوسط إلى الخدمات من قبيل المؤسسات الصحية والتعليم وطرق المواصلات وقنوات الرأي (٢)، فضلاً على ان ابناء العشائر قد تضرروا كثيراً من قوانين الارض ومنها المعروف بـ(قانون حقوق وواجبات الزراعة) الذي صدر في حزيران عام ١٩٣٣ حيث جعل الفلاح يعتمد بشكل كامل على الملاك في كل نشاطاته الزراعية مثل الحصول على البذور والارواء، كذلك إجباره على البقاء على قطعة الارض التي يزرعها مانعاً اياه الانتقال إلى قطعة اخرى نتيجة تراكم الديون عليه ، مما جعله يساند بقوة شيوخه في تحالفهم مع القوى السياسية على أمل اصلاح اوضاعه (٣). وهذه التحالفات تتباين بحسب تباين رؤية هؤلاء الشيوخ ومدى تقييمهم للجهة القادرة على احدث تغيير في واقع عشائريهم ومن ثم زيادة مكانتهم لديها وبالطبع تحقيق مكاسبهم الخاصة ايضاً.

حاول الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء تهدئة العشائر المعارضة في الرميثة ودعى وكيله الشيخ أحمد اسد الله إلى بذل مساعيه لدعوة العشائر إلى حفظ الامن والتزام الهدوء، فضلاً عن حثه قائمقام السماوة وطلب منه اتخاذ الاجراءات

(١) المصدر نفسه، ص ٢٩١.

(٢) ماريوت وبيتر سلوجت ، العراق الحديث من الثورة إلى الدكتاتورية ، ط١، ترجمة: مركز الدراسات، مركز الزهراء، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٧٣-٧٤.

(٣) ليورا لوكيتز، المصدر السابق، ص ٨٤.

القانونية بحق مدير ناحية الرميثة لقيامه بأعمال من شأنها اثارة عامة الناس في الناحية (١).

في غضون ذلك حاول الموالون للمعارضة كسب تأييد الشيخ محمد الحسين لتعزيز موقفهم امام الرأي العام والضغط على حكومة جميل المدفعي، غير ان الشيخ اشترط عليهم التخلي عن التحزب وجعل عملهم خالصاً للمصلحة العامة وليس للمصالح الفئوية والحزبية، وفك ارتباطهم بجماعة صليخ . قبل عبد الواحد الحاج سكر هذا الشرط، اما محسن ابو طبيخ فقد رفض الاستقالة من حزب الاخاء الوطني معللاً ذلك بأن الحزب يعمل لقضايا وطنية ضد الاستعمار وقضايا اصلاح داخلية. فرد عليه الشيخ محمد الحسين مؤكداً ان هدفه ليس المصلحة العامة. ولم يتوصل المجتمعون إلى اتفاق (٢) .

على اثر ذلك اعلن عبد الواحد الحاج سكر تمرده ضد الحكومة، وامر اتباعه بتخريب القناطر والجسور القائمة على الانهر المتشعبة بين الفيصلية وابي صخير، وبين الفيصلية والمشخاب، والمرابطة فيها لغرض صد ومنع عبور القوات الحكومية إلى مناطقهم (٣) ، فضلاً عن قيامهم بأستيفاء الرسوم من المارة كما لو كانوا سلطة حكومية (٤)؛ وعلى الأرجح ان الحاج سكر قد تراجع عن موقفه بتأثير من ابو طبيخ.

(١) د . ك . و ، متصرفية لواء الديوانية، التحرير، العدد س / ٤٣٥ / التاريخ ١٩٣٥/٣/١٣ ، الدعيات في ناحية الرميثة، رقم الملف (٣١١/١١١٥) و (٤٦) ص ١٤٥.

(٢) د . ك . و ، البلاط الملكي، التمرد والغزوات، احداث الفرات الاوسط تسلسل الملفة (٣١١ / ١١١٦) و (٤٠) ص ١١٣-١١٤.

(٣) عبد الستار شنين ، تاريخ النجف السياسي، ص ١٨٧.

(٤) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية ، ج ٤، ص ٦٣.

من جانبها سارعت عشائر الاقراع التي يرأسها الشيخ شعلان العطية في الثالث عشر من اذار إلى صدرالدغارة (تبعد ٤٣ كيلومتر عن شمال الديوانية) فاحتلت القلعة القائمة فيها، واقامت قوة مسلحة فيها واحتجزت قوات الشرطة في مخافهم والموظفين المدنيين في مقرات عملهم كما قام الشيخ حبيب الخيزران شيخ عشائر العزة في لواء ديالى الموالي لحزب الاخاء الوطني باحتلال منطقة (منصورية الجبل) في الوقت نفسه عرضت العشائرالمالية للحكومة السابقة على جميل المدفعي مقاتلة العشائرالتائرة لكن الاخير فضل التريث قبل اللجوء للعشائر^(١).

قررت حكومة جميل المدفعي استخدام القوة لانهاء الحركة العشائرية، وحصلت على موافقة السفارة البريطانية في استخدام الطائرات الحربية البريطانية لضرب العشائر، بيد ان رئيس اركان الجيش طه الهاشمي اوصى بالتريث حتى يتم تجميع القوات البرية وانتظار انتهاء عيد الاضحى وقتئذ^(٢) . ويبدو ان كون طه الهاشمي شقيق ياسين الهاشمي قد اثار الشكوك بشأن جديته بضرب العشائر المالية لحزب شقيقه، لكنه برر موقفه بأن الحركة في الفرات واسعة النطاق ولها اتصال بعشائر عديدة وان ضربها سيثير الرأي العام والمرجعيات الدينية في النجف^(٣).

اتجهت الحكومة للتفاوض مع زعماء الحركة في بغداد، الا انهم انكروا علاقتهم بها ورفضوا استنكارها ايضاً. فطلبت الحكومة من وزير الداخلية عبد العزيز القصاب العودة إلى بغداد بعد ان كانت قد ارسلته للتفاوض مع الشيوخ المعارضين

(١) د . ك . و . ملفات مجلس الوزراء، حركات رؤساء العشائر في الفرات الاوسط، رقم

الملف (٣١١/١١١٧) و ٤٦ ، ص ١١٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ٦٦؛ د . ك . و . ملفات وزارة الداخلية، الحركات السياسية

لشيوخ الفرات الاوسط رقم الملف (٢٧/ ديوانية/ قديم ٤).

(١). إذ كانت قد حزمت امرها على استخدام القوة العسكرية لانتهاء الحركة في الفرات والاستعانة ببعض العشائر الموالية لها ضد العشائر المعارضة لها (٢).

على اثر ذلك ارسل الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في الرابع عشر من آذار ١٩٣٥ إلى الملك غازي رسالة بحثه فيها منع تحرك الجيش ضد العشائر واستخدام صلاحياته لمعالجة الازمة جاء فيها " كيان العراق المقدس في الحال الحاضر مهدد بالاختار الهائلة، يلزم توقيف الحركات عسى ان يحصل بالاصلاح الحقيقي الذي يحفظ سلامة الشعب والبلاد" (٣) .

وكان الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ محمد جواد الجواهري قد ارسلوا قبلها بيووم رسالة بالمعنى نفسه إلى رئيس الديوان الملكي مما جاء فيها " اخلاصاً للعرش الهاشمي، واداءً للوظيفة الدينية، وحقناً للدماء، خلفت نظر صاحب الجلالة للحالة الحاضرة فأنها سيئة جداً، واذا بقت الحكومة على الاصرار في سياسة الارهاب تكون اسوأ ... " (٤) .

نزولاً عند رغبة المؤسسة الدينية وادراكه لخطورة الوضع ، لاسيما بعد ان اتسعت المطالبات الشعبية باسقاط الوزارة المدفعية الثالثة، فقد اثر الملك غازي عدم الاستجابة لطلب جميل المدفعي الموافقة على استخدام القوة العسكرية لانتهاء الحركة العشائرية المعادية للحكومة، عندئذ قدمت وزارة جميل المدفعي استقالته في السابع عشر من اذار ١٩٣٥ إلى الملك الذي قبلها وكلف ياسين الهاشمي بتشكيل الوزارة.

(١) حيدر نزار عطية، المصدر السابق، ص ٢٠٦ .

(٢) د . ك . و ، ملفات البلاط الملكي، التمرد والغزوات ، احداث الفرات الاوسط تسلسل الملف (١١١٥ ، ٣١١) و (٥) ص ١٠ .

(٣) د . ك . و ، الملف الشخصي للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، تسلسل (٦٣) /k/ (٦٥) و (٣٧) .

(٤) نقلاً عن : عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوارات العراقية، ج ٤، ص ٧٧ .

وبعد تعثر تشكيلها سبب الخلاف بين ياسين الهاشمي وحكمت سليمان بشأن اناطة وزارة الداخلية المهمة بالآخر، وتفضيل الهاشمي رشيد عالي الكيلاني لشغلها، تم تأليفها في السابع عشر من اذار ١٩٣٥^(١). ويبدو ان الهاشمي لم يكن يثق بحكمت ويخشى من طموحاته السياسية.

ابدى الشيخ محمد الحسين ال كاشف الغطاء عدم ارتياحه لهذه الوزارة ورفض مباركتها والرضا عنها، كما رفض توجيه نداء إلى العشائر بوجوب الخضوع لها ومساندتها لانها بحسب رأيه . لم تلتزم بالوعود التي قطعتها على نفسها قبل وصولها إلى الحكم التي عبرت عن رؤيتها بأن تكون الوزارة الجديدة ذات طابع شعبي^(٢).

والجدير بالذكر ان محسن ابو طيبيخ كان قد اكد للشيخ محمد الحسين انه في حال سقوط الوزارة المدفعية فان الوزارة المقبلة ستكون ذات طابع شعبي يستشار فيها الشيخ وزعماء الشعب^(٣).

كان لموقف الشيخ محمد الحسين من وزارة ياسين الهاشمي، اثره في تشجيع المناوئين لوزارته والذين كانوا مؤيدين لوزارتي الايوبي والمدفعي، وبهذا كان على الهاشمي ان يتعامل مع الموقف نفسه الذي واجهه الآخرين.

ادركت الوزارة الهاشمية اهمية تحسين علاقتها مع الشيخ محمد الحسين، لكن محاولاتها بات بالافاق، ولم تلق دعوتها العشائر للركون إلى الهدوء ومعاودة مزاوله اعمالها أي استجابة^(٤).

لكن الشيخ محمد الحسين ارسل مبعوثاً منه إلى الشامية والرميثة ينصح زعماء المعارضة باللجوء إلى الهدوء ويدعوهم إلى وحدة الصف . ثم وجه كتاباً إلى

(١) سامي عبد الحافظ القيسي، المصدر السابق ، ص ٤٦١.

(٢) عز الدين المدني، المصدر السابق، ص ٦١.

(٣) محسن ابو طيبيخ، المبادئ والرجال، ص ١٠٥.

(٤) د . ك . و ، البلاط الملكي، التمرد والغزوات، احداث الفرات الاوسط تسلسل الملفة

(١١٦ / ٣١١) و (٤٠) ص ١١٣-١١٤.

بعض رؤساء العشائر يؤكد فيها على وجوب التخلي عن الحزبيات وان يكون دافعهم العمل للصالح العام ^(١)، وهذا يدل على ان الشيخ هدف من موقفه المتشدد الضغط على الوزارة ليدفعها الى تعديل موقفها ازاء مطالبه في الوقت نفسه لم يطلق العنان لشيوخ العشائر المناوئه، بمعنى انه حاول التعامل بوسطية مع الموقف .

حاول المعارضون للوزارة استمالة الشيخ محمد الحسين، لكنه رفض تأييد أي طرف على حساب طرف آخر، وقام ببذل مساعي كبيرة لتوحيد موقف العشائر والحكومة على اساس تحقيق الاصلاح النافع ، مذكراً العشائر ان مركزه الديني لايسمح له بالتدخل في الوزارة والاحزاب، وانما هدفه هو تحقيق العدالة للشعب، وان وحدتهم كفيلة لجعل الوزارة ترضخ لمطالبهم . وان تفرقهم يجعل الوزارة لاتغيرهم الاهتمام الكافي، ثم اكد على الهدوء والسكينة وكرر تحريمه القتال بين العشائر المتخالفة ^(٢) . يبدو ان الشيخ رأى ضرورة منح الوزارة الجديدة فرصة لاثبات صحة رغبتها بالاصلاح.

في غضون ذلك بات بالفشل محاولة محسن ابو طبيخ لثني الشيخ عن موقفه من الوزارة، بل دلت المحادثة بينهما على امتعاضه الشديد منها ^(٣) . إذ قال الشيخ " انتهم شكلتموها وهي حزبية أخائية " فاجبناه " انها شعبية وليست بحزبية واصدق شاهد على ذلك انه قد دخلها اربعة وزراء من غير الاخائيين، وهم نوري السعيد ، جعفر العسكري، امين زكي، ورؤوف البحراني " فاجاب الشيخ " ان هذا لايرضيني أبداً " والواقع ان الشيخ رأى في هذه الاسماء النخبة السياسية التقليدية ذاتها.

حاول المعارضون لوزارة الهاشمي توحيد صفوفهم حسبما اوصى الشيخ محمد الحسين فاجتمع في النجف الكثير من الشخصيات العشائرية وغيرها من مختلف

(١) حيدر نزار عطية، المصدر السابق، ص ١٠٦.

(٢) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج ٤، ص ٨٦.

(٣) محسن ابو طبيخ، المبادئ والرجال، ص ١١٠.

الشرائح من مدن الفرات الاوسط وبغداد وعقدوا اجتماعاً مع الشيخ في الثالث والعشرين من آذار ١٩٣٥ تمخض عن اصدار بيان سمي بـ ((ميثاق الشعب)) تألف من اثني عشر مطلباً^(١) : ابرزها الدعوة إلى المساواة بين افراد الشعب في المناصب الوزارية والوظائف الحكومية والقضاء وربط ذلك مع اعداد السكان، وتعديل قانون الانتخاب لعام ١٩٢٤ بجعله على درجة واحدة وعد كل لواء منطقة انتخابية مستقلة. وتعديل قانون الضريبة، وتخفيض رواتب كبارالموظفين الضخمة.

وبعد ان وقع عليه اكثر من مائة شخصية فوض المجتمعون الشيخ محمد الحسين لمتابعة تنفيذه ، فبعث الشيخ نسخه منه إلى الملك غازي الذي عدّه امراً مثير للجدل ، وبدوره بعث رسولاً يستفسر منه عن مغزى الميثاق، فكان رد الشيخ ان هدفه تحقيق الاصلاح والعدالة لاهل الشعب كافة، لانه السبيل لضمان الاستقرار والتقدم.

حظي الميثاق بتأييد انصار الوزارتين الايوبية الاولى والمدفعية الثالثة^(٣) في حين تحفظ عليه الزعماء الموالون للحكومة ، اذ وعد محسن ابو طابخ وعبد الواحد الحاج سكر بدراسته والسفر الى بغداد لتقييم الموقف ومن ثم التوقيع عليه لكنهم لم يوقعوا. وبرروا ذلك الرفض بأن بنود الميثاق تحوي دعوة لتفضيل المصلحة الطائفية على المصلحة العامة^(٤). موقف ابو طابخ هذا ينم عن براغماتية واضحة، فالرجل كان أول من دعى الى تشكيل حزب سياسي يحفظ مصالح طائفته وبالطبع مصلحته الفئوية اولا.

(١) عن الميثاق ينظر: ميثاق الشعب، وثيقة محفوظة لدى نجله الشيخ شريف، مكتبة محمد الحسين آل كاشف الغطاء العامة، النجف الاشرف، عبد الستار شنين، تاريخ النجف، الملحق رقم (١٠).

(٢) مقابلة مع الشيخ شريف في مكتبه، النجف، بتاريخ (٢١/٢/٢٠٠٩).

(٣) عز الدين المدني ، المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(٤) محسن ابو طابخ المبادئ والرجال ، ص ١٥٠ .

دفع موقف المواليين للحكومة الشيخ محمد الحسين الى بيان موقفه من الغاية في صياغة الميثاق فاصدر فتوى مما جاء فيها « احمد الله سبحانه وتعالى واشكره وان كان البلاء متفاقما والخطب جسيما والاهواء تتلاعب والاخلاص عزيز وفي الخطب البارعة والمقالات الرائعة التي القيتها في فلسطين التي ملئت الارحاء والاجواء في الدعوة الى الوحدة العربية الاسلامية عموما والوحدة العراقية خصوصا ، فلو كنت احس او اتوسم في مطالب الامة المرفوعة الي أي تفرقة او سوء قصد لكنت ابرأ منها واتباعد عنها تباعد الجوزاء عن الحصباء فأن كل جهودنا ومساعدنا لسعادة الشعب العراقي عامة على اختلاف طبقاته وعناصره على مستوى واحد من دون تميز ولا تفرقه ... » (١)

واجهت حكومة ياسين الهاشمي الثانية عدة حركات عشائرية مناوئة اخطرها:

١- حركة الرميثة الاولى :

مما سبق يتضح ان الشيوخ المعارضين للحكومة قد تقربوا الى الشيخ محمد الحسين ، بعدما ايدوا الميثاق ، الامر الذي منحهم ثقة اكبر في امكانية دعم الشيخ لهم . وعلى اثر اقدم الشرطة في الخامس من مايس على اعتقال الشيخ احمد اسد الله في الرميثة بدعوى تحريضه عشائر الرميثة على عصيان الحكومة ، اعلن الشيخ خوام عبد العباس الفرهود شيخ عشيرة بني زريج في السابع من آيار حركته المسلحة ضد الحكومة ، وقد حرص على بعث رسالة الى الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء وهو يعلن حركته (٢) وفور وصول الرسالة اجتمع بصورة سرية الشيخ محمد الحسين في داره ، مع الشيخ محمد جواد الجواهري ، والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي ، ليقرروا ما هي الاجراءات التي يجب ان يتخذوها

(١) نقلا عن : عبد الستار شنين ، تاريخ النجف السياسي ، ص ٢٠٤-٢٠٥ .

(٢) د.ك.و. حركة العصيان في لواء الديوانية ، ملف (٢٦ / ديوانية / ١) و (س /

، فاتفقوا على رفع احتجاج الى الملك غازي على تصرفات الحكومة ومما جاء في الاجتماع " انه من المؤسف وقوع حادثة الرميثة التي تقع مسؤوليتها على الحكومة التي القت القبض على الشيخ احمد اسد الله مما ادى الى قيام تلك الاعمال . لذلك حرصا على سلامة كيان العراق المقدس وسلامة الامة العراقية السعي في الاصلاح بأن توقف الحكومة الاعمال التأديبية وتمنع القوى العسكرية من الضرب والتعقيب حتى يحصل التفاهم بين اولياء الامور ويحفظ الله دماء المسلمين .. (١)"

في غضون ذلك احكمت عشائر الرميثة سيطرتها على الموقف ، وحاصرت الحامية العسكرية في المدينة (٢). وقامت مجموعات عشائرية بالهجوم على محطة القطار وقطع سكة الحديد من جانبي المدينة لمنع حركة القطار بين الديوانية والرميثة من جهة والسماعة والرميثة من جهة اخرى (٣).

على اثر ذلك صدرت الاوامر الحكومية الى الفريق بكر صدقي لتولي قيادة قوات الفرات الاوسط، حيث سارع لمواجهة الموقف المتأزم ، فحشد قطعاته في الديوانية والحمزة والحلة والسماعة ، لحصر الحركة في اضيق دائرة ممكنة ، وانذر القائمين عليها بوجوب التسليم خلال (٢٤) ساعة فان لم يطيعوا فستضطر الحكومة الى استعمال القوة (٤).

يبدو ان اختيار بكر صدقي جاء لرغبة الحكومة في القضاء على الحركة سريعا حتى لا تشجع المدن الاخرى على الحذو حذوها ، لما عرف عن بكر صدقي من صرامة وشدة . وبعد انتهاء المهلة المحددة بدأت العمليات العسكرية ، التي

(١) د.ك.و. ، موقف العلماء ازاء حركات العصيان ، تسلسل الملف (٢٥ / ديوانية / ١)

و (٦١) ، ص ٧ .

(٢) حلیم حسن الاعرجي ، الشيخ خوام ١٨٨١-١٩٦٧ الثائر .. الانسان ، ط ١ ، بغداد ، ٢٠٠٢ ، ص ١٤٠ .

(٣) عبد الستار لشنن ، تاريخ النجف ، ص ٢٠٧ .

(٤) حلیم حسن الاعرجي ، المصدر السابق ، ص ١٤١ .

توافقت مع استخدام الطيران الحربي البريطاني والعراقي ، وقد تمكن الرميثيون من اسقاط طائرة بريطانية . مما رفع من معنوياتهم ^(١).

وفي اعقاب اقدام الحكومة على اعلان الاحكام العرفية في منطقة الرميثة والمناطق المجاورة لها ، ارسل الشيخ محمد الحسين وعدد من العلماء رسائل الى العشائر الاخرى تحثهم على تقديم المساعدة الى عشائر الرميثة التي لم تكن قادرة على المقاومة ^(٢). وعلى الأرجح ان اقدام الحكومة على اصدار الاحكام العرفية دفعت الشيخ الى هذا الاجراء اذ عده رفضا لمبادرته وباقي المرجعيات الى الملك غازي بحل الازمة .

بيد ان الحكومة تمكنت بعد ثلاثة ايام من القصف الجوي المكثف واستخدام القوة المفرطة من انتهاء الحركة واسر الشيخ خوام الذي جرح خلال المعارك . فسيق الى محكمة عسكرية خاصة حكمت عليه بالسجن المؤبد مع مصادرة ممتلكاته .

منحت الحكومة القطعات العسكرية التي اشتركت في قتال الرميثة مكافئة نقدية تعادل راتب شهر لكل عنصر منها . كما وافق مجلس الوزراء في العشرين من آب ١٩٣٥ على صرف نفقات سفر وتداوي بكر صدقي في خارج العراق على اثر أصابته أثناء حركة الرميثة، وعلى ترفيعه ومنحه وسام الرافيدين ^(٣). وعلى الأرجح ان تكريم الحكومة للجيش بهذه الصورة وهو امر موسف لكون الشأن داخلي ، قد زاد من تذمر العشائر ودفعها للاستمرار في نشاطها المسلح.

تأسيسا على ما سبق نجد ان استخدام الحكومة للجيش والطيران الحربي البريطاني والذي كان القصد منه فرض هيبتها والحيلولة دون انتقال اثر الحركة الى

(١) نجدة فتحي صفوت ، المصدر السابق ، ص ٧٠ ، د . ك . و . ملفات وزارة الداخلية،

التقرير الخاص، رقم الملف (١١١٥ ، ٣١١) و ٢٥ ، ص ٧٩.

(٢) د.ك.و. ، موقف العلماء ازاء حركات العصيان ، الملفه المرقمة (٢٦ / ديوانية / ١)

و (٦٢) .

(٣) سامي عبد الحافظ القيسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢١-٢٢٢ .

من اخرى - كما سبق - لم يكن صائباً فمن جهة اضى على الحكومة طابع المتعاون مع بريطانيا ، ومن جهة اخرى القسوة التي اتبعت اثار مشاعر الغضب لدى مدن اخرى ، اذ يذكر ان النجف قد عمها اضراب على اثر وصول جنائز الرميثة اليها . (١)

٢- حركة سوق الشيوخ :

بعد صدور " ميثاق الشعب " ارسلت نسخ كثيرة منه الى مختلف المناطق والمدن العراقية ومنها أفضية ونواحي لواء المنتفك ، وأيد الميثاق بأبراق العشرات من البرقيات من شيوخ رؤساء الناصرية وسوق الشيوخ والغراف والشرطة، الذين عززوا ذلك بحضورهم الى النجف والتوقيع على الميثاق بحضور الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء واداء القسم بالعمل على تنفيذ بنوده . فضلا عن وتحالفهم على مواجهة وزارة ياسين الهاشمي الثانية وان ادى ذلك الى عواقب وخيمة . شجعت حركة الرميثة شيوخ سوق الشيوخ على تنفيذ ما تحالفوا عليه ، فأقدموا على التمهيد لحركتهم بالغاء حق السر كله (١) التي كان يعاني منها الفلاحون . فكان ذلك دافعاً قوياً لانقياد ابناء عشائريهم الى شيوخهم وتنفيذ اوامرهم ، فكان هذا الائتلاف مضافاً له سوء ادارة موظفي الحكومة في سوق الشيوخ . كفيك لاعلان تحدي السلطة الحكومية ورفضها ومقاومتها (٢).

كانت الخطوة الاولى قيام بني خيكان بالاشتباك مع الشرطة في ناحية العكيكة في التاسع من آيار ١٩٣٥ ، حين استولوا على مخافر الشرطة ثم تقدموا

(١) لما اقبل الجيش البريطاني سوق الشيوخ في (٦ تموز ١٩١٥) عمدوا الى منع الشيوخ حق جمع الضرائب نظير نسبة تدفع لهم مقدارها (خمس) من حق الحكومة على الفلاحين . عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ص ٢٤- ٢٥ .

(٢) عبد الستار شنين ، تاريخ النجف السياسي ، ص ٢١٤ .

الى سوق الشيوخ حيث سيطروا عليه في الرابع عشر من الشهر نفسه ، فاقدموا على حرق المباني الحكومية وقطع قضبان السكة الحديد واسلاك البرق والهاتف.

ازاء هذا الموقف الخطير استخدمت الحكومة الطيران الحربي فقصفت العشائر بشدة، لكنها لم تتراجع (١) ؛ ومما لا شك فيه ان اقدام العشائر على اعمال التخريب كان عملاً خاطئاً ، لكون هذه المنشآت ملكاً للشعب وقد استفدت اموال ضخمة من ميزانية الدولة . وفي الوقت نفسه لم تكن الحكومة موفقة في لجوئها لقوة المفرطة من دون التعاطي الجدي مع الاسباب الحقيقية لهذه الحركة فضلاً عن اجراء مفاوضات قبل الاقدام مع العشائر قبل الاقدام على اي اجراء عسكري وهو ما حصل لاحقاً .

تداركاً للموقف توجه وزير الدفاع جعفر العسكري لاجراء المفاوضات مع العشائر المعارضة ، فالتقى مع الشيخ عبد الحسين مطر وكيل الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء وطلب منه التوسط لدى العشائر واصلاح الامر . وارسل بواسطته كتابا الى الشيخ منشد ال حبيب شيخ آل غزي والشيخ كاطع ال مطر وغيرهم يدعوهم فيه لزوم المحافظة على الهدوء والسكينة وعدم الاخلال بالامن، الى ان تجري المفاوضات بين الحكومة والشيخ محمد الحسين عن مطالبهم ، لكن رؤساء العشائر لم يثقوا بما جاء في كتاب وزير الدفاع (٢).

في اثناء ذلك وصلت الى الشيخ عبد الحسين مطر برقية من الشيخ محمد الحسين جاء فيها " مشغولون بالاصلاح يلزم السعي لمنع المضاربة سيأتاكم تعريفا حفظ الامن وجب " (٣).

(١) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج ٤ ، ص ١١٧ .

(٢) حيدر نزار عطيه ، المصدر السابق ، ص ١١٥ .

(٣) د . ك . و . ملفات وزارة الداخلية، موقف العلماء في التمردات في الفرات الاوسط، رقم الملف (١١١٥ ، ٣١١) و ٩٩ ، ص ٧٧ .

وضمن الجهود الحكومية اتصل رئيس الوزراء ياسين الهاشمي بمتصرف لواء كربلاء صالح جبر في الثامن عشر من أيار طالباً منه دعوة الشيخ محمد الحسين للتدخل لدى العشائر وحملها على إيقاف مواجهة العشائر للحكومة، وعند لقاءه بالشيخ الذي كان - كما سبق - قد بعث ببرقية بالمضمون نفسه الى وكيله . طلب صالح جبر (١) من الشيخ ارسال برقية اخرى تتضمن ايضاحا اكثر مما هو موجود في البرقية الاولى لانها تتضمن لزوم منع المضاربة ووجوب حفظ الامن، والمطلوب ما يؤدي إلى عدم تخريب وقطع الطرق والمواصلات (٢).

اعد الشيخ محمد الحسين كتابا آخر حث فيه وكيله على التدخل للحيلولة دون ما يؤدي إلى اراقة الدماء او تخريب الخطوط وقطع المواصلات والطرق العامة . وتبليغ الرؤساء الثائرين ضرورة انتظار نتيجة ما وعدت به الحكومة من المفاوضات (٣) .

(١) صاح جبر : سياسي ورجل دولة ، ولد في الناصرية عام ١٩٠٠ ، درس في المدارس الحكومية ، وبعد قيام الدولة العراقية شغل عدة مناصب منها متصرف كربلاء في الثلاثينيات وتولى عدة حقائب وزارية ، فضلاً عن انتخابه عضواً في مجلس النواب، ترأس الوزارة العراقية عام ١٩٤٨ وفي عهده حدثت وثبة عام ١٩٤٨ احتجاجاً على توقيع الحكومة معاهدة بورتسموث ، توفي عام ١٩٥٧ . لمزيد ينظر: مير بصري، المصدر السابق ، ص ٢٢٦.

(٢) د.ك.و. وزارة الداخلية ، موقف العلماء ازاء حركات العصيان تسلسل الملف (٢٥/ديوانية / ٦) التقرير السري لمتصرف كربلاء الى وزارة الداخلية المرقم (س/١٧٢/ ٥٢) في ٢٣/ايار / ١٩٣٥) .

(٣) د . ك . و . ملفات وزارة الداخلية، موقف العلماء في التمردات في الفرات الاوسط، رقم الملف (١١١٥ ، ٣١١) و ٩٩ ، ص ٧٧.

وكانت نية الشيخ محمد الحسين قد اتجهت نحو معارضة الحكومة على تنفيذ المطالب الواردة في ميثاق الشعب وهو ما يظهره من خلال برقيته الى رئيس الوزراء ياسين الهاشمي التي نصها :

فخامة رئيس الوزراء

وردتتا برقيات وجهاء الناصرية يستمدون فيها ارشاد الرؤساء للخلود الى السكينة . ابرقنا وحررنا بطلب الهدوء ، الامل مساعدتكم على توطيد الامن والمسارة الى اجراء المفاوضة حسبما اذاعه وزير الدفاع في بيانه لرؤساء عشائر المفتك ، وعليهم ان ينتظروا نتيجة ما نترقبه من وقوع ما يعدون به من المفاوضات.

محمد حسين كاشف الغطاء (١) .

بيد ان حكومة الهاشمي قد حزمت امرها على تبني الخيار نفسه الذي جربته في الرميثة ، فاقدمت على زيادة القوة المتركة في الناصرية من اربعة افواج الى ثمانية ، واعلنت الاحكام العرفية ، وبدأت الاعمال العسكرية في الاول من حزيران ١٩٣٥ حيث تمكنت من القضاء على الحركة (٢) .

ازاء قيام الحكومة بمحاكمة القائمين على الحركة في سوق الشيوخ والمدن الاخرى ، حيث بلغ المتهمين فيها (٢٢٩) شخصا ، ادين منهم (١١٧) (حكم على (٦٣) بالاعدام ونفذ في تسعة فقط . عقد في النجف اجتماعا في دار الشيخ عبد الكريم الجزائري بتاريخ السادس والعشرين من حزيران ١٩٣٥ ، ضم اقطاب المؤسسة الدينية الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء والسيد ابو الحسن الاصفهاني والشيخ محمد حسين النائيني والشيخ محمد جواد الجزائري والعديد من المرجعيات الدين ،

(١) نقلاً عن : حيدر نزار عطيه ، المصدر السابق ، ص ١١٧ .

(٢) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج ٤ ، ص ١٧٩ .

بالإضافة الى صاحب الدار ، وتباحثوا فيما بينهم في تطور الاحداث في الفرات الاوسط وقرروا ارسال برقية الى الملك غازي تضمنت الغاء الاحكام العرفية ، اصدار العفو عن المشتركين في احداث الفرات الاوسط في الرميثة وسوق الشيوخ ، واجاب الملك غازي المرجعيات الدينية ، واصدر في السابع من ايلول ١٩٣٥ عفوآ عاما عن المشتركين في الاحداث الواقعة بين تاريخي (١٥ كانون الاول - ١٩٣٤ - ٢- حزيران - ١٩٣٥) (١).

يدل اجتماع المؤسسة الدينية بجميع اقطابها عن اهتمامها البالغ في تحقيق الاستقرار في منطقة الفرات الاوسط ، بعدها مفتاح لاستقرار العراق في هذه المرحلة نظرا لخطورة الوضع في حال تكرار حركات انتقامية .

وعلى الأرجح تم الاتفاق في هذا الاجتماع على عدم تدخل المرجعيات الدينية في حركات العشائر بعد تكرار المأسي التي لحقت بالاهالي جراء تدخل الجيش ويبدو ان الشيخ محمد الحسين كان مقتنعاً بهذا الاتفاق حيث لم يتدخل في الحركات التالية ومنها :

حركة الرميثة الثانية في ٢١ نيسان ١٩٣٦ وبرز اسبابها المباشرة (٢) :

١- فرض التجنيد الاجباري : كانت العشائر معارضة لتطبيق لائحة قانون الدفاع الوطني لاسباب سبق ذكرها وفي عهد وزارة ياسين الهاشمي الثانية استحصلت ارادة ملكية في الثاني عشر من حزيران ١٩٣٥ دخل بموجبها القانون الذي صوت عليه مجلس الامة في شباط ١٩٣٤ حيز التنفيذ .

(١) امجد اسعد شلال ، المصدر السابق ، ص ١١٩ ؛ عبد الستار شنين ، تاريخ النجف السياسي ، ص ٢٢٠ .

(٢) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج ٤ ، ص ١٦٤ .

- ٢- - تحريم المواكب الحسينية : - منعت وزارة الهاشمي تسيير المواكب الحسينية وعدم استساغة القبائل لقرار منع تسيير مواكب العزاء في شهر محرم .
- ٣- محاولة الحكومة توحيد لباس الرأس بين السكان باستخدام السداره العراقية كرمز لوحدة البلاد .

مما لاشك فيه ان هذه الحركة جزء من معارضة وزارة الهاشمي أذ شنت عشيرة بني ازريج هجوماً عنيفاً على بلدة الرميثة وحاميتها وقطاعات الجيش المرتبطة بها، فكان ذلك بداية بحركة جديدة استخدمت الحكومة الطائرات لاختمادها^(١) .

اما حركة الدغارة او الاقرع نسبةً الى عشيرة الاقرع بزعامه الشيخ شعلان عطية والتي حدثت في الاول من حزيران ١٩٣٦ فلم تختلف عن سابقتها أذ أن سببها الحقيقي تحريض الساسة المعارضين لحكومة ياسين الهاشمي وابرزهم حكمت سليمان^(٢) .

بينما قامت حركة السماوة في الحادي عشر من حزيران ١٩٣٧ وترأسها شيوخ عشائر قضاء السماوة وكانت من القوة بحيث اخرجت الحكومة اذ كبدت الشرطة خسائر فادحة ، فاضطرت الحكومة الى اعلان الاحكام العرفية ولم يتمكن الجيش من اخضاعها رغم القوة المفرطة التي استخدمها^(٣) ، واستمرت الحركة بالسماوة ولم تنته الا حين أغتيل بكر صدقي وسقوط حكومة الانقلاب عام ١٩٣٧

(١) للمزيد ينظر : حليم حسن الاعرجي ، المصدر السابق ، ص ١٨٤-١٨٩ .

(٢) للمزيد عنها ينظر : المصدر السابق ، ص ١٩٠-١٩٤ .

(٣) للمزيد عنها ينظر مذكرا محسن ابو طبيخ ، المصدر السابق ، ص ٣٦٥-٣٦٨ .

بناءً على ما سبق نجد ان البواعث الحقيقية وراء قيام الحركات العشائرية التي تعد من المظاهر الخطيرة لعدم الاستقرار السياسي في العراق لم يكن صراع الساسة حول السلطة فقط ، بل سوء الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية سبباً جوهرياً في قيامها . وكان الشيخ محمد كاشف آل الغطاء يدرك ذلك جيداً لذا طالب بالاصلاح وحث على توحيد جهود العشائر بشأنه.

٣- موقفها من تدخل الجيش في السياسة

شهدت الفترة بين عامي ١٩٣٦-١٩٤١ تدخلاً للجيش في السياسة ويعزى هذا التدخل إلى عدة عوامل ابرزها :

١- اتسمت الدولة العراقية منذ السنوات الاولى لتأسيسها بطابع خاص تمثل بأدارتها بشكل كبير من نخبة سياسية ذا خلفية عسكرية . فرأس الدولة الملك فيصل الأول كان قائد الجيش العربي ابان " الثورة العربية الكبرى " عام ١٩١٦، والكادر الاداري والفني للدولة كان من العسكر من العراقيين الذين خدموا في الجيش العثماني ومعظمهم ممن شارك في الجيش العربي واسهم مع فيصل في إدارة الحكومة العربية في سوريا عام ١٩١٨، وهم المعروفون بـ(الضباط الشريفيين)^(١) . نظراً لافتقار العراق إلى الخبرات

(١) من الجدير بالذكر ان الضباط العراقيين قد توافدوا على شكل وجبات إلى العراق في عام ١٩٢١، وضمت هذه الوجبات (٣١٣) ضابطاً ابرزهم جعفر العسكري ونوري سعيد ، ياسين الهاشمي، بكر صدقي، صلاح الدين الصباغ، كامل شبيب، فهمي سعيد، نور الدين محمود، صبيح نجيب، تحسين قدري، فضلاً عن اخرين. للمزيد ينظر: وزارة الدفاع ، تاريخ القوات العراقية المسلحة، ج١، الدار العربية، بغداد، ١٩٨٦، ص ٢٢٢-٢٢٩؛ رجاء حسين الخطاب، تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي من ١٩٢١-١٩٤١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩، ص ٣١٩-٣٣١.

المدنية بحكم اهتمام الدولة العثمانية بالتعليم العسكري ، والذي لا يعدُّ كونه جزءاً من طغيان الأسلوب العسكري في سياسة هذه الدولة (١).

ويعكس تولي هذه النخبة عشرين وزارة بين المدة (٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٢ - ٨ تشرين الأول ١٩٤١) منها تسعة وزارات في عهد الانتداب (٢) حقيقة هذا الطابع، ولم يكن مستبعداً في ظل هذا الوضع ان تتبلور لدى كبار ضباط الجيش، والذين يمثلون الصف الثاني من الضباط الشريفيين، تطلعات سياسية تجسد رغبتهم في صعود اجتماعي شأنهم شأن نظرائهم من الصف الأول، سيما وان الخلفية الاجتماعية لمعظم هؤلاء لا تختلف عن خلفيتهم الاجتماعية (٣).

(١) أسست اولى المدارس الرشدية العسكرية في بغداد عام ١٨٧٠، وكانت مدة الدراسة فيها اربع سنوات على نفقة الحكومة، وفي عام ١٨٩٣ أسست في السليمانية مدرسة اخرى وكانت تخرجان الطلبة للالتحاق بالاعدادية الحربية التي أسست في بغداد عام ١٨٧٨، والتي تؤهل المتخرج منها للدراسة في المدرسة الحربية في اسطنبول. فضلاً عن ان السلطات العثمانية كانت تشجع ابناء شيوخ العشائر للالتحاق في مدرسة العشائر الحربية في اسطنبول ، حتى يكونوا كأداة من ادوة الحكم العثماني. للمزيد ينظر: نزار علوان عبد الله ، الدور السياسي للنخبة العسكرية في العراق ١٩٥٨-١٩٦٣، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية - جامعة بابل ، ٢٠٠٦، ص ١٥-١٦.

(٢) ألف عبد المحسن السعدون اربعة وزارات، وجعفر العسكري وزارتان، وياسين الهاشمي وزارتان، ونوري سعيد خمس وزارات، وجميل المدفعي خمس وزارات، وعلي جودت الايوبي وزارة واحدة، وطه الهاشمي وزارة واحدة. نزار توفيق سلطان الحسو، المصدر السابق، ص ١٦٠-١٨٠.

(٣) عن الخلفية الاجتماعية لضباط الجيش العراقي وقتئذ ينظر:

Mohammad. A. Tarbbush, The role of the Military in Politics, (a case stud of Iraq to 1941) Briston, London, 1982, P.47-48.

٢- عقم الانموذج الديمقراطي في العراق: وبرز ملامح ذلك ضعف الحياة البرلمانية ونظيرتها الحزبية وهما رمزا النظام الديمقراطي ، والذي وجد اصلاً ليعكس ارادة الشعب من جهة، ومن جهة اخرى ينظم التداول السلمي للسلطة، ويتغيبه خلقت مناخات مواتية للصراع على السلطة بين الجهات صاحبة القدرة سواء السياسية او العسكرية.

٣- تأثر ضباط الجيش العراقي بالاعمال التي قام بها مصطفى كمال اتاتورك في تركيا حين تمكن من تحقيق الاستقلال التام لبلده، وكذلك سيطرة رضا بهلوي (١٩٢٥ - ١٩٤١) على مقاليد الحكم في فارس^(١).

٤- الاستعانة بالجيش في القضاء على الحركات المناوئة للحكومة ، فضلاً عن الحركات العشائرية في الفرات الاوسط، استخدم الجيش للقضاء على حركات اخرى ابرزها:

أ- التمرد الآثوري^(٢) :

كانت المشكلة الاثورية من المشاكل الخطيرة التي واجهت الحكومات العراقية بعد دخول العراق إلى عصبة الامم. وتعد بامتياز من مخلفات السياسة البريطانية في العراق. إذ عمد البريطانيون إلى اسكانهم في منطقة مندان شمال شرق الموصل، وشكلوا منهم جيش مساند للجيش البريطاني سمي بـ(الليفي) Levy أي القوات

(١) عباس عطية، المصدر السابق، ص ٣٨-٣٩ .

(٢) الاثوريون، جماعة مسيحية نسطورية قديمة كانت قد استوطنت المنطقة الواقعة بين الدولة العثمانية وروسيا وبلاد فارس ومركز تواجدهم الاساسي في قضاء جولان وحدك في مقاطعة وان وجبال حكارى في الاناضول ، وبعد قيام الحرب العالمية الاولى ساندوا الحلفاء وثاروا ضد الدولة العثمانية، لكن انسحاب روسيا من الحرب في اعقاب قيام ثورة اكتوبر، ادى إلى نزوحهم إلى فارس ومن ثم تزايد الهجمات العثمانية عليهم اضطرهم إلى النزوح إلى العراق بعدما وعدتهم بريطانيا بمساعدتهم. للمزيد ينظر: عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية... ، ج١، ص ١٨٣.

المجندة . ومنح الأثوريون امتيازات عدة كاعفاءهم من الضرائب ومنحهم الاراضي ، مما اثار استياء الرأي العام العراقي (١).

هذه المعاملة الاثوريون على محاولة حصولهم على حكم ذاتي يضم مناطق استيطانهم في شمال العراق وجبال حكارى في الاناضول. زد على ذلك ادعائهم بأنهم قومية ترجع في اصولها إلى الاشوريين - لاضفاء شرعية على ما يبغوله بوصفهم حينئذاً من سكان العراق الاصليين - وعلى اثر دخول العراق إلى عصبة الامم في الثالث من تشرين الأول ١٩٣٢ اصيبوا بخيبة امل لاسيما بعد ان رفضت عصبة امم الاستجابة لطلبهم في نيل الحكم الذاتي، وايدت مشروع الحكومة العراقية لاسكانهم في الموصل بصورة دائمية (٢).

وبتحريض من زعيمهم الروحي البطريرك مارشمعون (٣) بدأت في حزيران ١٩٣٣ بوادر عصيانهم، بالرغم من محاولات الحكومة ثنيهم عن مطالبهم لكونها تشجع الاقليات الاخرى على القيام بأمر مماثل. وقد اضطرهم الجيش العراقي على مغادرة العراق إلى سوريا، غير ان سلطات الانتداب الفرنسي رفضت توطينهم في سوريا ، فعادوا إلى العراق، وبعد ان رفضوا تسليم اسلحتهم جردت الحكومة حملة

(١) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية... ، ج١، ص ١٨٣-١٨٤.

(٢) عن مشروع الاسكان ينظر: عباس عطية جبار، المصدر السابق، ص ١١٦-١٢٠.

(٣) مار شمعون ايشاي الثالث والعشرون (١٩٠٩-١٩٧٥) ولد في حكارى نصب بطريركاً في معسكر بعقوبة خلفاً لشقيقه بنيامين في عام ١٩٢١، فر إلى قبرص بعد اخفاق التمرد الاثوري في عام ١٩٣٣ اسقطت عنه الحكومة العراقية الجنسية العراقية عام ١٩٣٣ اسقط المجمع الكنسي عنه لقبه الديني على اثر زواجه اغتيل عام ١٩٧٥ في ولاية كاليفورنيا الأمريكية. للمزيد ينظر: جرجيس فتح الله، نظرات في القومية العربية مداً وجزراً حتى عام ١٩٧٠ ، ج٥، ص ٢٢٦٣-٢٢٧٥.

عسكرية بقيادة اللواء بكر صدقي قائد المنطقة الشمالية حيث تمكنت في الخامس من آب من القضاء على تمردهم واجبرهم على القاء السلاح^(١). حظي قضاء الجيش على التمرد الاثوري على دعم شعبي واشادة الصحافة العراقية ، فضلاً عن ترحيب المعارضين لحكومة رشيد عالي الكيلاني الاولى (٢٠- اذار ١٩٣٣-٢٨- تشرين الأول- ١٩٣٢) وفي مقدمتهم جعفر ابو التمن الذي وصف التمرد الاثوري بانه يمثل خطراً على وحدة العراق وان الاثوريين " كانوا عملاء بريطانيين ورمزاً للسيطرة الاجنبية " ^(٢). وبالرغم من غياب موقف معلن لمؤسسة الدينية من الحركة الاثورية ، الا ان موقف ابو التمن ومن مقليدي الشيخ محمد الحسين وعلى علاقة وثيقة بالشيخ عبد الكريم الجزائري يدفعنا بالقول ان هذه المؤسسة قد ايدت ضمناً جهود الحكومة لقضاء على هذه الحركة الانفصالية .

ب- الحركات الكردية :

بعد تأسيس الدولة العراقية بدا جلياً ان قسماً من الاكراد لاسيما في السليمانية يرغبون في اقامة كيان سياسي مستقل عن العراق، إذ لم تشارك هذه المدينة في استفتاء خاص بانتخاب الملك فيصل ملكاً على العراق، ويبدو ان طموحات الشيخ محمود الحفيد ^(٣) في تأسيس مملكة كردية في شمال العراق وقفت خلف ذلك لاسيما انه اطلق على نفسه لقب " ملك كردستان " ^(١) .

(١) نزار علوان عبد الله، المصدر السابق، ص ٤١-٤٢.

(٢) خالد التميمي ، المصدر السابق، ص ٣٢٧ : فاروق صالح العمر، العسكريون والحكم في العراق القسم الاول، الحالة غير واضحة، دراسات تاريخية "مجلة" العدد ١٥ ، بيت الحكمة ، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٦٧.

(٣) الشيخ محمود بن سعيد بن محمد البرزنجي: زعيم كردي بارز ولد في السليمانية عام ١٨٨١، من الزعماء الذين استجابوا لنداء الجهاد ضد البريطانيين عام ١٩١٤، شكل

حاول ان يمد نفوذه خارج السليمانية، ارسلت الحكومة الجيش إلى المدينة وتمكن من السيطرة عليها فسلم الشيخ محمود نفسه إلى الحكومة التي نفتته إلى تركيا . لكنه رجع إلى السليمانية وعلن عصيانه من جديد. ازاء هذا الوضع المتأزم عمدت سلطات الانتداب في عام ١٩٢٦ إلى طرح اتفاق تضمن شروطاً طلبت من الحكومة العراقية والشيخ محمود الموافقة عليها وابرزها : ان يتعهد الشيخ محمود بعدم التدخل في امور الحكومة العراقية وان لايشجع أي احد على هكذا تدخل، وعلى الحكومة العراقية ان تعيد للشيخ املاكه ^(٢). وافقت الحكومة العراقية لكن الشيخ محمود وضع شرطاً يقضي بالأعتراف بسلطته على ناحية بنجوين ، فاضطرت الحكومة العراقية إلى تجريد حملة عسكرية معززة بالقوات الجوية البريطانية، اجبرته في الرابع من ايلول ١٩٢٧ على التوقيع على الشروط ومغادرة العراق إلى تركيا ^(٣).

شهدت الثلاثينيات عدد من الحركات الكردية ، ففي السادس من ايلول ١٩٣٠ عاد الشيخ محمود إلى السليمانية وعلن تبرمه من اتفاق ١٩٢٧ ، وعدم انهاء عصيانه الا بعد ترك الحكومة العراقية المنطقة الممتدة بين زاخو إلى خانقين، وانشاء حكومة كردية تحت الانتداب البريطاني ^(٤). وعلى الرغم من صعوبة تجاهل حقيقة ان الشيخ الحفيد كان رمزاً كردياً ذات تأثير كبير على ابناء جلدته ، لكن هذا

حكومة في السليمانية عام ١٩١٨ ، اصطدم مع البريطانيين فاصدروا بحقه حكماً بالاعدام استبدل بالنفي، قام بعدة تمردات ضد الحكومة اخرها عام ١٩٣٠ ، حيث تم وضعه تحت الإقامة الجبرية في بغداد حتى عام ١٩٤١. للمزيد عنه ينظر: عبد الرحمن ادريس صالح البياتي، الشيخ محمود الحفيد (البرزنجي) والنفوذ البريطاني في كردستان العراق حتى عام ١٩٢٥ ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية - الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٤.

(١) عبد الرحمن البزاز ، المصدر السابق، ص ٢١٤.

(٢) للمزيد ينظر: عزيز الحاج، القضية الكردية في العشرينيات، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٠٨-١٠٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

(٤) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٢، ص ١٢٠.

لا يعني ان جميع الاكراد يؤيدون قيام دولة كردية تحت الانتداب البريطاني ، فقد اسهم العديد من الوطنيين الاكراد في معارضة معاهدة ١٩٣٠ والمطالبة باستقلال العراق التام يتمتع الاكراد في ظلّه بحقوق الحكم الذاتي^(١).

ازاء ذلك جردت حملة عسكرية تمكنت بصعوبة من القضاء على عصيان الشيخ محمود الذي ارغم على الفرار إلى بلاد فارس أولاً ثم سلم نفسه إلى الحكومة في الثالث عشر من ايار ١٩٣١، ووضع تحت الإقامة الجبرية في بغداد^(٢).

شكلت حركات برزان^(٣) ، تحدياً جديداً للحكومات العراقية . وحدثت اولى هذه الحركات في السابع من كانون الأول ١٩٣١ ، وتزعّمها زعيم الزبياريين أحمد الزبياري (١٨٩٦-١٩٦٩) بعدما ارادت الحكومة استيفاء ضريبة الاغنام على طريقة العد (الكودة) فضلاً عن تعزيز الوجود الحكومي في المنطقة من خلال إقامة مخافر الشرطة ، الامر الذي اثار الزبياري فأقدم على مهاجمة مخافر الشرطة والقرى المجاورة^(٤).

حاولت الحكومة حل القضية عن طريق التفاوض ، لكن اصرار أحمد الزبياري على موقفه، دفعها إلى الاستعانة بالجيش والقوة الجوية البريطانية لانهاء حركته وتم لها ذلك في الحادي والثلاثين من ايار ١٩٣٢^(٥). وفي آب ١٩٣٥ بدأت حركة عصيان اخرى تزعّمها الملا مصطفى البرازاني و خليل خوشري و لم تختلف بواعثها عن نظيرتها السابقة بمعنى انها لم تكن انفصالية، فاعلنت الحكومة العراقية

(١) عزيز الحاج، المصدر السابق، ص ١١١.

(٢) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٣، ص ١٣٢-١٣٣.

(٣) تقع زيبار في سفوح جبل شيروان في قضاء الزيبار الذي كان تابعاً للواء الموصل حينذاك، وضمن محافظة اربيل حالياً.

(٤) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٣، ص ١٨٧-١٨٨.

(٥) عبد الرحمن البزاز ، المصدر السابق، ص ٢١٦.

الاحكام العرفية في برزان ومناطق المجاورة لها ، وتمكن الجيش في الثالث عشر من آذار من القضاء عليها نهائياً^(١).

مما سبق تبين ان قيام الجيش بدور محوري في القضاء على هذه الحركات قد رفع من مكانته في الاوساط الرسمية والشعبية ومن ثم عزز هيبته وتطلعات قادته السياسية . إذ بدأوا يشعرون بأن القوة الوحيدة القادرة على تحقيق حياة سياسية يسودها الاستقرار .

ولان المؤسسة الدينية في النجف من اكثر الجهات حرصاً على سلامة العراق ووحدته ارضاً وشعباً، لذا نجد من المنطقي ان لا تعارض استخدام الجيش للقضاء على الحركات الانفصالية مثل حركة الشيخ محمود والحركة الاثورية ، لكنها في الوقت نفسه كانت ترى في ان الحل الجذري لعدم تكرار حركات مماثلة يكمن في اقرار الحكومة اصلاحات على المستويات كافة ، مما يوجد عنصر استقرار دائم في العراق^(٢).

٥- تبلور التكتلات السياسية في الجيش: برزت في العشرينيات والثلاثينيات تكتلات سياسية ذات توجهات مختلفة ابرزها :

أ- كتلة بكر صدقي: وضمت بكر صدقي والفريق عبد اللطيف نوري قائد الفرقة الاولى والعقيد الطيار محمد علي جواد آمر القوة الجوية والمقدم الطيار اكرم مشتاق . وكان اعضاء تلك الكتلة يأملون بخلق دولة عسكرية قوية ذات اتجاهات وطنية على غرار تركيا الكمالية^(٣) . وعلى الأرجح انها تشكلت بعد ان برز دور بكر صدقي في القضاء على الحركة الاثورية.

(١) للمزيد ينظر: عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية، ج٤، ص ١٤٥.

(٢) مقابلة اجريت مع الشيخ شريف في مكتبته في النجف الاشرف ، بتاريخ (٢٠٠٩/٢/٢١).

(٣) نزار علوان عبد الله ، المصدر السابق، ص ٤٦.

ب- كتلة الضباط القوميين: وضمت العقداء الاربعة صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب . وترجع بداية تشكيلها الى العام ١٩٢٧ ، إذ وضعت برنامجاً لها اسمته الميثاق القومي العربي وابرز ما جاء فيه " تطهير العناصر المعادية للعروبة وتوحيد الممالك العربية ضمن وحدة عربية تشمل السياسة والاقتصاد والثقافة والجنسية " (١) ، ايدت هذه الكتلة السياسيين ذوي التوجه القومي امثال ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني، وعملت على نشر الفكر القومي بين ضباط الجيش (٢).

٦- الصراع بين الساسة على السلطة: بعد ان حقق زعماء حزب الاخاء الوطني والمتحالفين معهم اهدافهم باسقاط وزارة جميل المدفعي الثالثة (٤ اذار ٩٣٥ - ١٧ اذار ١٩٣٥) عن طريق استخدام ورقة العشائر، وشكل ياسين الهاشمي الوزارة، ودب الخلاف بين الاخير وحكمت سليمان، حينما منح الهاشمي وزارة الداخلية إلى رشيد عالي بالرغم من رغبة حكمت بها ورفضه تسلم وزارة المالية التي عرضت عليه. وعلى اثر ذلك بدأ حكمت سليمان الذي انضم إلى جماعة الاهالي (٣)، وقادة الجماعة الاخرين وفي

(١) عن نص الميثاق ينظر: فاضل البراك، دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا سنة ١٩٤١، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩، ص ١٧١.

(٢) رجاء حسين الخطاب، تأسيس الجيش العراقي ... ، ص ١٤٥.

(٣) جماعة سياسية ظهرت عام ١٩٣٣ وضمت في بداية تكوينها المثقفين الشباب الذين انهموا دراساتهم العليا خارج العراق وعادوا متأثرين بالمفاهيم الغربية الحديثة فضلاً عن التقدميين في داخل العراق، وتتنوع توجهاتها بين الليبرالية والاشتراكية من اعضائها عبد الفتاح إبراهيم ومحمد حديد وحسين جميل وعبد القادر اسماعيل و خليل كنه، ابرز ما طرحته فكرة " الشعبية " اكدت فيها على اهمية الدولة في تحقيق الرفاه للشعب، وان تكون العلاقة بين الشعب والدولة دستوية وعلى تطوير المجتمع في المجالات كافة.

مقدمتهم جعفر ابو التمن^(١) وكامل الجادرجي^(٢)، بالتخطيط لاسقاط وزارة الهاشمي لاسيما بعد ان جمد حزيه وبدأت بوادر سيطرته المطلقة على السلطة تتبلور . وكانت فكرة حكمت سليمان الاستعانة بالجيش بدلاً من استخدام العشائريين ان انحسرت قوتها على اثر الحملات العسكرية ضدها، فاجرى اتصالات سرية بعلم جماعة الاهالي مع بكر صدقي الذي تربطه به علاقة صداقة متينة ترجع إلى تعاونها في القضاء على حركة برزان والحركة الاثورية، واتفق على القيام بأنقلاب عسكري يطيح بوزارة الهاشمي^(٣).

كانت هذه ابرز العوامل التي ادت إلى قيام قادة الجيش في التدخل المباشر في السياسة واخضاع الحكومة ارادتهم وتمثل ذلك بالاتي:

وتعد الاهالي الاب الروحي للحزب الوطني الديمقراطي . للمزيد ينظر: فؤاد الوكيل ، جماعة الاهالي في العراق ١٩٣٢-١٩٢٧ ، دار الرشيد، بغداد، ١٩٧٩؛ حسين جميل ، الحياة النيابية ... ، ص ٣٥-٣٧.

(١) الجدير بالذكر ان جعفر ابو التمن اعتزل الحياة السياسية بعد استقالته من الحزب الوطني اثر طرح رشيد عالي الكيلاني الاولى (٢٠/اذار/١٩٣٢) منهاج وزارته من دون الاشارة إلى تعديل معاهدة ١٩٣٠، عبد الرزاق عبد الدراجي، المصدر السابق، ص ٣٣٨.

(٢) كامل رفعت الجادرجي، سياسي عراقي، ولد في بغداد ١٨٩٧، تخرج من مدرسة الحقوق عام ١٩٢٦ ، عين معاون لوزير المالية عام ١٩٢٧ ، عضو في حزب الاخاء الوطني لكنه تركه وانظم إلى جمعة الاهالي، عام ١٩٣٩ الف جمعية الاصلاح الشعبي، رئيس الحزب الوطن الديمقراطي عام ١٩٤٦، سجن لنشاطه السياسي الوطني قبل ثورة ١٩٥٨ ، واطلق سراحه بعدها، توفي في بغداد عام ١٩٦٨ . للمزيد ينظر: كامل الجادرجي، مذكرات كامل الجادرجي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٠.

(٣) للمزيد ينظر: حسين جميل، الحياة النيابية ... ، ص ٢٣٠-٢٥٢.

١ - انقلاب بكر صدقي:

شهد العراق اول انقلاب عسكري في التاسع والعشرين من تشرين الأول ١٩٣٦، إذ حلقت عدة طائرات حربية في سماء بغداد مسقطة منشورات تطالب الملك غازي بإقالة وزارة ياسين الهاشمي ، وتشكيل وزارة جديدة برئاسة حكمت سليمان. وجاء في المنشور ايضاً دعوة كل مسؤولي وموظفي الدولة إلى عدم مراجعة دوائهم حتى تشكيل الوزارة الجديدة. وحمل المنشور توقيع بكر صدقي الذي اطلق على نفسه قائد القوى الوطنية للإصلاح^(١).

استغل المناورات العسكرية التي تقرر ان تجريها الفرقتين الاولى والثانية في حميرين، وسفر رئيس اركان الجيش طه الهاشمي إلى لندن لحضور مناورات عسكرية للجيش البريطاني ، فضلاً عن علاقته بنائب رئيس الاركان عبد اللطيف نوري للقيام بالانقلاب^(٢).

في غضون ذلك استدعى الملك غازي بعض الشخصيات من بينها جعفر العسكري الذي اصر على الذهاب بنفسه لمقابلة بكر صدقي وثبته عن الانقلاب، وتم له ذلك بعد اخذه رسالة من الملك إلى صدقي، لكن الاخير ارسل له من اغتاله في الطريق^(٣).

وبعد ان تعرضت بغداد لقصف جوي اضطر ياسين الهاشمي إلى تقديم استقالته إلى الملك غازي ومغادرة العراق إلى بيروت ، فكلف الملك ، حكمت بتشكيل الوزارة، فألفها في التاسع والعشرين من تشرين الاول ١٩٣٦، فاناط وزارة المالية

(١) عبد الرحمن اليزاز، المصدر السابق، ص ١٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٤.

(٣) منذر جواد مرزة، العهد الملكي في العراق، احداث ومؤامرات ١٩٢١-١٩٥٨ ، ط١، مؤسسة دار الزهراء، النجف، ٢٠٠٥، ص ٢٢٧ ؛ كامل الجادرجي، مذكرات كامل الجادرجي ، ص ٤٣.

لجعفر ابو التمن ووزارة الاشغال العامة لكامل الجادرجي. بيد انها شعروا بخيبة أمل كبيرة ازاء الاجراءات القاسية التي اتخذها بكر صدقي ضد خصومه، وكذلك عدم جدية الحكومة في اجراء الاصلاحات التي كانا ياملان احدثها فقدا استقالتهما في التاسع عشر من حزيران إلى حكمت سليمان (١). وبأغتيال بكر صدقي في الحادي عشر من آب ١٩٣٧، على يد الضباط القوميين، استقالت وزارة حكمت سليمان لينتهي بذلك اول انقلاب عسكري شهده العراق (٢).

والواقع كان تأييد جعفر ابو التمن للانقلاب، اثره في دفع الشيخ عبد الكريم الجزائري إلى تأييد الانقلاب وبعث برسالة الى ابو التمن بهذا الشأن ضناً منه ان القائمين عليه سيعملون على تحقيق اصلاحات شاملة (٣)، كذلك لا يستبعد ان يكون استخدام ياسين الهاشمي للقوة العسكرية في اثناء الحركات العشائرية ورفضه وثيقة ميثاق الشعب قد اثر في قرار الجزائري، ويبدو ان الاسباب نفسها قد دفعت الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء إلى التزام الصمت ازاء الانقلاب (٤).

٢- انتفاضة نيسان - مايس ١٩٤١ (حركة مايس) :

لم يتوقف تدخل ضباط الجيش في السياسة ، حيث ضغطوا على الملك غازي لاسناد الوزارة إلى جميل المدفعي فألفها في السابع عشر من آب ١٩٣٧ ، وارتأى المدفعي ان يتسلم ايضاً منصب وزير الدفاع وكالة، وذلك لكي يكسب ولاء وتعاون الكتلة القومية. لكن سياسته التي وصفها بـ(اسدال الستار على الماضي) والقاضية

(١) نزار توفيق سلطان الحسو، الصراع على السلطة في العراق الملكي، مكتبة افاق عربية، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٢٧.

(٢) عبد الرحمن اليزاز، المصدر السابق، ص ١٨٦.

(٣) محمد هادي الاسدي، المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٤) مقابلة اجريت مع الشيخ شريف في مكتبته في النجف بتاريخ (٢١/٢/٢٠٠٩).

على عدم التعرض للمشاركين في انقلاب ١٩٣٦ ، ادت إلى امتعاض العقداء الاربعة، إذ طالبوا بانزال العقوبة بالعناصر التي قامت بالانقلاب (١).

وزاد الامر سوءاً تعيين المدفعي صبيح نجيب وزيراً للدفاع وكان الاخير مناوئاً للعقداء فأعتقدوا ان المدفعي اوعز اليه مسؤولية تصفية معارضي الوزارة من ضباط الجيش لاسيما بعد ان تسلم هؤلاء معلومات عن نية الحكومة احالتهم على التقاعد، ونفي كل من نوري سعيد وطه الهاشمي، الامر الذي دفعهم إلى وضع وحداتهم على اهبة الاستعداد ووجهوا انذاراً إلى المدفعي بوجوب استقالته، فقدم استقالته. وانيطت الوزارة إلى نوري سعيد فشكلها في الخامس والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٣٨ (٢) . فاقدمت على تصفية الخصوم السياسيين لها، ومنهم حكمت سليمان وستة من المشاركين في انقلاب ١٩٣٦ ، إذ قدمتهم إلى المحاكمة في اذار ١٩٣٩ بتهمة التآمر على حياة الملك غازي (٣) . ولأشك ان هذا الاجراء تم لارضاء الضباط القوميين، مما يؤشر حجم التأثير الذي مثله هؤلاء في هذه المرحلة.

اندلعت الحرب العالمية الثانية في ايلول ١٩٣٩، في الوقت الذي كانت فيه وزارة نوري سعيد الرابعة (٦/نيسان/١٩٣٩-١٩/شباط/١٩٤٠) تعاني اوضاع داخلية غير مستقرة بعد مقتل الملك غازي في ليلة ٣-٤ من نيسان ١٩٣٩ بحادث سيارة غامض، اتهمت بريطانيا ونوري سعيد بتدبيره، نظراً لتوجهات الملك القومية ودعمه للقضية الفلسطينية (٤)، فضلاً عن مقتل وزير المالية رستم حيدر في كانون الأول ١٩٤٠ ، واتهام نوري سعيد بمقتله مما اثار انقساماً بين الوزراء، وانتقادات داخل

(١) نزار توفيق الحسو، المصدر السابق، ص ١٢٨.

(٢) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج ٥، ص ٨٦.

(٣) عز الدين المدني، المصدر السابق، ص ٦٦.

(٤) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج ٥، ص ٨٨.

مجلسي النواب والاعيان، فاضطر السعيد تقادياً لتدهور الموقف إلى تقديم استقالته (١).

استمر تدخل الجيش في تشكيل الوزارة، إذ قدمت وزارة نوري السعيد استقالتها بعد خمسة ايام من تشكيلها بسبب رغبة بعض قادة الجيش بوزارة قومية ليست موالية لبريطانيا ، فطلب الوصي عبد الاله من رشيد عالي الكيلاني تشكيل الوزارة في (٣١ / اذار / ١٩٤٠) لاسيما انه يحضى بتأييد العقداء وكبار قادة الجيش (٢).

انتهج رشيد عالي سياسة توفيقية وازن فيها بين المصالح الوطنية والقومية، فأثارت هذه السياسة غضب البريطانيين، لاسيما بعد ان رفض قطع العلاقات مع ايطاليا الفاشية بعد ان قام السعيد بقطعها مع المانيا النازية، فطلب الوصي منه تقديم استقالته فرفض بتأييد من العقداء الاربعة، لكن ترك الوصي بغداد ومغادرته إلى الديوانية ادى إلى استقالة الوزارة (٣).

وفي تلك الاثناء شكل مفتي القدس امين الحسيني اللاجئ في العراق " اللجنة العربية السرية " هدفت إلى تحقيق الوحدة العربية . ولم تكن وزارة طه الهاشمي التي اعقبت وزارة الكيلاني قوية بحيث تستطيع ان تقف امام طلبات الوصي وبريطانيا، إذ طلبت الاخيرة من الوصي السماح بمرور قواتها عبرالعراق واستعمال قواعده، واستدعى ذلك بنظرها اقضاء العقداء المعارضين، وبالفعل طلب الهاشمي من رئيس اركان الجيش في السادس والعشرين من اذار ١٩٤١ نقل العقيدين صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد من بغداد. لكن العقداء اقدموا على السيطرة على بغداد فقدم

(١) منذر جودة مرزه، المصدر السابق، ص ٢٣٣.

(٢) نزار توفيق الحسو، المصدر السابق، ص ١٢٩.

(٣) قيس جواد علي الغريزي، رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية، ، ص ١٤٥-١٤٦.

طه الهاشمي استقالة وزارته ، وعين رشيد عالي رئيساً للوزراء في الثاني عشر من آذار ١٩٤١ ، عندئذ لجأ الوصي إلى السفارة الأمريكية و تم تهريبه إلى البصرة ومنها إلى الاردن (١).

تقرر تشكيل حكومة الدفاع الوطني برئاسة الكيلاني، فعقد مجلس لمناقشة الوضع السائد في العاشر من نيسان ١٩٤١ وقرر مايلي (٢):

١- اقضاء عبد الاله الوصي وتعيين الشريف شرف مكانه وصياً على عرش العراق.

٢- طلب الشريف شرف من الكيلاني تشكيل الوزارة فشكلها في اليوم نفسه. عمدت بريطانيا إلى اتخاذ تدابير لمواجهة الموقف فأرسلت قوات عسكرية إلى العراق وانزلتها في البصرة وطلبت من الحكومة العراقية السماح لها بالمرور، بذريعة المرور إلى فلسطين، على وفق ما جاء في معاهدة ١٩٣٠، قبلت الحكومة العراقية، لكنها رفضت طلباً آخر بالسماح لقوات جديدة بالمرور واشترطت رحيل القوات السابقة تنفيذاً بحسب معاهدة ١٩٣٠ ، وكان لهذا القرار اثر في دفع البريطانيين للمواجهة (٣).

(١) يونس بحري، اسرار ٢ مايس او الحرب العراقية الانكليزية، منشورات دار البيان، بغداد، ١٩٤٨ ، ص ١٣٦-١٣٧.

(٢) عز الدين المدني، المصدر السابق، ص ٦٧.

(٣) للمزيد ينظر: نجم الدين السهروردي، التاريخ لم يبدأ غداً حقائق واسرار عن ثورتي المصدر السابق ، ص ٦٩-٧١.

فاتخذت من وجود حامية عسكرية عراقية في التلال المحيطة بقاعدة " سن الذبان " الحبانية ذريعة لفتح النار على الحامية العراقية التي ردت على النار بالمثل ليكون سبباً في الحرب العراقية البريطانية ليلة (١/٢ / مايس / ١٩٤١)^(١).

عد الشعب العراقي الحرب البريطانية على العراق محاولة للقضاء على حركة مايس التحررية، وكانت النجف من المدن التي شهدت تظاهرات واسعة مؤيدة للجيش العراقي. وقد عملت المؤسسة الدينية في النجف على استنهاض الهمم لمساندة الجيش فاصدر المرجع الاعلى السيد ابو الحسن الاصفهاني فتوى جاء فيها " ان الواجب الديني يقضي على كل مسلم يحفظ بيضة الإسلام وبلاد السلام بقدر استطاعته وهذه البلاد العراقية المشتملة على مشاهد الائمة ومعاهد الدين يجب علينا جميعاً محافظتها من تسلط الكافر، والمدافعة عن نواميسها الدينية، فالى هذا احثكم وادعوكم، وفقنا الله واياكم لخدمة الإسلام والمسلمين ان شاء الله تعالى " (٢).

واصدر الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء فتوى ومما جاء فيها " تعلمون ان العراق اليوم هو قاعدة الدين، وعاصمة العرب والمسلمين ومقل البلاد العربية، ومعقد امالها، ولما احس رجالات العراق وساسته المخلصون بان كرامته اصبحت على خطر، وان صيانته من استيلاء الاجانب على مقدراته تحتاج إلى وثبة جبارة، وصلابة في مجابهة النازلة غير العادلة والقضية الجائرة، لذلك نهضوا هذه النهضة التي يحفزها الحزم ... " (٣).

(١) للمزيد ينظر: عبد الرزاق الحسني، الاسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحررية،

طه ، دار الابجدية، بيروت، ص ٢٣١-٣٠٥.

(٢) ينظر الملحق رقم (٣).

(٣) نقلاً عن عبد الرزاق الحسني، الاسرار الخفية، ص ٢٤٥.

وقد عد الشيخ محمد الحسين انتفاضة الجيش يوم الوحدة العربية المنشودة ودعا العرب في كل مكان إلى مساعدة العراق العربي النائر الحر واعتبر هذه المساعدة للدين والنفس وحفظ الكيان (١).

بينما اصدر الشيخ عبد الكريم الجزائري فتوى مما جاء فيها " السلام عليكم جميعاً: لا يخافكم ما قام به فخامة رئيس الوزراء وابناء الجيش العراقي الباسل في الحال الحاضر من نهضة مباركة لحفظ استقلال العراق البلاد الإسلامية، وقطع تصرف الاجانب فيها، فيما اعهد فيكم يامعشر العراقيين من الشمم والحمية والغيرة الإسلامية ولكم السابقة في تشكيل هذه الحكومة الإسلامية ... " (٢).

كذلك اصدر العديد من العلماء في النجف وكرلاء وكرلاء فتاوى مؤيدة للجيش وتحث الشعب على مؤازرته منهم الشيخ عبد الحسين نجل الشيخ محمد تقي الشيرازي والشيخ محمد الخطيب في كركلاء والعلامة السيد عبد الحسين الطباطبائي ، والسيد حسين الطباطبائي القمي والسيد هبة الدين الشهرستاني وآخرون (٣) .

فضلاً عن ذلك قام السيد ابو الحسن الاصفهاني والشيخ عبد الكريم الجزائري مع اثني عشر الف من طلبة الحوزات العلمية بالمسير مشياً على الاقدام من النجف إلى جامع الكوفة، إذ اعتكفوا هناك وصاموا ثلاثة ايام يبتهلون إلى الله تعالى ان ينصر الجيش العراقي (٤).

(١) قيس جواد الغريزي، دور النجف في انتفاضة العراق عام ١٩٤١، دراسات نجفية

((مجلة)) مركز الدراسات ، جامعة الكوفة، العدد ٥، ٢٠٠٦، ص ٤٣.

(٢) ينظر: الملحق رقم (٤).

(٣) المواسم ، ((مجلة)) ، العددان (٥٧- ٥٨) ، هولندا ، ص ٢٨٧-٣٩٣ .

(٤) قيس جواد الغريزي ، دور النجف، ص ٤٤ .

ورفض الشيخ كاشف الغطاء تسلم مبلغ كبير من المال بعثه اليه الوصي ليدعم موقفه، فاوصى الشيخ ان تدفع إلى الحكومة العراقية (١). وتثميناً لجهود الشيخ ولما لفتواه من اثر باهر، فضلا عما يقوم به من ارشادات ونصائح تلهب النفوس وتثير الحماس الوطني، فقد ثمن رشيد عالي الكيلاني هذه الجهود المساندة للحركة وكتب اليه يشكره فيه ويبيدي له امتنانه العظيم (٢).

مما سبق نجد ان المؤسسة الدينية بجميع اقطابها قد ساندوا حركة مايس ولم يفصلوا بين مسألة الحرب البريطانية على العراق كشأن ديني يستلزم اصدار فتاوى للتصدي له وبين دعم حكومة الدفاع الوطني ويجانب محمد رضا القاموسي الصواب حينما يعد فتوى السيد ابو الحسن جاءت ضد الاحتلال البريطاني وليس دعم لحكومة قومية بذريعة عدم احتوا الفتوى عن اشارة للحكومة (٣) . والواقع ان مسيرة الجيش وحدها تدل على دعمه للجيش ومن ثم الحكومة ناهيك عن كونه المرجع الاعلى لذا من الطبيعي ان تكون فتاواه عامة.

ومن جانب آخر نجد ان المؤسسة الدينية وجدت في تصدي الحكومة لبريطانيا محاولة صادقة لانهاء التبعية العراقية لبريطانيا وهو امر كانت المؤسسة الدينية من اوائل الذين طالبوا به، لهذا نظرت إلى الحركة بوصفها حركة اصلاحية ستعمل على ازالة كل مخلفات السياسات البريطانية الاستعمارية في العراق ، لذا نراها لاتلتفت إلى ما جرى في قمع الحركات العشائرية. وهذا يدل على انها لم تزل مستمرة بنهجها القاضي بأن قيام دولة وطنية في العراق لن يتحقق باستمرار التبعية العراقية لبريطانيا ،على الرغم من الضغوط القاسية التي مورست ضدها .

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٤

(٢) عن الرسالة ينظر ، الملحق رقم (٥) .

(٣) محمد رضا القاموسي، في الادب النجفي، قضايا ورجال، ط١، المكتبة العصرية ، بغداد، ٢٠٠٤ ، ص ٢٩٤.

رابعاً موقفها من الافكار السياسية الحديثة:

١- الفكر القومي^(١) :

تؤشر مساندة التيار الاصلاحي في المؤسسة الدينية للحركة الاستقلالية أبان مرحلة الحكم البريطاني المباشر للعراق (١٩١٨-١٩٢١) عدم تعارض الاصلاحي السياسي الذي تبناه هذا التيار وفكرة القومية العربية التي حفلت بها برامج الجمعيات العراقية (النهضة الإسلامية، والوطنية الإسلامية، وحرس الاستقلال) وفي هذا الصدد - نتفق مع ما ذكره وميض جمال - من ان القوميين العرب^(٢) كانوا حرصين على خير الإسلام كمجموع ، وعلى تحرير العرب و المسلمين من سيطرة الاستعمار، وان نمط من هذا الفكر كان من شأنه ان يخاطب عقول علماء الشيعة الذين كانوا قد تأثروا ودعموا دعوة جمال الدين الافغاني إلى وحدة سنية - شيعية^(٣). وبعد تأسيس الدولة العراقية حاول الملك فيصل الأول وجهاز الدولة الاداري وجله من الضباط الشريفيين من ذوي النزعة القومية . بناء نظام تعليمي على أسس قومية . فأنيطت بساطع الحصري الذي عين مديراً عاماً في وزارة المعارف مسؤولية

(١) القومية Nationalism ، في العربية اصلها من القوم، وفي الانكليزية Nation (الامة) وتعني باللاتينية (بولد) ويتفق الباحثون على انها مجموعة الخصائص المشتركة التي توحد بين اعضاء الجماعة من جهة ، وتميزها عن غيرها من جهة اخرى، وهذه الخصائص : وحدة الاصل والتقاليد، واللغة، والقيم المشتركة ووحدة الاقليم. للمزيد ينظر: علي عباس مراد وعامر حسن فياض، الظاهرة القومية (مدخل إلى الفكر القومي العربي)، جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٨، ص ٥٠-١٢٠.

(٢) على الأرجح ان يمثل هؤلاء ما نادى به عبد الرحمن الكواكبي ربط الفكرة القومية بالفكرة الدينية. للمزيد ينظر: عبد الزهرة مكطوف الجوراني، الفكر السياسي في المشرق العربي، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠١ ، ص ١٥٤-١٥٥.

(٣) وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠ ... ، ص ٧٥.

ذلك. لكن تشدد الحصري في ترسيخ نظام تعليمي قومي علماني (٤) قائم على الاحتواء التام للهويات الجزئية في الهوية القومية، قد اضر بمساعيه كثيراً، لهذا تم نقله من منصبه عام ١٩٢٧ الى مديرية الآثار .

شهدت مرحلة الثلاثينيات تنامي التيار القومي في العراق، وقد حضى الفكر القومي باهتمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، وقبل الحديث عنه نجد من المفيد التعرف عن موقفه من ابرز الجمعيات القومية العلنية التي ظهرت في هذه الفترة. واول هذه الجمعيات " الجوال " التي تأسست في عام ١٩٣٤ وضمت العديد من القوميين (٥) ، وكانت ذات صفة عسكرية تهدف إلى تطوير الشعور القومي العربي، ولأجل ذلك اصدرت نشرة قومية باسم (المنهج القومي العربي) اكدت فيه ان العرب امة واحدة وان القومية العربية تحتم الوحدة الشاملة (٦).

ويبدو أن نجاح جمعية الجوال دفع القوميين إلى توسيع نشاطهم، فأسسوا منتديات ثقافية ابرزها نادي المثني بن حارث الشيباني الذي تأسس في بغداد في نيسان ١٩٣٥ (٧) وعلى أثر ذلك اندمجت جمعية الجوال في النادي نظراً لتشابه اهدافها.

(٤) الاتجاه القومي العلماني: مثله نجيب عازوري (١٨٨١-١٩١٦) ودعا إلى استقلال

العرب على وفق وحدة قومية تتجاوز الاطار الديني والخلافات الطائفية : عبد الزهرة مكطوف الجوراني، الفكر السياسي في المشرق العربي، ص ١١١-١٤٤.

(٥) ضم رئيس الجمعية خالد الهاشمي ومتي عقراوي ودرويش المقدادي وتوفيق منير وعبد الحميد كاظم وغيرهم . للمزيد ينظر: علي كاشف الغطاء، سعد صالح في مواقفه الوطنية، مطبعة الراية ، بغداد، ١٩٨٩، ص ٩٤-٩٥.

(٦) المصدر نفسه، ص ٩٥.

(٧) رأس النادي صائب شوكت، محمد مهدي كبه نائباً له، وابرز اعضائه الاخرين محمد صديق شنشل، وميؤ عمر نظمي وآخرون، التطور السياسي المعاصر في العراق، جامعة بغداد، بغداد، د.ت، ص ٧٠ .

وبحسب نائب رئيس النادي محمد مهدي كبه جاء تأسيس النادي كرد فعل لتنامي الافكار اليسارية (الاشتراكية والشيوعية) في الثلاثينيات (٨). وتلخصت اهداف النادي في العمل على نشر واحياء التقاليد القومية وايقاظ الشعور القومي في نفوس الشعب العراقي، وكانت باكورة اعماله مطالبة امانة العاصمة بابدال اسماء الفنادق والمحلات العامة بأسماء عربية، وإقامة سلسلة من المحاضرات لتوضيح ابعاد الحركة القومية (٩)، وشارك اعضاءه في " جمعية الدفاع عن فلسطين " التي شكلها طه الهاشمي ووضعت بنيته تحت تصرف الجمعية. واخذ الدفاع عن القضية الفلسطينية ومقاومة التغلغل الصهيوني في العراق حيزاً كبيراً من نشاطات النادي (١٠).

ودعم الشيخ محمد الحسين جهود النادي القومية ودفاعه عن فلسطين، واستجاب سريعاً لطلب محمد مهدي كبه - أبان زيارته على رأس وفد كبير من اعضاء جمعيتي الدفاع عن فلسطين ونادي المثلى للنجف - في تحرير فتوى تدعم القضية الفلسطينية (١١). وكانت فتوى مطولة في تأكيد حرصه على هذه القضية التي دعمها بشدة ابان المؤتمر الإسلامي العام المنعقد في القدس عام ١٩٣٠ برعاية مفتي القدس امين الحسيني وحضره اكثر من خمسمائة شخصية دينية، من مختلف انحاء العالم الاسلامي بهدف نصره القضايا الاسلامية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، وطالب فيه الشيخ بتحويل القبة مؤقتاً إلى القدس لشحن الهمم (١٢)، ومما

(٨) محمد مهدي كبه، مذكراتي في صميم الاحداث ١٩١٨-١٩٥٨، ط١، دار الحكمة، بيروت، ١٩٦٥، ص ٥٤-٥٥.

(٩) المصدر نفسه، ص ٥٩.

(١٠) للمزيد ينظر: صادق حسن السوداني، النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤-١٩٥٢، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠، ص ٦٥-١٧٧.

(١١) عدنان عليان، المصدر السابق، ص ٤١٦.

(١٢) عدنان عليان، المصدر السابق، ص ٤٦٦.

جاء في الفتوى (١٣) " فيا ايها العرب فيا ايها المسلمون ... بل ايها البشر ويا ايها الناس، اصبح الجهاد في سبيل فلسطين واجباً على كل انسان لا على العرب والمسلمين فقط ... والخطوة العملية في ذلك هي ان من يستطيع اللجوء بمجاهدي فلسطين بنفسه فليتحقق بهم، واني ضمير انه كالمجاهدين مع النبي ﷺ في (بدر) فان المقام اجلى واعلى من ذلك المقام، مقام شرف وغيره وحسن وشعور ومن لم يتسارع اللجوء بنفسه فليمدحهم بماله ... ويشهد الله لولا اني قد تجاوزت العقد السادس من العمر مع تزاحم انواع العلل والاسقام ... لكننت اول من يلبي هذه الدعوة ... " .

تحمل هذه الفتوى الكثير من المعاني ، فهي لم تكن تقليدية، إذ لم توجه للعرب والمسلمين بل للانسانية ، بمعنى ان الشيخ عدها قضية عدالة عالمية تتجاوز المحيط العربي والإسلامي، فضلاً عن ايمانه العميق بها لدرجة وصفها بمنزلة معركة بدر " واجر المشاركة فيها يزيد عن الاخيرة، ويبدو ان المقاربة بين المعركتين - ان جاز التعبير - جاء للتذكير بان " بدر " كانت مصيرية للمسلمين وان فلسطين كذلك.

ولم يكتف الشيخ محمد حسين بالفتوى اذ دعا في آيار - مايس ١٩٣٣ وفداً عربياً لزيارة النجف مكون من: محمد الحسيني ومحمد علي علوبه، ومحمد اسحاق ومحبي الدين الحسيني ، وقد خرجت النجف بمختلف طبقاتها للترحيب بقدومه والقي الشيخ كلمة مهمة تناولت ابعاد القضية الفلسطينية ودعا الى نصرتها.

وخلال اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ كان لمؤسسة الدينية وفي مقدمتها الشيخ محمد الحسين موقف هام منها ، ظهر في عقد اجتماع يوم ١٦ تموز ١٩٣٧ حيث القي الشيخ كلمة مهمة دعا فيها العالم العرب والمسلمين لنصرة الثورة ، فضلاً عن ذلك ارسلت المرجعيات الدينية في النجف برقيات الاحتجاج والاستنكار الى

(١٣) نقلاً عن : محمد عبد الجليل، المرجعية الشيعية والقضية الفلسطينية، ط١، مؤسسة

الفكر الاسلامي، امستردام، ٢٠٠٢، ص ٨٦-٨٨.

الامير عبد الله بن الحسين امير الاردن والى عصبة الامم تشجب جرائم البريطانيين و الصهاينة في فلسطين(١) .

وكان تبني القوميين العراقيين لقومية مقترنة بالدين وليست علمانية ، ما يفسر سعيهم لاستصدار فتاوى شرعية من المرجعيات الدينية. ويدخل جزء كبير من هذا التوجه يدخل في اطار التصدي للافكار اليسارية ذات الاساس الفكري المادي، قديكون احد الاسباب قيام الشيخ محمد الحسين إلى بمساندتهم ؛ ولايعني ذلك ان دعوته إلى الوحدة العربية جاءت بتأثير من هؤلاء، فالشيخ دعا منذ عام ١٩٣١ في خطبته في مسجد الكوفة إلى الوحدة العربية والتي يرى انها لا تحقق الا بقيامها على دعامتين رئيسيتين فاذا تحققتا اصبحت الامة قوية حصينة تضاهي جميع الامم القوية وتحل جميع مشاكلها والدعامتان هما " الاتحاد والاقتصاد " اذ يقول " فاذا اتحدتم سعدتم واذا اقتصدتم سعدتم واذا اتفقتم وفقتم واذا اختلفتم تلتفتتم"(١٤).

والتفت الشيخ إلى مسألة مهمة من شأنها ان تسهم في اتحاد العرب الا وهي التقريب بين المذاهب لما لها من اثر في نبذ التعصب الطائفي فكان من اوائل المرجعيات الدينية الداعية لها سوى في المؤتمر الإسلامي عام ١٩٣٠ او السنوات اللاحقة (١٥).

وقد تبدو دعوة الشيخ إلى الوحدة العربية تعارضاً مع كونه مرجعاً دينياً من المفترض ان مبدأ وحدة الامة الإسلامية منهجاً له . والواقع ان الشيخ كان معترراً بعروبه، ولم يكن يرى ان هنالك تضارب بين القومية العربية والإسلام ، فهي

(١٤) للمزيد ينظر : عباس عطية جبار ، العراق والقضية الفلسطينية ١٩٣٢-١٩٤١ ، ط١، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ١٩٨٣، ص ٥٠٣-٥١٤ .

نقلاً عن: عدي حاتم المفرجي، النجف الاشرف وحركة التيار الاصلاحي، ص ٣٠٣-٣٠٤.

(١٥) عن جهود الشيخ في التقريب بين المذاهب الاسلامية ينظر: مجموعة باحثين، الحوزة العلمية العراقية والتقريب، ط١، فجر الإسلام، قم ، ٢٠٠٢، ص ٢١١-٢٣٩.

مرتبطة بالاسلام، لان رفعة العرب ومجدهم ووحدتهم قد تحققت بالاسلام الذي رسخ المزايا التي اختص بها العرب قبل الإسلام، مثل الاباء وعزة النفس والشهامة، وان الإسلام قد زاد هذه السجايا العربية رسوخاً^(١٦).

وبتصاعد المد القومي في اواخر الثلاثينات، وجد القوميون انهم بحاجة إلى دعم مرجعية الشيخ محمد الحسين فطلبوا منه كتابة كتاب عن القومية العربية، وقد استجاب لهم فأصدر في عام ١٩٣٨ كتابه الموسوم ((الميثاق العربي الوطني))^(١٧). وبعرض الكتاب رؤية الشيخ بشأن الوحدة العربية، والقائمة على المؤامة بين الروح العربية الاصلية التي تتوافق وروح العصر والتمسك بالمبادئ الاسلامية، بعدها السبيل لنهضة عربية تقود إلى الوحدة. فنجده يخاطب العربي بقوله " اتدري ايها العربي لماذا ارتقى اولئك [مشيدوا الحضارة العربية الاسلامية] وسقط هؤلاء [العرب وقتئذ] اتدري ما السبب الذي سعد به اباؤنا ونحن هبطنا؟ ان العرب الاوائل ارتقوا بروح الإسلام وتعاليمه، فقد انصهر اولئك الرجال في بوتقة التصفية والتهذيب حتى صارت اجسادهم ارواحاً فابتعدوا عن الصغائر والتوافه ونهضوا شهامة ونبلاً وفضلاً وعقلاً ، اما هبوط الآخرين لانهم صيروا ارواحهم اجساماً فهبطوا لتمسكهم بالشهوات والصغائر وتمخضوا جهلاً وذلاً " ^(١٨).

ويدعو العربي إلى التحلي بمكارم الاخلاق الاصلية في التراث العربي، وعدم التشبه بالاوربين من قبيل احتساء الخمر وغيرها من الموبقات ^(١٩)، مقابل الاستفادة من العلوم الحديثة والتوسع فيها بجد ونشاط وعمل متواصل لفتح ابواب الابداع

(١٦) حيدر نزار عطية، المصدر السابق، ص ١٦٢.

(١٧) محمد الحسين آل كاشف الغطاء، الميثاق العربي القومي، تعليق عبد الغني الخضري، ط ١، مطبعة الغري، النجف، ١٩٣٨، ص ٤٠.

(١٨) محمد الحسين آل كاشف الغطاء، الميثاق العربي القومي، ص ٥٢.

(١٩) المصدر نفسه ، ص ٥٦.

والاقتراع والتأليف والتصنيف والترجمة، ومن أجل تحقيق ذلك عليه ان يتعلم وان يتقن نفسه (٢٠) .

ويبدو ان الشيخ محمد الحسين كان يبغى من ذكره مساوئ معاقرة الخمور انتقاد الدولة العراقية التي تبيح فتح محلات بيع المشروبات الكحولية وفتح الملاهي. وهذا الرأي يتوافق وموقفه الرافض لعلمنة المجتمع، بوصفه يتناقض والشرعية الإسلامية من جهة ، وبعده اداة يستغلها الاستعمار للسيطرة على الشعوب من جهة اخرى (٢١).

ودعا الشيخ إلى الاهتمام باللغة العربية بعدها معياراً للانتماء إلى العروبة والحفاظ عليها، وحث عرب المهجر إلى الحفاظ عليها لدرجة وصف التخلي عنها بمثابة الخيانة لله تعالى والدين والوطن (٢٢) . الامر الذي يدفعنا إلى القول ان الشيخ كان يتفق مع بعض اساس النظرية القومية الالمانية التي عدت اللغة والثقافة الاساس الاول للامة (٢٣). ولكنه يختلف عنهم برفضه التمايز على اساس الاعراق والاجناس .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

(٢١) عن موقف الشيخ من العلمانية . ينظر: نورة كطاف هيدان ، الفكر السياسي للشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٨، ص ١٣١-١٤٣ ..

(٢٢) محمد الحسين آل كاشف الغطاء، الميثاق العربي، ص ٥٧ .

(٢٣) تعود جذور النظرية حول القومية إلى بدايات القرن التاسع عشر، اذ ظهرت في المانيا فكرة تأسيس دولة قومية مستقلة للالمان، استناداً إلى الرابطة اللغوية وكان الفيلسوف الالمانى هررد Herder (١٧٤٢-١٨٠٣) في طليعة من نادى بها. وقد وجهت انتقادات كثيرة لها ويصنف ساطع الحصري هذه الانتقادات إلى الانتقادات المستندة على الوقائع التاريخية وتتمثل بوجود دول مثل (سويسرا والولايات المتحدة) تجمع اناساً

بناء على ما سبق نجد ان اختيار الشيخ محمد الحسين لعنوان كتابه " الميثاق العربي الوطني " لم يقصد منه الدعوة للوحدة العربية فقط ، بل كان رسالة غير مباشرة إلى المثقفين والحكومات العراقية لاجراء اصلاحات اجتماعية واقتصادية تخدم الشعب العراقي والامة العربية.

اخيراً يمكن القول ان المؤسسة الدينية في النجف لم تكن متحفظة على الفكر القومي اذا راعى الدين وعدم توظيفه لصالح المصالح الفئوية والحزبية، وما الفتاوى التي اصدرها مراجع التقليد في النجف ابان حركة مايس ١٩٤١ ، الا تعبير عن عدم الاعتراض على مبدأ القومية العربية سيما وان هدفها كان التخلص من التبعية لبريطانيا وحدثت اصلاحات في المجتمع العراقي كما سبق .

٢- الفكر الليبرالي:

مثلت الليبرالية Liberalism ^(٢٤) تطوراً مهماً في تاريخ الفكر السياسي العالمي، وارتكزت على مبادئ الاول الليبرالية السياسية او الديمقراطية ^(٢٥) ، والثاني

من مختلف اللغات والثقافات ووجود دول تفككت بالرغم من وجود لغة مشتركة. للمزيد ينظر: ابو خلدون، ساطع الحصري، ما هي القومية، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٥، ص ٦٢.

^(٢٤) الليبرالية : كلمة مشتقة من كلمة ليبر Liber وتعني في اللاتينية الحر، وقد نشأت في اوربا وسط التغييرات الاجتماعية التي شهدتها منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي، وهي لم تتبلور كنظرية سياسية واجتماعية واقتصادية على يد مفكر واحد، بل اسهم عدة مفكرين في اعطائها شكلها الاساسي وطابعها المميز ومنهم : جون لوك (١٦٣٢-١٧٠٤) وجان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨) وجون ستوارت (١٨٠٦-١٨٧٣) وان كل

الليبرالية الفكرية وتشمل الفردية والحرية ، اذ ترى الليبرالية ان الفرد هو المعبر الحقيقي عن الإنسان وحوله تدور فلسفة الحياة برمتها، وتتبع هذه القيم التي تحدد الفكر والسلوك معاً، فالإنسان يخرج إلى الحياة فرداً حراً له الحق في الحياة والحرية وحق الفكر والمعتقد (٢٦) . وحرية العمل والتجارة من دون تدخل

الدولة وهو يعرف " بالليبرالية الاقتصادية " (٢٧).

واحد من هؤلاء اسهم اسهاماً بارزاً في اعطائها كثيراً من ملامحها وخصائصها. للمزيد ينظر: اكرام بدر الدين، الديمقراطية الليبرالية ونماذجها التطبيقية، دار الجوهرة ، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٠-٦٠.

(٢٥) الديمقراطية democracy : مصطلح مشتق من الكلمة اليونانية Demos وتعني الشعب (racy) بمعنى حكومة وقد مارس اليونانيون الديمقراطية على وفق منظورهم القاضي بحكم الاحرار والنبلاء، بينما اخذت في العصر الحديث معنى حكم الشعب وحكم الاكثرية المعبر عن ارادة الشعب باختيار حكومته عن طريق الانتخابات. للمزيد ينظر: لسلي بيسون ، الحضارة الديمقراطية، تعريف فؤاد مويساني، بيروت ، د.ت، ص ٢٠-٢١.

(٢٦) للمزيد ينظر: عامر حسن فياض ، جذور الفكر الديمقراطي في العراق الحديث ١٩١٤-١٩٣٩ ، بغداد، ٢٠٠٢، ص ١٨-٥٠.

(٢٧) الليبرالية الاقتصادية: وهي وثيقة الصلة بالليبرالية السياسية، ويعتقد الليبراليون ان الحكومة التي تحكم بالحد الادنى يكون حكمها هو الافضل، ويرون ان الاقتصاد ينظم نفسه بنفسه اذا ما ترك يعمل بمفرده حراً. وابرز النظم الاقتصادية الليبرالية هو نظام " الرأسمالية " التي رتب افكاره عالم الاقتصاد الاسكتلندي ادم سميث في كتابه (ثروة الامم) الذي اورد فيه العبارة الشهيرة " دعه يعمل دعه يحيى " وبحسب هذا النظام سوق العرض والطلب يتحكم بالاقتصاد دون اي تقييد حكومي: للمزيد ينظر: اكرام بدر الدين، المصدر السابق، ص ٧١-٧٣.

وقد عكس تأصيل التيار الاصلاحي في المؤسسة الدينية الشرعي للنظام الدستوري تأثر هذا التيار بالفكر الليبرالي لاسيما الليبرالية السياسية - كما سبق - واثّر هذا التأثير فضلاً عن الثورة الاتحادية وإعادة العمل بالدستور العثماني في مطالب الحركة الوطنية الاستقلالية في الاستقلال التام وإقامة نظام دستوري برلماني، مما يعني ان العراق سياسياً كان مؤهلاً لتبني نظام ديمقراطي.

وبعد تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ ، كان من المفترض ان يؤسس في العراق نظاماً سياسياً يتبنى الليبرالية السياسية، سيما وان خطاب التتويج للملك فيصل الاول قد اشار بوضوح إلى ذلك، اذ جاء فيه " لتعلم الامة ان هو الذي سيضع بمشورتي دستور استقلالها على قواعد الحكومات السياسية الديمقراطية.." (٢٨) بيد ان القانون الاساسي العراقي وضع معوقات عدة في سبيل قيام نظام يفصل بين السلطات الثلاث على وفق ما هو موجود في الدول الليبرالية وفي مقدمتها بريطانيا، وعلى الأرجح ان ذلك كان متعمداً. ويبدو ان البريطانيين قد برروا ذلك بعدم توفر الارضية الاجتماعية والاقتصادية وهو ما نجد صداه في مذكرة ليوبيل مفتش المعارف العام في العراق إلى الديوان الملكي والمؤرخة بتاريخ الحادي من كانون الثاني ١٩٢٤ ومما جاء فيها " ان العراق المعاصر كان يواجه امرين رئيسيين فهو بلد متخلف اقتصادياً واجتماعياً ولكن فيه من جهة اخرى حكومة عصرية نيابية " (٢٩).

ومما لاشك فيه ان ضعف البرجوازية العراقية ممثلة بالفئة التجارية ونظيرتها الصناعية والفئة المثقفة - لاسباب سبق ذكرها - قد مكن بريطانيا والنخبة السياسية في عدم إقامة ديمقراطية حقيقية ستضر بمصالحها - لانها ستعبر عن ارادة الشعب

(٢٨) نقلاً عن : عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج ١، ص ٦٨.

(٢٩) نقلاً عن : عامر حسن فياض، جذور الفكر الديمقراطي في العراق الحديث،

وتطلعاته - هذا اذا ما علمنا ان الليبرالية السياسية في الغرب قد اقترنت بوجود برجوازية قوية، اذ شكل وجودها عنصراً لازماً لوجود هذا الفكر واثره في الحياة السياسية . ناهيك عن الاقطاع الذي دعمته بريطانيا واطر قانونياً في الثلاثينيات قد شكل عقبة امام نمو الليبرالية السياسية والفكرية، فمن جهة تحالفه مع النظام السياسي قلص من امكانية اجراء الاصلاحات في المجالات كافة، ومن جهة اخرى عرقل قيام التنمية الاقتصادية الضرورية بقيام دول الليبرالية.

فاقم ذلك افتقار العراق إلى احزاب ذات توجه ليبرالي واضح، المتأني اصلاً من ضعف الحياة الحزبية وهي من المرتكزات المهمة في الانظمة الديمقراطية وهو ما اثر بشكل كبير على قيام نظام ديمقراطي ليبرالي حقيقي في العراق وقتئذ . ومع ذلك لايمكن تجاهل وجود مؤسسات دستورية بحد ذاته وعلى الرغم من علاتها لم تؤثر في رؤية بعض المثقفين والسياسيين بشأن تطوير نظام ديمقراطي ليبرالي في العراق (٣٠) .

ومن جانب آخر ان نجاح الليبرالية السياسية في الدول الحديثة مرتبط بالاعتراف بالفردية والحرية ومن ابرز الاسس التي تحقق ذلك علمانية الدولة والمجتمع وهو ما لم يتحقق في العراق بالرغم من توجه الدولة العلماني، لاسباب تتعلق بطبيعة المجتمع العراقي المحافظ المستند على الموروث الثقافي العربي والإسلامي ، فضلاً عن عدم رغبة الدولة في ذلك. مع ان الدستور قد كفل الحريات العامة .

(٣٠) يُشير حسين جميل ان قادة جماعة الاهالي اتفقوا على ان تكون الدعوة لها تتم بالوسائل الديمقراطية، كما ضمت احدى فقرات منهاج جمعية الاصلاح الشعبي ((فسح المجال لابداء الافكار الحرة، ولكافة الحريات الديمقراطية التقدمية . حسين جميل، الحياة النيابية، ص ٣٥ ؛ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الاحزاب السياسية في العراق ، ص ١٢١.

وبقدر تعلق الامر بعدم تعارض الليبرالية مع الشريعة الاسلامية ، لاسيما في الجانب الفكري، فالاسلام دين جماعي على معنى من المعاني، يمكن القول ان تبني المرجعيات الدينية لفكرة النظام الديمقراطي قد ازدادت بعد قيام الحياة البرلمانية في العراق، وما مطالبته بالاصلاح السياسي الذي يكفل مشاركة ابناء الشعب كافة في السلطة بصورة فاعلة وعادلة الا شكل من اشكال تأثرها الليبرالية السياسية، ذلك ان من شروط قيام نظام ديمقراطي يعكس تأييد الشعب للحكومات ويدخل ضمن أطار الحقوق والحريات السياسية هو حق المواطن في المشاركة في سلطة الدولة بشكل حقيقي. ويدخل ضمن ذلك دعوتها لتشكيل احزاب تعبر عن ارادة الشعب وتحقق العدالة له . وهذا بحد ذاته يتوافق مع مسؤولية الانظمة السياسية الديمقراطية في ان تراعي حقوق ورغبات شعبها بعده احدى الاسس المهمة لاستقرار الدولة.

وثم امر آخر نجد ان الفكر الليبرالي قد اثر فيها وهو موقفها من المرأة حينما طالبت بضرورة تعليمها وتنقيفها، بل وصل الامر - كما سيأتي في الفصل القادم - إلى الدعوة لمشاركتها الفاعلة في الشأن السياسي بدرجة فاقت تعاطي الدولة مع مسألة حقها في التصويت في الانتخابات - وبالطبع - على وفق نظرة توفيقية تراعي الشريعة ومتغيرات العصر.

٣- موقفها من الفكر اليساري (الماركسية إنموذجاً):

تُعد الماركسية Marxism نسبة لكارل ماركس Karl Marx (٣١) من اشهر النظريات الوضعية في تفسير حركة التاريخ، ويعزى لها فضل توجيه الفكر البشري

(٣١) كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣) فيلسوف الماني، من اسرة برجوازية يهودية، درس القانون والتاريخ والفلسفة، تأثر بفلسفة الفيلسوف الالماني هيكل Hegel (١٧٧٠-١٨٣١) المعروفة بـ(المنطق الجديد الهيجلي) القاضية بأن قيام الدولة القوية اعلى درجات تطور المجتمع، والتي قلبها ماركس وجعل الدولة القوية مرحلة ما قبل الشيوعية.

لأهمية العامل الاقتصادي في تطور المجتمعات. وتقوم هذه النظرية على ركنين أساسيين هما (المادية Materialism ، والديالكتيكية Dialectical) ^(٣٢) ولهذا عرفت أيضاً بـ " المادية التاريخية او المادية الديالكتيكية " .

اصدر في العام ١٨٤٨ البيان الشيوعي (Comunist Manifesto) ، دعا فيه عمال العالم للاتحاد واقامة دكتاتورية البروليتارية (الطبقة الكادحة) قام ورفيق عمره انجلس Engels (١٨٢٠-١٨٩٥) بصياغة النظرية الماركسية، ابرز مؤلفاته: كتاب رأس المال . ينظر: هنري لوفاو، كارل ماركس، ترجمة محمد عيتاني، دار صادر للنشر ، بيروت، ١٩٥٩، ص ص ٣-١٠؛ منير البعلبكي، المورد ، ط ٢٠٠٠، ملحق الاعلام ، ص ٥٩.

المادية : يرى ماركس ان المجتمع البشري قائم على بناء اقتصادي اساسي يتمثل ^(٣٢) بـ(القاعدة) ويقصد بها مجموعة العلاقات الانتاجية التي تنظم النشاط الاقتصادي مثل النظم التي تحكم اصحاب رأس المال بالعامل ومالكي الارض بالفلاح. وتقوم عليها = البناء الفرقي مثل السياسة ، لمعتقدات، التقاليد، القوانين، الفلسفة وما اشبه . وان التغيير الذي يطرأ على البناء الفوقي انما هو متأث من تغيير حدث في القاعدة، لانه يستمد جذوره منها. وبما ان التاريخ الانساني يحفل بالتناقض الاجتماعي أي وجود طبقة كادحة مستغلة (بفتح الغين) وطبقة غنية مستغلة (بكسر الغين) وان الاولى تعمل من اجل تحسين وضعها والثانية تحول دون ذلك ، فيحصل دائماً صراع بين الطبقتين حيث تعمل الكادحة على قلب الوضع القائم والغنية على الحفاظ عليه، وعلى وفق ذلك كان التاريخ البشري هو نتاج هذا الصراع بين الطبقات ، وعدّ ماركس كل ما هو غير مادي (غير محسوس) باطلاً ويدخل في ذلك الدين لانه قائم على الغيبيات، لذا نجده يصفه بـ(افيون الشعوب) لانه - حسب رأيه - بمثابة مخدر يضعف من عزيمة الطبقة الكادحة على الثورة ضد مستغليها، واستغلته البرجوازية الشرعنة استغلالها وابقاء الوضع القائم. واما الديالكتيكية (الجدلية) فتقوم على ان تاريخ البشرية يمر بمراحل خمسة متسلسلة هي (المشاعية، البدائية، الرق، الاقطاع، الرأسمالية، الاشتراكية) والاخيرة عرفها ماركس بـ(الاشتراكية العلمية) وتقضي بقيام دولة الطبقة الكادحة التي تقضي على الطبقة الرأسمالية ، ويسودها مبدأ التوزيع العادل للأجور حسب الكفاءة. وان هذه المرحلة

سمحت بنية العراق الاجتماعية والاقتصادية في الربع الأول من القرن العشرين بتسرب الفكر الاشتراكي اليه ، نظراً لطغيان الفقر عند اغلب سكانه، بفعل سوء الادارة العثمانية، واستغلال مالكي الارض للفلاح والذي تعزز في اعقاب الاحتلال البريطاني للعراق. وقد تأثر عدد من مثقفي العراق لاسيما ممن ينتمون لبيئة عمالية او فيها نشاط صناعي-على بساطته انذاك - وغيرهم من ابناء الطبقة الوسطى الدنيا^(٣٣) - بالماركسية، وتعددت الروافد التي مكنتهم من ذلك^(٣٤) .

ستعقبها مرحلة اكثر تقدمية هي الشيوعية Communism تسودها المساواة التامة لان المجتمع الاشتراكي تعود على احترام القواعد الاجتماعية من غير حاجة إلى رادع او عقوبة، وعلى وفق ذلك تنتفي الحاجة إلى الدولة، لانها في الاصل اداة قمع طبقي وفي هذه المرحلة توزع الاجور بحسب الحاجة وليس الكفاءة ؛ لكن هذا الانسجام في المجتمع سيتضاءل بمرور الزمن ويحل محله التناقض فيبدأ الصراع الطبقي من جديد. ولذلك دعا ماركس العمال إلى القيام بثورتهم التي عرفها بـ(الثورة الاجتماعية) بغية الاستحواذ على السلطة واقامة النظام الاشتراكي، بعد ذلك حتمية تاريخية ، بعبارة اخرى نشر الوعي الطبقي (طبقة لذاتها) في صفوف الطبقة الكادحة. للمزيد ينظر: علي الوردي ، لمحات اجتماعية ... ، ج ٥ ، القسم الثاني، ص ٣٧٩-٤٣٩؛ كلاله وكوفالسون، المادية التاريخية، ترجمة الياس شاهين، موسكو، ١٩٦٩.

أغلبهم ابناء صغار التجار والموظفين الصغار وابناء الملاي للمزيد ينظر: حنا بطاطو ، العراق: الكتاب الثاني، ص ٦٩-٧٣.

منها: تأثير الاوساط التركية المهمة بالحركة الاشتراكية على المثقفين العراقيين لاسيما بعد الثورة الدستورية عام ١٩٠٨ . إذ كان من اوائل الكتب التي دخلت إلى العراق منها الاشتراكية، بعنوان " سوسالزم " ترجمة سليمان فيضي وكان حينذاك عضو في مجلس المبعوثان عن البصرة من التركية إلى العربية. كذلك مثلت الصحف والمجلات العربية مثل المقتطف ، والهلال ، والمستقبل، والسياسة ، والمصور، رافداً آخراً للمثقف العراقي، فضلاً عن تواجد بعض العراقيين في اوربا ، لاسيما المانيا امثال توفيق الخالدي، وحسين الرحال وتأثرهم بالاشتراكية عموماً والفكر الماركسي خصوصاً ، وقيامهم بنقل افكارهم إلى الآخرين. للمزيد ينظر: عامر حسن فياض، جذور الفكر

وبرهنت الثورة البلشفية Bolshevik Revolution (٣٥) في روسيا في السابع من تشرين الثاني ١٩١٧ للمتأثرين بالماركسية في العراق امكانية تطبيقها على ارض الواقع، ناهيك عن انها دغدغت مشاعر الكثير من الفقراء الغير راضين عن واقعهم (٣٦)، اصف إلى ذلك ان قيام البلاشفة يكشف اتفاقية " سايكس بيكو " الاستعمارية زاد من تعاطفه للكثير من العراقيين اتجاههم ، بعدهم اعداء للقوى الاستعمارية، لاسيما بريطانيا التي كانت محتلة للعراق، وما المظاهرة التي جرت في النجف تأييداً لهذه الثورة (٣٧)، وقيام احد الكريلايين برفع العلم البلشفي في احد الاسواق الكبيرة في كربلاء، وترديده هتافات مؤيدة لها (٣٨) ، الا مظهر من مظاهر هذا التعاطف.

ويبدو ان ماركسيي العراق قد استفادوا من اطروحات لينين (٣٩) في عدم اثارة مسألة الدين (٤٠) ، فضلاً عن التعامل الواقعي في مسألة تطبيق الاشتراكية التي نادى

الاشتراكي والتقدمي في العراق ١٩٢٠-١٩٣٤، دار ابن رشد للطباعة، بغداد، ١٩٨٠، ط١، ص ٦٣-١٥٨.

(٣٥) وتسمى بأسماء اخرى ايضاً: الثورة الروسية ، الثورة الاشتراكية، الثورة الشيوعية ، ثورة ١٩١٧ ، الثورة البروليتارية ، ثورة اكتوبر، وقد قام بها الحزب البلشفي حيث اطاح بالحكومة المؤقتة التي انبثقت عقب ثورة اذار ١٩١٧ التي انتهت النظام القيصري، واعلن قيام النظام البلشفي الاشتراكي في روسيا . للمزيد ينظر: ليون تروتسكي، تاريخ الثورة الروسية ، ترجمة: اكرم ديري وهيثم الايوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢ ، ط١، جزآن؛ لينين ، مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧٠، ص ٧-٢٠ ؛

V.I.Lenin, Collected works, Progress Pablshishers , Moscow, 1964, Volume, 26, PP.19-246.

(٣٦) عامر حسن فياض، جذور الفكر الاشتراكي ... ، ص ١٧٣.

(٣٧) عامر حسن فياض، جذور الفكر الاشتراكي ... ، ص ١٧٣.

(٣٨) ويذكر ان هذا الشخص وآخرون قاموا بالاستيلاء على سندات الطابو وتوزيعها على المارة . عامر حسن فياض، جذور الفكر الاشتراكي ... ، ص ١١٦.

(٣٩) فلاديمير ايلتش لينين V.I.Lenin ، مفكر ماركسي ورجل دولة روسي ثم سوفيتي، ولد عام ١٨٧٠ ، أسس في عام ١٨٩٨ حزب العمال الاشتراكي الروسي ، قاد الثورة

بها الماركسية ، للترويج للماركسية في عدد من المدن ومنها مدن العتبات المقدسة، وقد تمكنوا من زيادة نشاطهم وبالتالي عدد المؤيدين لها منذ اواخر العشرينيات^(٤٠). مما يعني ان ماركسي العراق قد تبنوا ما يعرف بالماركسية اللينينية، وبالطبع مكنتهم من ذلك معطيات واقع المجتمع العراقي وقتئذ، وابرزها:

١ - الوضع الاقتصادي السيء، والذي تفاقم بعد تأثر العراق بتداعيات الازمة الاقتصادية العالمية في العام ١٩٢٩، والتي في ضوئها اصبح التمايز الطبقي اكثر وضوحاً. وبالتالي أن الفقر والحرمان اينما حل في مجتمع ما ، ستجد الافكار الراديكالية مكاناً فيه، لاسيما ان كان التغيير والانصاف شعارها.

البلشفية في عام ١٩١٧ ، انتخب رئيساً للمكتب السياسي اعلى سلطة في الحزب الشيوعي، وبالتالي اصبح زعيماً للاتحاد السوفيتي ، له اراء في تطبيق الماركسية عرفت ب الماركسية اللينينية، له مؤلفات عدة منها : الاعمال الكاملة، الاستعمار قمة الرأسمالية، الدولة والثورة، توفي في العام ١٩٢٤. ينظر: لينين، مرض اليسارية الطفولي، ص ١٧١.

^(٤٠) وفر تبني لينين بشأن الدين، ما يمكن تسميته: (عقلنة الفكرة التاريخية) والقاضية بضرورة تعامل الماركسيين الحذر مع مسألة الدين في المجتمعات المحافظة دينياً، إذ يقول " يجب ان نكون حريصين للغاية في نضالنا ضد الاوهام الدينية ... ان الحذر الاعمق للوهم الديني هو البؤس والجهل وذلك هو الشر الذي يجب ان نحاربه " للماركسيين بعداً فكرياً للتعامل مع هذه المسألة الحساسة، لذا بياناتهم منذ اواخر العشرينيات تتجاهل هذه المسألة. ينظر: علي الوردي، لمحات اجتماعية ... ، ج ٥، ص ٤١٨-٤١٩.

^(٤١) ينظر : تاريخ انضمام الاعضاء الرئيسيون في الحركة الشيوعية. في : حنا بطاطو، الكتاب الثاني، ص ٦٦-٧٣.

- ٢- نمو الطبقة العمالية في اواخر العشرينيات، ومن الطبيعي ان يكون للنظرية التي نادت بانصافها ونيلها لحقوقها صدى كبيراً فيها (٤٢).
- ٣- مثلت الماركسية للكثيرين حلاً للتطبيق ، وقد تاتي اوكلها سريعاً على وفق سياقات برهنتها التجربة الاشتراكية الناجمة في روسيا.

(٤٢) الجدير بالذكر ان الطبقة العاملة العراقية كانت خلال المدة ١٨٦٩-١٩١٨ في دور التبلور ، حيث لم تكن في العراق مشاريع صناعية كبيرة، بالرغم من تبلور العلائق الرأسمالية ، وخلال الحرب العالمية الاولى كان الاعتماد بشكل كبير على الاجانب والعسكريين البريطانيين لادارة مشاريع سكك الحديد والموانئ، وبعد قيام الدولة العراقية حل العامل العراقي مكان الاجنبي وقامت بعض المشاريع، فضلاً عن تأسيس بعض المعامل الوطنية الصغيرة، ويؤشر الجدول الاتي حجم تركز العمال في المشاريع بين عامي ١٩٢٩-١٩٣٠:

عامل	٩٠٠	= السكك الحديد
عامل	١٢٧٠	البناء
عامل	٢٠٠٠-١٠٠٠	شركة نفط العراق
عامل	١٠٠٠	شركة نفط خانقين
عامل	١٨٠	جمعية زراعة القطن

وبعد اضراب عمال سكك الشالجية في عام ١٩٢٧ ، وتأسيس اول نقابة عمالية في عام ١٩٢٩ ثم المشاركة الواسعة في اضراب ١٩٣١ ضد الرسوم البلدية التي فرضتها الحكومة، بداية نمو الحركة العمالية ودورها النقابي. للمزيد ينظر: سعاد خيرى، من تاريخ الحركة الثورية... ، ص ص ٣٦-٥٨ ؛ كمال مظهر أحمد ، الطبقة العاملة (التكوين وبدايات التحرك) ، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١؛ كاثلين م . لانكي، تضيق العراق، ترجمة: محمد حامد الطائي وخطاب صكر العاني، مطبعة التضامن، بغداد، ١٩٦٣، ص ١٧-٥٦؛ طالب عبد الجبار، ربع قرن من تاريخ الحركة النقابية في العراق، مطبعة النجوم ، بغداد، ١٩٦٠، ص ٩-٦١.

- ٤ - حالة الحقن الشديد عند بعض الشرائح تجاه المؤسسات التقليدية (الدولة، الاقطاع) لاسيما اقرار معاهدة ١٩٣٠ التي ابقت العراق في دائرة النفوذ البريطاني على الضد من رغبة الكثير من العراقيين، واقرار النظام الاقطاعي للاراضي الزراعية رسمياً - كما سبق - حفز العديد من افرادها على تبنيها.
- ٥ - توسع التعليم ، وتعرف الكثيرين من خلاله على مفاهيم جديدة خارج السائد (الدين، التقاليد المتوارثة) الامر الذي انعكس على زيادة الوعي السياسي والنشاط الفكري.
- ٦ - الاحساس بالتهميش السياسي عند البعض ورغبتهم بتغيير واقعهم^(٤٣). بدأت المؤسسة الدينية في النجف الرافضة اصلاً للفكر المادي تنظر الى تسرب هذا الفكر ونموه في المجتمع، والذي يعكسه تأسيس الحزب الشيوعي العراقي في الحادي والثلاثون من اذار ١٩٣٤^(٤٤) ، خطراً يهدد قيم المجتمع العراقي .

(٤٣) ونجد صدى ذلك في شكوى مهدي هاشم وهو من مؤسسي الحزب الشيوعي العراقي حينما يقول ((ليس في كل السلك الدبلوماسي العراقي الا اثنين من الشيعة ... ومن اصل ثمانية من ضباط الاركان الموجودين في الجيش العراقي ليس هنالك الا ثلاثة من عائلات شيعية، في حين ان ٩٠ بالمئة من الجنود هم من ابناء المجتمع الشيعي [كذا])) نقلاً عن : حنا بطاطو، الكتاب الثاني، ص ٧٤.

(٤٤) يؤرخ الشيوعيون العراقيون ولادة حزبهم في هذا التاريخ، حيث أسس ماركسيو العراق جمعية ماركسية باسم (لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار) والتي عرفت ايضاً باسم (الجمعية ضد الاستعمار) برئاسة الماركسي البارز يوسف سلمان يوسف الشهير بـ(فهد) (١٩٠١-١٩٤٩) ، وفي تموز ١٩٣٥ تغير اسم هذه الجمعية إلى الحزب الشيوعي العراقي. للمزيد ينظر: سعاد خيري، من تاريخ الحركة الوطنية ...، ص ٥٥ ؛ حنا بطاطو، الكتاب الثاني ...، ص ٨٣ ؛ سمير عبد الكريم ، اضواء على الحركة الشيوعية في العراق ١٩٣٤-١٩٥٨، دار الموصاد، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٣٠-٣٤.

الاحاطة باسباب تفعيل المؤسسة الدينية لجهودها في تقويض هذا الفكر يتطلب التعرض لمسألة تسرب الفكر الماركسي الى النجف.

أذ حرص شيوعيو بغداد على ارساله الادبيات الاشتراكية والمطبوعات الماركسية المختلفة إلى النجف، بغية نشر الوعي الفكري الذي يتوافق ومبادئهم^(٤٥)، نظراً لاهمية النجف في منطقة الفرات الاوسط، وجنوب العراق، بمعنى ان خلق بؤر ماركسية في هذه المدينة ذات الثقل الديني والفكري سيشجع الآخرين على تجاوز ترددهم تجاه تبني افكار يسارية تتخطى الموروث الثقافي؛ ويبدو انهم تمكنوا من تحقيق نتائج ملموسة في اوائل عام ١٩٣٠، حينما كون بعض النجفيين جماعة يسارية ماركسية اطلقوا عليها اسم (العاصفة الحمراء) عملت على نشر الكراسات الشيوعية القادمة من بغداد في النجف، والتنسيق بين شيوعي النجف وبغداد^(٤٦) . وعلى الأرجح هي من وقفت خلف توزيع بيان اللجنة المركزية للجنة مكافحة الاستعمار في ارجاء النجف في الحادي والعشرين من اذار ١٩٣٥ ، والذي حمل عنوان (ماذا نريد) ، ومما جاء فيه " اننا لم نحمل السلاح ونثور بوجه المستعمرين واتباعهم من اجل اشخاص معدودين فُرضوا علينا فرضاً، غايتهم واحدة وان اختلفوا في طريقه الوصول اليها: الهاشمي، المدفعي، السعيد ... كلهم جاؤوا وجربو الحكم فلم يحدث أي تبديل في حياة الملايين ... " ثم عرض البيان احد عشر طلباً يتوجب على الحكومة العراقية تحقيقها، من ابرزها: جلاء القوات البريطانية من قواعدها العسكرية في العراق ، وتعديل معاهدة عام ١٩٣٠ وجعلها الند بالند، توزيع الاراضي الحكومية على الفلاحين، تحقيق الانتخاب الحر المباشر من دون منتخبين ثانويين^(٤٧). ويبدو ان مطالب بهذه الصورة كانت تتناغم مع ما يؤمن به اصحاب الحس

(٤٥) عزيز علي سبهاهي ، عقود من تاريخ الحزب الشيوعي ، ط ٢ ، ج ٢ ، دار الرواد للطباعة ، بغداد ، ٢٠٠٧ ص ٩٥ .

(٤٦) أسسها كل من علي محمد الشبيبي، وهادي الجبوري، ومرضى فرج الله. عنها ينظر: عزيز سبهاهي ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .

(٤٧) عنه ينظر: سعاد خيرى، من تاريخ الحركة الثورية .. ، ص ٦١-٦٢؛ عبد الستار شنين الجنابي، تاريخ النجف السياسي ... ، ص ١٩٨ .

الوطني، فضلاً عن كونها لم تتعرض لمسألة الدين ودوره في المجتمع، لذا على أقل تقدير انها قد اثرت في الكثيرين، واغلب الظن ان بعضهم قد انضم إلى الحركة الشيوعية على ضوء اطلاعه عليها. كما انها اشعرت السلطات العراقية بخطورة الحزب الشيوعي وافكاره عليها، وما حملة ازالة هذا البيان من اسواق وشوارع النجف، وملاحقة القائمين على نشره الا تعبيراً عن هذه المخاوف (٤٨).

كذلك تُعد مشاركة النجفي الماركسي مهدي هاشم (٤٩) في تأسيس الحزب الشيوعي العراقي، ذا دلالة واضحة. بيد ان المعبر الابرز عن تنامي الفكر الماركسي في النجف، تمثل بتسربه إلى داخل الوسط الديني حينما تبناه عدد من طلبة الحوزات العلمية، وبعضهم قد قطع شوطاً كبيراً في دراساته ومنهم من حصل على اجازة الاجتهاد ، فضلاً عن بعض المنتمين لبيوتات علمية معروفة تصدى رجالاتها للمرجعية العليا؛ وهو ما نجد صدًى في قول الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء "وقد تفشت اوكار الشيوعية حتى دخلت بيوت اهل العلم والزعماء الروحيين" (٥٠) ومن ابرزهم: محمد مهدي الجواهري (٥١)،

(٤٨) عزيز سباهي، المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٠ ؛ سمير عبد الكريم، المصدر السابق، ج ١، ص ٦٣.

(٤٩) مهدي هاشم ، ولد في النجف في العام ١٩٠٨ ، وبعد اكمال دراسته الثانوية عمل معلم في مدرسة ابتدائية ، ثم عين مساعد رئيس محطة في السكك الحديد العراقية ، نشط في الترويج للماركسية منذ العام ١٩٢٧ ، احد مؤسسي " لجنة مكافحة الاستعمار "، في عام ١٩٣٧ جرد من جنسيته العراقية بسبب نشاطه السياسي ونفي إلى فارس وفيها حكم عليه بالاعدام لانضمامه إلى حزب (توده) الشيوعي المحظور في فارس، هاجر إلى موسكو وعمل مديعاً في احدى اذاعاتها. ينظر: حنا بطاطو، الكتاب الثاني، ص ٦٨-٦٩.

(٥٠) محمد الحسين كاشف الغطاء، محاوراة الامام المصلح ... ، ص ٢١.

(٥١) محمد مهدي الجواهري، ولد في النجف عام ١٩٠٠، من اسرة دينية معروفة ابرز رجالاتها الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر (المرجع الاعلى للشيعة الامامية في

ومحمد صالح بحر العلوم^(١)، وحسين محمد الشبيبي^(١) ومحمد حسن الصوري^(٢)،
الصوري^(٢)،

عصره) درس في الحوزات العلمية على يد كبار المشايخ، ثم في المدارس الحكومية، عمل معلماً ، عين في العام ١٩٢٧ أميناً لتشريفات البلاط الملكي، تفرغ منذ العام ١٩٣٠ للعمل الصحفي واصرر صحف (الفرات والانقلاب والرأي العام) ومنها ساند الحزب الشيوعي، يعد من ابرز شعراء العراق، حتى لقب بـ(شاعر العرب الاكبر) له العديد من الكتابات الادبية منها (ديوان شعر ، بريد العودة ، بين الشعور والعواطف ، مكسب الثورة الادبي، ذكرياتي) ساند القضايا الوطنية وله مواقف سياسية اضطرته إلى الهجرة إلى خارج العراق حتى وفاته في (٢٧/تموز/١٩٩٧) دفن في دمشق . للمزيد ينظر:جعفر ال محبوبة،ماضي النجف وحاضرها...،ج٢، ص ١٣٦-١٣٧؛ علي الخاقاني،شعراء الغري، ج١٠، ص ١٣٩ ؛ جعفر الدجيلي ، موسوعة النجف الاشرف (شعراء النجف) القسم الأول ، دار الاضواء ، بيروت، ١٩٩٨، ج٢١، ص ٣٠٥-٣٠٦.

(١) محمد صالح بحر العلوم، ولد في النجف عام ١٩٠٩ ، من اسرة دينية معروفة، درس في الحوزات الدينية، ثم تركها إلى المدارس الحكومية ثم عاد واكمل تعليمه الحوزوي على يد الشيخ محمد رضا المظفر والمرجع محمد الحسين ال كاشف الغطاء الذي اجازه في عام ١٩٣٤ ، لكنه اهتم بالصحافة والشعر حتى لقب - (شاعر الشعب) لمواقفه الوطنية، اصدر جريدة المصباح النجفية، انتقل الى بغداد ، له مؤلفات ادبية عديدة عبر خلالها عن مساندته لمبادئ الحرب الشيوعي، ومنها: رواية العفة، ديوان العواطف ، ديوان اقباس الثورة) توفي في بغداد عام ١٩٩١ . عنه ينظر: علي الخاقاني، شاعر الشعب محمد صلح بحر العلوم ، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٥٨؛ سليفيانيف، النجف مركزاً للعلمانية الراديكالية من كتاب اضواء على قضايا تاريخية عراقية معاصرة ترجمة الدكتور محمود عبد الواحد، مكتب أحمد الدباغ، بغداد، ٢٠٠٦، ص ٨٠-٨١.

(١) حسين محمد الشبيبي، ولد في الكوت عام ١٩٠٢ من اسرة ادبية وعلمية معروفة في النجف، درس في الحوزات ثم اكمل دراسته في ثانوية النجف الفرع العلمي، مارس مهنة التدريس في النجف والعمارة، كان شاعراً واديباً له مؤلفات منها (الاستقلال والسيادة الوطنية، والجبهة الوطنية) انضم إلى الحزب الشيوعي وشارك بقوة في نشاطه السياسي المعارض، حكم عليه بالاعدام ونفذ الحكم في عام ١٩٤٩ في بغداد. عنه ينظر: جعفر ال محبوبة ، ماضي النجف ... ، ج٢، ص ٣٧٦.

(٢) الشيخ محمد حسن الصوري، ولد في النجف من اسرة دينية، درس في الحوزات العلمية على يد كبار اساتذة الحوزة، خالط الادباء والشعراء، وكان عضواً في جمعية الرابطة الادبية، اشتغل في الصحافة واصدر عام ١٩٣٧ مجلة الحضارة (ادبية توقفت عن الصدور عام ١٩٤٩) روج لمبادئ الحزب الشيوعي، رحل إلى بغداد وفيها خلع العمامة وبدأ بمهاجمة الدين ورجال الدين توفي عام ١٩٥٩ . عنه ينظر: محمد باقر أحمد البهادلي، الحياة الفكرية في النجف ، ص ١١٨-١١٩.

وحسين مروة^(١) . وعمل هؤلاء جاهدين على مساندة الحزب الشيوعي العراقي، ونشر مبادئه داخل النجف وخارجها.

ويثار تساؤل ، لماذا تبنت هذه الفئة فكراً - يعد بامتياز - يساوياً راديكالياً؟ نفترض ان هذا التحول المثير للاهتمام والدهشة - في آن واحد - كان جزءاً من صدمة حضارية - فكرية اشترت في توجهات هذه الفئة ، لكن لا بد من وجود محفزات قد أسهمت في تهيأتها للوصول إلى قناعات فكرية مغايرة على واقعها، وهي على الأرجح لاتخرج عن نطاق الاتي:-

ان النجف كانت - ومازالت - اشبه بجامعة مفتوحة ، لذا كانت تردّها وقتئذٍ - كما سبق - العديد من الجرائد والمجلات والكتب الحديثة، وقد تعرف من خلالها الكثير من طلبة الدراسات الدينية على بعض المفاهيم الجديدة ومنها الاشتراكية . وبالرغم من طبيعة هذه الفئة، الا انها في الاعم الاغلب من خلفيات طبقية فقيرة، ناهيك عن كون الحياة المعيشية اثناء الدراسة هي اقرب إلى الكفاف ، وبالتالي فهي ليست بعيدة عن هموم ومشاكل المجتمع، الامر الذي جعلها اكثر ميلاً لتقبل اشتراكية راديكالية ، لاسيما بعد ان اخفق المشروع السياسي للحركة الإسلامية الوطنية بعهد اقطابها بعدم الخوض في الشأن السياسي، مما اصابها بالاحباط وزعزع ثقتها بنجاعة الإسلام السياسي - ان جاز التعبير - في تحقيق النظام العادل ؛ أضف إلى ذلك تبلور نظرتها السلبية تجاه المؤسسة الدينية في ضوء طريقة

(١) حسين مروة: مفكر يساري لبناني، ولد في عام ١٩١٠ في قرية بنت جبيل () قدم إلى النجف في عام ١٩٢٤ للدراسة في حوزاتها وانهى دراسته فيها عام ١٩٣٨ ، نزعت عنه الجنسية العراقية المكتسبة لنشاطه اليساري، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني منذ عام ١٩٦٥، منحته جامعة موسكو الدكتوراه الفخرية، له مؤلفات فكرية عديدة منها: النزعة المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي ، اغتيل في لبنان عام ١٩٨٧ ، للمزيد ينظر : جعفر الدجيلي ، موسوعة النجف الاشرف ، ص ٤٠١ - ٤٠٣ .

تعاملها مع الاموال الشرعية - بعد ان اصبحت توازي ميزانية بعض الدول - بوصفها لاتحقق فائدة ملموسة للفئات المحرومة، وهو ما يمكن ان نلمسه في قصيدة محمد مهدي الجواهري المسماة بـ(الرجعيون) والتي كتبها في اواخر العشرينيات ، ومن ابياتها (١):

الم تر ان الشعب جل حقوقه	هي اليوم للأفراد ممتلكات
مشت كل جارات العراق طموحة	سراعاً، وقامت دونه العقبات
اتجبى ملايين لفرد ، وحوله	الوف عليهم حلت الصدقات
على باب لشيخ المسلمين تكدست	جوع علتهم ذلة وعراء
هم القوم احياء تقول كأنهم	على باب شيخ المسلمين موات
وما الدين الا آله يشهدونها	إلى غرض يقضونه واداة

بعبارة اخرى ، لم تعد هذه الفئة تؤمن بالمفهوم الشائع عن الإسلام في الادبيات الإسلامية، بوصفه ديناً ودولة ، سيما وانها قد تعرضت لتأثير نظرية وضعية مطروحة بقوة في ميدان الفكر العالمي.

مما لاشك فيه ان وصول المد الماركسي إلى الحوزات العلمية دق ناقوس الخطر في المؤسسة الدينية ، بعدّها قاعدتها ورصيدها المستقبلي، مما يشكل تهديداً لوجود هذه المؤسسة واستمراريتها، زد على ذلك ان هذا التطور سيمثل انموذجاً يحتذى به الكثيرون.

كانت مرجعية الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء من أبرز المرجعيات التي انبرت لمواجهة الشيوعية ، ولا يرجع سبب ذلك لقيام لانفراد هذه المرجعية ولسنوات في التصدي بصورة فاعلة للقضايا العامة وحده، انما لكونها اكثر تفهما لطبيعة النظرية الماركسية ايضاً. ودلالات هذا الفهم عديدة منها: طرحها للمعالجات

(١) محمد مهدي الجواهري، ديوان محمد مهدي الجواهري، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢،

الاقتصادية بغية انصاف الفئات الفقيرة وتطوير الاقتصاد - كما سيأتي- ثم تحذيره المتكرر للحكومات العراقية المتعاقبة من العواقب الوخيمة المترتبة على تجاهلها معالجة الاوضاع السيئة للمجتمع على المستويين الاجتماعي والاقتصادي ، إذ يقول " قد تورم الشعب بأجمعه من سوء اعمال المسؤولين بجميع طبقاتهم ، من رأس الوزارة إلى ادنى ادارة، حتى صار كالجرح الذي تقيح ويوشك ان ينفجر " (١) ومن الواضح انه يقصد الثورة.

وبالرغم من ان الشيخ آل كاشف الغطاء لم يكن يؤمن بحتمية الصراع الطبقي ونتيجته (الثورة الاجتماعية) بحسب ما نادى به الماركسية لكنه مما سبق كان يعي جيداً التأثير الكبير للعامل الاقتصادي على البنية الاجتماعية؛ بل ان الذي يطلع على مقالة ((إلى متى السكوت)) (٢) وقدر انه لم يتعرف على شخصية كاتب سطره ، لضنه ثورياً متحمساً او اشتراكياً راديكالياً، لما يحتويه المقال من ادراك عميق لمعاناة الفلاح والعامل وابن الطبقة الوسطى الدنيا.

تؤثر المحاضرات التي القاها الشيخ في مدرسته في اواخر الثلاثينيات، اولى ملامح موقفه منها فيها حذر طلابه من مغبة الركون لنظرية لادينية، وان كان مروجوها في العراق قد بذلوا جهدهم في عدم التعرض لمسألة الدين، لان موقفهم هذا سيتغير في حال عظمت شوكتهم (٣). وعزا سبب نمو الماركسية في المجتمع العراقي

(١) محمد الحسين كاشف الغطاء، محاوره الامام المصلح ... ، ص ٢١ .

(٢) مقال مخطوط بيد الشيخ محمد الحسين محفوظ في مكتبة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في النجف (الملفات الشخصية؛ وقد نشر في مجلة افاق نجفية العدد ٢، ٢٠٠٦ ، ص ٧-١٢).

(٣) مقابلة مع الشيخ شريف نجل الشيخ آل كاشف الغطاء، اجريت في النجف بتاريخ (٢١/ شباط ٢٠٠٩) ؛ العدل الإسلامي ((مجلة)) العدد المزدوج (١-٢) ١٩٤٧ ، ص ص ١٨-١٩ ؛ وبناء على ذلك يجانب حنا بطاطو الصواب، حينما عد تصدي الشيخ للماركسية في العراق، جاء بفعل الجهود التي بذلها السفير البريطاني في =العراق

إلى مقارنة، تقضي بأن الماركسية وليدة المهلكات الثلاثة (الجهل، الفقر، المرض) وان السياسة البريطانية الاستعمارية في العراق قد فاقمت هذه الامراض الاجتماعية، ولهذا يكون البريطانيون سبباً مباشراً في نموها. ذلك ان العراقيين - حسب رأيه - بدأوا يلتمسون كل وسيلة تخلصهم من واقعهم المرير ((كالغريق الذي يتشبث بكل حشيش عسى ينجو به من الهلاك)) (١) . والواقع ان الشيخ آل كاشف الغطاء كان مصيباً بتوصيفه هذا، لان السيطرة البريطانية قد رسخت بقوة التناقض الاجتماعي في العراق . فبوجود طبقة منتفعة منها، مثل الاقطاعيون وكبار التجار والساسة متسلطة ومستغلة للفئات الفقيرة وتمثل اغلبية الشعب، قد وفر للمتأثرين بالماركسية انموذجاً يحاك - نوعاً ما - ما نادى به الاخيرة، من حيث حتمية الصراع الطبقي في ظل التناقض الاجتماعي.

وعد الماركسية خطراً محدقاً بالمجتمعات الإسلامية، وانها جزء من ثالث مرتبص يستهدف قيمها ووجودها، إذ يقول " ان الإسلام عموماً والعرب خصوصاً، لاتزال منذ قرون تنهشها افاعي الاستعمار، وزاد عليها هذا القرن [القرن العشرين] عقارب الصهيونية والمادية ، فاحاطت بها من الخارج الغفارت (٢) ولانها نظرية

جون تروبتيك ابان زيارته له في مكتبته في النجف في (٥/شباط/ ١٩٥٣) لاقناعه بأن الشيوعية تمثل عدواً مشتركاً وهي عدواً للقيم الانسانية وان اجتثاثها يتطلب موقفاً حازماً من المرجعيات الدينية. على اثر توصل الساسة البريطانيون إلى ضرورة استخدام رجال الدين ضد الماركسية بعدّها في الاصل معادية للدين، اصف إلى ذلك ان الشيخ آل كاشف الغطاء - كما سيأتي - قد اصدر فتوى تحرم الماركسية والانتماء اليها قبل زيارة السفير بعدة سنوات، والمطلع على طبيعة ضده الفتاوى يدرك انها تمرر بعد دراسة وافية. ينظر: حنا بطاطو، الكتاب الثاني، ص ٢٦١-٢٦٢.

(١) محمد الحسين كاشف الغطاء، محاوره الامام ... ، ص ٢١.

(٢) محمد حسين كاشف الغطاء، في السياسة والحكمة، جمع وتعليق عبد الحليم كاشف

الغطاء، دار البلاغ ، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٠٦.

تجذرت في نفوس الكثيرين متبنيها، ووضحت لديهم اشبه بعقيدة لايشك بمصادقيتها. رأى ان الوسائل القصرية مثل (الملاحقة، والحبس، والنفي، والاعدام) لا تجدي نفعاً في القضاء عليها، إذ يصفها "هي كحشاش الارض والزرع كلما حصدته تنمو جذوره وترداد مهما تكرر الحصاد - ويضيف - الشيوعية مبدأ ونظام وان كان مبدأ فاسداً ونظاماً معوجاً لايقضي عليه الا المبدأ الصحيح والنظام الصالح ... " (١) .

ولهذا عمد إلى تنفيذ اسسها على وفق رؤيته الإسلامية وتقييمه للوضع العام في العراق، فنجدته يصف قوانين الإسلام التي تنظم شؤون الحياة وتحفظ ايقاعها وتراعي حقوق الانسان بـ(الاشتراكية الصحيحة) التي تقع وسطاً بين افراط الماركسية في انموذجها اشتراكية الطبقة العاملة وتفويض الرأسمالية القاسية. لان الإسلام قد تعامل مع الفرد غنياً كان ام فقيراً من منظور واحد هو العبودية لله تعالى، لهذا صاحب الثروة مؤتمناً عليها، ويوجب عليه ذلك انفاق الفائض منها، على المحتاجين لها. وله حرية اختيار الشخص المحتاج، ولا يجوز اجباره من قبل أي جهة، وبرر ذلك بان المحتاج هنا صار شريكاً في اموال الاغنياء لكن ليس له سلطة الاخذ، والعلة في ذلك ان الشريعة الإسلامية تهدف إلى خلق مجتمع يقدر العمل ولا يركن إلى الكسل؛ وليس كما هو الحال في الاشتراكية الماركسية التي تسلب الثروة من اصحابها، وما جاهدوا في الحصول عليه بجهدهم، فضلاً عن مصادرتها افضل ما انعم الله تعالى على البشرية وهي الحرية، وليس كما يحصل في الرأسمالية التي تسلب العامل حقه وتبخسه ، بالنقيض من الإسلام الذي حث على ايفاء العامل اجره من دون بخس ما يستحقه (٢).

(١) محمد الحسين كاشف الغطاء، محاوراة الامام المصلح ...، ص ٢١.

(٢) ينظر: محمد الحسين كاشف الغطاء، الفردوس الاعلى، جمع وتعليق محمد علي

القاضي، شركة جاب ، تبريز، ١٣٨٦هـ، ط١، ص ١٨٣-١٨٤.

وتأسيساً على ذلك ، انتقد الماركسية بتركيزها على الجانب المادي، على العكس من الإسلام الذي أولى عنايته للجانبين المادي والروحي، لهذا فهو غنياً بالفوائد الاجتماعية وفي مقدمتها التماسك الطبقي، واساسه التكامل بين طبقات المجتمع، وليس الصراع، فالغنية منها تساعد الفقيرة، لان الإسلام نشر في المجتمعات الإسلامية قيم المحبة، والتسامح، والعدالة الاجتماعية (١). وخلاصة طرحه ان المجتمع العراقي غني عن الحاجة لفكر يساري وافد، لانه يملك قيم إسلامية تمثل النموذج الحضاري الامثل لحل مشاكله الاجتماعية والاقتصادية، وان عليه التمسك بها.

من جانب اخر، دعا الحكومات العراقية المتعاقبة إلى رفع الحيف عن كاهل الفئات المحرومة عن طريق معالجة الجوانب التي استغلها الماركسيون في الترويج لأفكارهم، ومن ابرزها: الاقطاع والبطالة والفساد العام والاداري الذي يقول بشأنه "قولوا لهذه الوزارات التي تتعاقب على دست الحكم لا يستغل فراغ نفوذهم السياسي فيتدخلوا في التجارة والاراضي والمضخات وكل وسيلة لجمع الثروة ... وليطهروا البلاد وييسطوا العدل والمساوات في جميع الطبقات ... وبالجملّة اصلحوا انفسكم حتى يصلح شعبكم وتغلبوا عدوكم" (٢) وعليه يبدو أن الشيخ قد صاغ مفهومه عن النظام الصالح على وفق معطيات الواقع العراقي، أي في اطار الدولة العراقية القائمة وليس الدعوة لاقامة نظام سياسي بديل.

والجدير بالذكر ان الشيخ آل كاشف الغطاء قد اقدم بعد سنوات على تحرير فتوى تكفر الشيوعية وتحرم الانتماء اليها (٣) . في مؤشر على نجاح الحزب

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٤.

(٢) محمد الحسين كاشف الغطاء، محاوره الامام المصلح ... ، ص ص ٢٢-٢٣.

(٣) اصدرت الفتوى ونشرت في (٣ جمادي الاول سنة ١٣٦٧ الموافق ١٩٤٨) وقد عدّ الشيخ فيها الشيوعية مبدأً هداماً ومحطاً ومقاوم لكل شريعة ودين واعتبر الركون اليه من اعظم المحرمات واكبرا لكبائر، وحينها ((لا يبقى زعيم ولا غاف ولا دين ولا كرامة)).

الشيوعي العراقي في تأسيس قاعدة متينة له في المجتمع، الامر الذي دفع الشيخ لينهي ترده في استخدامه لاحدى اهم ادواته التأثرية وهي الفتوى - فبحسب نجله الشيخ شريف - ان والده كان يدرك خطور تكفير جزء ن المجتمع، لما قد يترتب على ذلك من تبعات، سيما وان الكثير من المحرومين قد انظموا للحزب الشيوعي بدافع التخلص من واقعهم المرير وليس معاداة للدين، لكن استفادته لوسائل الاقناع كافة ، وتنامي الماركسية المتسارع في المجتمع ، قد الجأ لهذا الخيار ^(١).

بناءً على ما سبق نجد ان تقبل شرائح في المجتمع العراقي للفكر الماركسي اليساري الذي جسده الحزب الشيوعي هو نتيجة للاستياء الشعبي والنخبوي من سياسات الدولة القاصرة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية ، مما يشكل صورة من صور التملل الشعبي و عدم الاستقرار السياسي. وان المؤسسة الدينية قد ادركت ذلك حينما حذرت من الثورة اذا لم تعالج الدولة اخطاها.

بناءً على ما تقدم يبدو جلياً ان الفراغ السياسي الذي خلفه انكفاء مرجعيتي السيد ابو الحسن الاصفهاني والشيخ محمد حسين النائني، قد اسهم في بروز مرجعيات اخرى في مقدمتها مرجعية الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء التي عملت جاهدة على ملء فراغ القيادة الدينية في النجف فكان لها دورها المؤثر في بعض جوانب الحياة السياسية كالحركات العشائرية وموقف واضح وصريح من جوانب اخرى لاسيما تدخل الجيش في السياسة وتداعياته.

من جانب اخر حاولت مرجعية آل كاشف الغطاء ان تتعامل بواقعية مع المتغيرات والافكار السياسية التي عاصرتها الدولة العراقية في الثلاثينيات لكي

نقلاً عن : حيدر نزار عطية، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ... ، ص ٢١٠ ؛ محمد هادي الاجنبي، الشيوعية ثورة وتآمر على العقائد والانظمة الاجتماعية، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٠، ص ٦٣.

^(١) مقابلة مع الشيخ شريف نجل الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، اجريت في مكتبته في النجف بتاريخ (٢١/شباط/٢٠٠٩).

تتجنب الوقوع في الاخطاء السابقة لاقطاب المؤسسة الدينية . فلم تتنازل عن الثوابت كضرورة حصول العراق على سيادته واستقلاله التام، في الوقت نفسه لم تدعُ علناً إلى الاصدام المباشر مع السلطة وحاولت ايجاد مقاربات سياسية لاجل تحقيق الاصلاح السياسي الذي تنتشده .

الخاتمة – أهم الاستنتاجات

- اسهمت متغيرات فكرية وسياسية واجتماعية عدة في تطور الفكر السياسي في المؤسسة الدينية في النجف انعكس على رؤيتها بشأن ضرورة الاصلاح السياسي بما يتوافق ومقتضيات العصر وضرورات المجتمع. وبرز ما وصل اليه هذا الفكر عدّ المجتمع الاساس في اصباغ الشرعية على النظام السياسي ، الامر الذي كان له اثره الكبير في التوجهات الاصلاحية والسياسية لشرح كبيرة في المجتمع العراقي.
- عدت المؤسسة الدينية الهيمنة الأجنبية العامل الرئيس في تقويض بناء الدولة الوطنية. إذ وجدت في السيطرة الاجنبية على العراق مصلحة استعمارية تتقاطع والمصلحة الوطنية ، بوصفها تعمل على بث الفرقة بين افراد الشعب بغية ترسيخ هيمنتها على وفق سياسة فرق تسد، فضلاً عن استنزافها لموارد العراق وامكانياته .
- تمحور مفهوم الدولة الوطنية عند المؤسسة الدينية على السيادة والعدالة بين مواطنيها بعده السبيل لاستقرار الدولة وتنمية مجتمعتها. لذا نجدها لاتطالب بشكل سياسي محدد لحكم العراق من قبيل الحكم الديني او الطائفي او القومي بل ساندت كل القوى الراغبة بالتخلص من الهيمنة البريطانية واقامة دولة دستورية حقيقية في العراق وبالطبع ساهم عدم تبني ابرز اقطابها لولاية الفقيه العامة التي تبيح للفقيه الحكم ، في هذا التوجه.
- على الرغم من ان بريطانيا قد أسست الدولة العراقية ، بيد ان العامل الداخلي المتمثل بتبلور مشروع الدولة العراقية المستقلة والذي توج بقيام ثورة العشرين ، هو من ارغمها على تبني هذا الخيار، وقد اسهمت المؤسسة الدينية في بلورته وانضاجه من خلال تبنيها لفكرة الدستور والاستقلال ، فضلاً عن قيادتها

الفعالية له ، لهذا لم تعارض المؤسسة الدينية قيام الدولة العراقية بل عارضت الاسس البنيوية لها .

- اكدت المؤسسة الدينية على الوحدة الوطنية بوصفها الاساس لخلق هوية وطنية. العنصر الالهم لاستقرار الدول الحديثة إذ ستعمل على تزويد او على الاقل توجيه الهويات الفرعية كالدينية والمذهبية والقومية نحو التناغم في هوية جامعة بما يتوافق وتحقيق المصلحة الوطنية .

- ابعاد اقطاب المؤسسة الدينية من الذين نشطوا في التصدي للمشروع البريطاني في العراق، إلى خارج العراق، واضطراهم إلى التعهد بعدم الخوض في الشأن السياسي اضعف الحركة الوطنية المناهضة لبريطانيا، إذ انه حد من فعالية المؤسسة الدينية في التصدي لانحراف المؤسسات السياسية في العراق وتسييرها على وفق المصلحة البريطانية، فضلاً عن انه حرم الحركة الوطنية من تأثير هذه المؤسسة على شرائح كبيرة يمكن توجيهها نحو دعم مطالب هذه الحركة.

- نجحت بريطانيا في ايجاد اهم عنصر معرقل لقيام دولة وطنية في العراق وهو خلق التمايز السياسي بين شرائح الشعب، وقد هدفت من وراء ذلك ايجاد التفرقة بينها . وادركت المؤسسة الدينية ذلك فعملت جاهدة على حث النخبة السياسية الحاكمة لمراعاة العدالة بين افراد الشعب ونبذ كافة اشكال هذا التمييز بوصف العدالة اساس بناء الدولة الوطنية من جهة ، ومن جهة اخرى كانت المؤسسة الدينية تؤمن بان التمييز منفذ القوى الاجنبية للتدخل في الشؤون الداخلية للبلدان لاغراض استعمارية .

- بروز مرجعية الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء اسهم في اعادة جزء مهم من الثقل السياسي والدور الاصلاحى للمؤسسة الدينية وقد نجح الشيخ في الافادة من اخطاء المرجعيات الاخرى لتسهيل مهمته في هذا الشأن.

- عمل الشيخ محمد الحسين جاهدًا على تحقيق الاصلاح السياسي لضمان الاستقرار السياسي في العراق لكون الاخير يوفر مناخاً مناسباً لاجراء اصلاحات سياسية واقتصادية كان العراق بحاجة ماسة لها.
- اهتمام المؤسسة الدينية في قضايا المجتمع وطرحها للمعالجات المناسبة لمشاكله عكست عدم تغير نظرتها بشأن تنمية المجتمع كاساس قوي لبناء دولية وطنية، لاسيما انها ادركت صعوبة تحقيق مشروعها السياسي لذا جاء اهتمامها بقضايا المجتمع تدعيماً لمشروعها بطريق غير مباشر.
- وجدت المؤسسة الدينية في دعم النظام السياسي العراقي للولاءات المحلية وترسيخه النظام الاقطاعي عقبة امام بناء دولة وطنية حديثة في العراق لذا عملت لاسيما مرجعية الشيخ محمد الحسين على طرح المعالجات التي تساهم في حل مشكلة الاقطاع وحذرت الحكومات المتعاقبة من مغبة اهمال شريحة كبيرة كفئة الفلاحين، سيما وان الزراعة عصب الاقتصاد العراقي آنذاك وان عقم السياسات الاقتصادية وعدم عدالتها ستزيد من الحنق الشعبي مما سيؤثر سلباً على قيام دولة حديثة في العراق.
- عدت المؤسسة الدينية ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في العراق وابرز معالمها المنافسة حول السلطة احدى ملامح فشل النخبة السياسية في اقامة دولة مؤسسات دستورية حقيقية، والاخيرة احدى ابرز المرتكزات لاقامة دولة وطنية في العراق ذلك انها احدى الادوات الاساسية لضمان تداول سلمي للسلطة من دون اللجوء إلى وسائل العنف، لذا نجدها تطالب باصلاحات تضمن الحقوق السياسية والاقتصادية لابناء الشعب كافة بغض النظر عن خلفياتهم الدينية والمذهبية والقومية.
- لم يكن مشروع الدولة العراقية عام ١٩٢١ مشروع دولة وطنية حقيقي ونرجع السبب إلى ان بنائها اقيم على اساس المصلحة البريطانية وتجاهل رغبة الشعب العراقي الذي اضطرها إلى تأسيسها كمحاولة للتفافية لتجنب اقامة

العراقيين لدولتهم المستقلة ، لذا عملت المؤسسة الدينية جاهدة من اجل تصحيح مسار الدولة وابعاد مؤسساتها عن احضان بريطانيا لايمانها ان الدولة العراقية حتمية تاريخية بعد زوال الحكم العثماني وتعاضم تطلعات القوة المؤثرة في المجتمع الراغبة في اقامتها .

- على الرغم من الضغوط الكبيرة التي مارستها بريطانيا والنخبة السياسية الحاكمة استمرت المؤسسة الدينية في نهجها القاضي بضرورة اقامة دولة وطنية حقيقية غير خاضعة للنفوذ الاجنبي لذا نجدها تدعم بقوة انتفاضة مايس ١٩٤١ ، بالرغم من العلاقة غير الطيبة بينها وبين ابرز قادة الانتفاضة التي اتسمت فيها مرحلة الثلاثينيات، مما يعني ان مشروع الدولة عند المؤسسة الدينية استمر آنذاك وانها وجدت في الانتفاضة تجسيدا لاهم عناصر انجاح مشروعها الا وهو القضاء على النفوذ البريطاني في العراق.

- على الرغم من اخفاق المؤسسة الدينية في تحقيق مشروعها السياسي على ارض الواقع في تلك المرحلة التاريخية بسبب ترسخ النفوذ البريطاني والمصالح الفئوية لسياسي العراق ، فضلاً عن اخطاء داخلية ابرزها عدم التعامل بواقعية مع الوضع السياسي العراقي حتى عام ١٩٢٤ ، أي في مرحلة تثبيت النظام السياسي العراقي، الا انه لايمكن تجاهل ان المؤسسة الدينية في النجف قد غابت المصلحة الوطنية والاسلامية على المصلحة المذهبية وهي بذلك تجاوزت في فكرها وممارساتها ابرز عقدة تحول دون اقامة الدولة الوطنية في العراق وهي الاشكالية الطائفية ، وكان على النخبة السياسية ان تحتذي بها لكنها عملت جاهدة على تحجيم دور المؤسسة الدينية على كافة المستويات خشية على مصالحها الفئوية التي ستضرر في حال قيام دولة مؤسسات حقيقية تتجاوز الأطر الطائفية والعرقية.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً : الوثائق غير المنشورة والمنشورة:

١- الوثائق العراقية غير المنشورة

- ١- د . ك . و . رسائل الشيوخ إلى الملك غازي، رقم الملف (١١١٦ ، ٣١١) و ٤ ، ص ٥.
- ٢- د . ك . و . ملفات البلاط الملكي ، التمرد والغزوات، احداث الفرات الاوسط، رقم الملف (١١١٥ ، ٣١١) و ٣٨ ، ص ٩.
- ٣- د . ك . و . ملفات البلاط الملكي ، رسائل الشيوخ إلى الملك فيصل، الملف رقم (١١٠٣) ، رسالة الشيخ عبد الواحد الحاج سكر إلى الملك فيصل الأول في الأول من ايلول ١٩٢١، وثيقة رقم (٧).
- ٤- د . ك . و . ملفات البلاط الملكي ، مضابط رفض الانتداب البريطاني على العراق، ملف رقم (٣٩٩٧) ، و (٧).
- ٥- د . ك . و . ملفات البلاط الملكي، التمرد والغزوات ، احداث الفرات الاوسط، رقم الملف (٣١١/١١١٥) و ٤٢ ص ١٨.
- ٦- د . ك . و . ملفات البلاط الملكي، ملف (٢٦١٩) الانتخابات وفتاوى علماء النجف ضدها، ٩ تشرين الثاني ١٩٢٢، ورقة (٣-١).
- ٧- د . ك . و . ملفات مجلس الوزراء، حركات رؤساء العشائر في الفرات الاوسط، رقم الملف (٣١١/١١١٧) و ٤٦ ، ص ١١٧.
- ٨- د . ك . و . ملفات وزارة الداخلية ، فتاوى علماء النجف، رقم الملف (٢٢١٩) و (١٢).

- ٩- د . ك . و ، متصرفية لواء الديوانية، التحرير، العدد س / ٤٣٥ / التاريخ ١٩٣٥/٣/١٣ ، الدعيات في ناحية الرميثة، رقم الملف (٣١١/١١١٥) و (٤٦) ص ١٤٥.
- ١٠- د . ك . و ، ملفات البلاط الملكي، التمرد والغزوات ، احداث الفرات الاوسط تسلسل الملف (٣١١ ، ١١١٥) و (٥) ص ١٠.
- ١١- د . ك . و ، الملف الشخصي للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، تسلسل (٦٣ /k /٦٥) و (٣٧).
- ١٢- د . ك . و ، البلاط الملكي، التمرد والغزوات، احداث الفرات الاوسط تسلسل الملف (٣١١ / ١١١٦) و (٤٠) ص ١١٣-١١٤.
- ١٣- د.ك.و. حركة العصيان في لواء الديوانية ، ملف (٢٦ / ديوانية / ١) و (س / ٥٩٤) .
- ١٤- د.ك.و. ، موقف العلماء ازاء حركات العصيان ، تسلسل الملف (٢٥ / ديوانية / ١) و (٦١) ، ص ٧ .
- ١٥- د.ك.و. ، موقف العلماء ازاء حركات العصيان ، الملفه المرقمة (٢٦ / ديوانية / ١) و (٦٢) .
- ١٦- د.ك.و. وزارة الداخلية ، موقف العلماء ازاء حركات العصيان تسلسل الملف (٢٥/ديوانية / ٦) التقرير السري لمتصرف كربلاء الى وزارة الداخلية المرقم (س١٧٢/٥٢) في ٢٣/ايار / ١٩٣٥) .
- ١٧- د.ك.و. البلاط الملكي ، احداث الفرات الاوسط ، تسلسل الملف (٣١١/١١١٨) و (٢٢) ص ٧٢ .
- ١٨- د . ك . و . ملفات وزارة الداخلية ، ملفه (٢٦١٨) والانتخابات والعشائر، ١٩ تشرين الثاني ١٩٢٢ ، ورقة (٨).

- ١٩- د . ك . و . ملفات وزارة الداخلية، التقرير الخاص ، رقم الملف (١١١٥)،
(٣١١) و ٤١ ، ص ١١٦ .
- ٢٠- د . ك . و . ملفات وزارة الداخلية، التقرير الخاص، رقم الملف (١١١٥)،
(٣١١) و ٢٥ ، ص ٧٩ .
- ٢١- د . ك . و . ملفات وزارة الداخلية، الحركات السياسية لشيخ الفرات الاوسط
رقم الملف (٢٧/ ديوانية/ قديم ٤) .
- ٢٢- د . ك . و . ملفات وزارة الداخلية، حركة الانفصال في البصرة، رقم الملف ()
(٣١١ ، ١١٢) و ٥١ ، ص ٧٦ .
- ٢٣- . ملفات وزارة الداخلية، رقم الملف (٣١١ ، ١١١٧) و ٥٠ ، ص ٦٩ .
- ٢٤- د . ك . و . ملفات وزارة الداخلية، فتاوى تحريم الانتخابات ، رقم الملف
(٢٦١٩) ، (٢،٣،٩،١١) .
- ٢٥- د . ك . و . ملفات وزارة الداخلية، موقف العلماء في التمردات في الفرات
الاوسط، رقم الملف (٣١١ ، ١١١٥) و ٩٩ ، ص ٧٧ .

٢- الكتب الوثائقية:

- ١- كامل سلمان الجبوري، السيد محمد كاظم اليزدي: سيرته واضواء على
مرجعية ومواقفه ووثائقه السياسية، ط١، مطبعة ذوي القربى، قم،
٢٠٠٩،
- ٢- ، شيخ الشريعة: قيادته في الثورة العراقية الكبرى ، ١٩٢٠ ووثائقه
السياسية، دار القارئ، بيروت، ط١ .
- ٣- النجف الاشرف ومقتل الكابتن مارشال ١٩١٨، ط١، بيروت، المواهب
للطباعة، محمد تقى الشيرازي، مطبعة البرهان، قم، ٢٠٠٦،
ط١ .

- ٤- العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦، ترجمة وتعليق نجدة فتحي صفوت، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة، بغداد، ١٩٨٣.
- ٥- العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥-١٩٣٠ ، ترجمة: فؤاد قزنجي ، دار المامون ، بغداد ، ١٩٨٩، ص ٢٥ .

٣- محفوظات مكتبة كاشف الغطاء العامة:

- ١- الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء الشخصية وملفات محفوظة في مكتبة كاشف الغطاء العامة في النجف، استفتاء المحكمة الشرعية في بعقوبة (رسالة) .
- ٢- محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، مذكرات خطية بعنوان عقود حياتي.
- ٣- مقال مخطوط بيد الشيخ محمد الحسين محفوظ في مكتبة محمد الحسين آل كاشف الغطاء في النجف، إلى متى السكوت (الملفات الشخصية) .
- ٤- محمد الحسين الكاشف الغطاء، ميثاق الشعب، وثيقة مخطوطة محفوظة لدى نجله الشيخ شريف، مكتبة الامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء العامة، النجف الاشرف .

٣- الوثائق البريطانية الغير منشورة:

أ- وثائق وزارة الخارجية البريطانية:

- 1- F.O. 371/507/8448/MesopotamiaPolice (Abstract of Intelligencel, Baghdad , date : 22-29 May 1920.
- 2- F.O.311/5038/E9252, telegram from civil commissioner, Baghdad , to Foreign office , dated , July 31,1920.
- 3- F.O.371/5229/EI0752, "Appointment to Sir Percy cox as High commissioner Instruction of his mayesty's coverment " Rereised Draft, dated August 28, 1920.
- 4- F.O.371/5230/E11630, From the secretary of state for India office to civil commissioner, Baghdad, dated septemer 17, 1920.
- 5- F.O.882/23/MES/From Secretry of stat, dated, 18 March, 1920.

ب- وثائق وزارة المستعمرات البريطانية:

- 1- C.O.730-4-41616, tet. Personal, From Charchill to, Cox, dated 20 August 1921.

ج- الوثائق البريطانية المنشورة

- 1- Report by his Britannic Mayesty's Government to the council of the League of Nations on the Administration of IRAQ" for the Year 1927, Archive Editions,

ثانياً: الكتب:

١- الكتب باللغة العربية والمعرّبة:

- ١- إبراهيم الوائلي، ثورة العشرين في الشعر العراقي، بغداد، ١٩٦٨.
- ٢- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ط٢، ج٧، بيروت، ١٩٦٠.
- ٣- ابو القاسم الخوئي، المسائل المنتخبة، ج١٣، مطبعة الاداب، النجف، ١٤٠٤هـ.
- ٤- ابو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث، ج١٣، مطبعة الاداب، النجف، ١٩٦٥.
- ٥- ابو خلدون، ساطع الحصري، ما هي القومية، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٥.
- ٦- ابو يعلي محمد بن الحسين الماوردي، الاحكام السلطانية، ج٢، مكتب الاعلام السلامي، قم، ١٤٠٦هـ.
- ٧- احلام حسين جميل، الافكار السياسية للحزب العراقية في عهد الانتداب، ١٩٢٢-١٩٣٢، بغداد، ١٩٨٥.
- ٨- احلام حسين جميل، الخلفية السياسية والاجتماعية للاوضاع التي كان يطبق في ظلها دستور ١٩٢٥ في العراق، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٦.
- ٩- أحمد الكاتب، المرجعية الدينية وفاق التطور، ط١، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٧.
- ١٠- أحمد رفيق البرقاوي، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا، ١٩٢٢-١٩٣٢، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢.
- ١١- ارنولد تي ولسن، بلاد ما بين النهرين بين ولايتين، ط١، ج٢، ترجمة فؤاد جميل، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٩٧١.

- ١٢- ارون دابراهيميان ، ايران بين ثورتين، ترجمة مركز البحوث والمعلومات، بغداد، ١٩٨١.
- ١٣- اسحاق نقاش ، شيعة العراق، ط١، المكتبة الحيدرية، قم، ١٩٩٨.
- ١٤- اسعد محمد زيدان الغرباوي، سياسة ايران الخارجية في عهد أحمد شاه (١٩٠٩-١٩٢٥) ، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠.
- ١٥- اغابزرك الطهراني، اعلام الشيعة، ط١، ج١، النجف ، ١٩٥٤.
- ١٦- اكرام بدر الدين، الديمقراطية الليبرالية ونماذجها التطبيقية، دار الجوهرة ، بيروت، ١٩٨٦
- ١٧- اوراق ناجي شوكت (رسائل ووثائق) ، دراسة في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، تقديم وتحقيق: محمد انيس، محمد حسين الزبيدي، مطبعة الجامعة، بغداد ، ١٩٧٧.
- ١٨- باقر امين الورد المحامي، اعلام العراق الحديث قاموس تراجم ١٨٦٩-١٩٦٩، ج١، مطبعة اوفسيت الميناء، بغداد، ١٩٧٨.
- ١٩- بثينة الناصري (جمع وتحقيق) ، خلق الملوك ، ترجمة : عبد الكريم الناصري، ط١، مكتبة النهضة ، بغداد، ١٩٧٣.
- ٢٠- البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩، ط١، ترجمة كريم عزقول، دار النهار، بيروت، ١٩٧٧.
- ٢١- برسي كوكس وهنري دوبس، تكوين الحكم الوطني في العراق، بشير فرجو ، مطبعة الاتحاد، الموصل، د.ت.
- ٢٢- البيرت م فتسأ شفيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة هاشم صالح التكريتي، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٨.
- ٢٣- تشارلز تريب ، صفحات من تاريخ العراق، ط١ ، ترجمة: زينة جابر دريس، الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٦.

- ٢٤- توفيق السيف، نظرية السلطة في الفقه الشيعي، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٢.
- ٢٥- ثوبي دود ، اختراع العراق، ط١، ترجمة عادل العامل، بيت الحكمة ، بغداد، ٢٠٠٩.
- ٢٦- جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم ، ط١، الاجزاء، ٢، ٣، ٤، مطبعة شريعت، قم، ١٤٢٦.
- ٢٧- جعفر الدجيلي، موسوعة النجف الاشرف (شعراء النجف) القسم الأول، ج٢١، دار الاضواء ، بيروت، ١٩٩٨.
- ٢٨- جعفر الشيخ باقر آل محبوبة ، ماضي النجف وحاضرها، مطبعة الاداب، النجف ، ١٩٥٥، ط١، الاجزاء ، ١، ٢، ٣.
- ٢٩- جعفر المهاجر، الهجرة العاملة إلى ايران ، اسبابها التاريخية ونتائجها الثقافية والسياسية، بيروت، ١٩٨٩.
- ٣٠- جمال مصطفى مردان ، ملوك العراق فيصل الاول - غازي - فيصل الثاني ، اسرار وخفايا ، المكتبة الشرقية ، بغداد ، د.ت .
- ٣١- جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩-١٩١٧ ، دار الشؤون الثقافية العليا، بغداد، ٢٠٠١، ج١.
- ٣٢- جواد علي ، المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية ، ترجمة ابو العيد دودور ، منشورات الجمل، ٢٠٠٥ ، كولونيا، ط١.
- ٣٣- جواد هاشم، مقدمة في كيان العراق الاجتماعي، بغداد، ١٩٤٦.
- ٣٤- جودت القزويني، المرجعية العليا للشيعة الامامية، بيروت، ٢٠٠٥، ط١.
- ٣٥- جودت القزويني، قادة المؤسسة الدينية الامامية، دار الرافدين، بيروت، ٢٠٠٥، ط١.

- ٣٦- جرجيس فتح الله، نظرات في القومية العربية مداً وجزراً حتى عام ١٩٧٠
، ج ٥.
- ٣٧- حسن الاسدي، ثورة النجف على الانكليز او الشرارة الاولى لثورة
العشرين، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٥.
- ٣٨- حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤-١٩٩٠، سبحان،
قم ، ١٤٢٦هـ.
- ٣٩- حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر، دار المنتدى، بيروت،
١٩٩٠، ج ٢.
- ٤٠- حسن عيسى الحكيم، المفصل في تاريخ النجف الاشرف، مطبعة النجف،
النجف ، ١٩٩٦، ج ٤.
- ٤١- حسن منيمية، تاريخ الدولة البويهية، الدار الجامعية ، بيروت، ١٩٨٧.
- ٤٢- حسين بركة الشامي، المرجعية الشيعية من الذات الى المؤسسة، ط ٣، دار
السلام، بغداد، ٢٠٠٦.
- ٤٣- حسين جميل ، الحياة النيابية في العراق ١٩٢٥-١٩٣٦ موقف جماعة
الاهالي منها، ط ١، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٨٢.
- ٤٤- مجموعة مؤلفين ،اراء في المرجعية الشيعية، ط ١، دار الروضة ،
بيروت، ١٩٩٤.
- ٤٥- حليم حسن الاعرجي، الشيخ خوام ١٨٨١-١٩٦٧، الشاعر الانسان،
بغداد، ٢٠٠٢.
- ٤٦- حميد الدهلكي، المرجعية بين الواقع والطموح، ط ١، مؤسسة المعارف ،
بيروت.
- ٤٧- حميد المطبعي، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين، بغداد،
١٩٩٦.

- ٤٨- حميد عيسى حبيبات ، حقائق ناصعة عن ثورة النجف الكبرى، مطبعة الغري، النجف، ١٩ و ٧٠.
- ٤٩- حنا بطاطو، العرق الكتاب الثاني: الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار، ترجمة عفيف الرزاز، منشورات، فرهاد، طهران، ٢٠٠٥، ط ١.
- ٥٠- حيدر المراني، النجف الاشرف قديماً وحديثاً، بغداد، ١٩٨٨، ج ٢.
- ٥١- حيدر نزار عطية السيد سلمان، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، معهد المعلمين للدراسات العليا، النجف، ٢٠٠٧، ط ١.
- ٥٢- خالد التميمي، محمد جعفر ابو التمن، دراسة في الزعامة السياسية العراقية، دار الوراق، بغداد، ١٩٩٦، ط ١.
- ٥٣- خضير مظلم فرحان البديري، الموقف البريطاني من الثورة الدستورية في ايران (١٩٠٥-١٩١١) ، مكتبة ابن رشد، واسط، ٢٠٠٥، ط ١.
- ٥٤- خولة طالب لفتة، سليمان فيضي ودوره السياسي والثقافي والاجتماعي في العراق ١٨٨٥-١٩٥١، مطبعة الاديب البغدادية، بغداد، ٢٠٠٣.
- ٥٥- خيرى العمري ، شخصيات من العهد الملكي ، ط ١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٨ .
- ٥٦- —، حكايات سياسية في تاريخ العراق الحديث ، دار الهلال، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- ٥٧- ديوان الرصافي ، شرح وتعليق مصطفى علي، بغداد، ١٩٨٦، ج ٢.
- ٥٨- ذبيح الله المحلاتي، المآثر الكبراء في تاريخ سامراء، مطبعة المرتضى، النجف، ١٣٦٨هـ، ج ٢.
- ٥٩- رجاء حسين الخطاب، تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي من ١٩٢١-١٩٤١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩ .
- ٦٠- رسول محمد رسول ،فقهاء وامة جذور لعمل الإسلامي في العراق الحديث، الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٨، ط ٣، العقيلي البخشايشي ،

- كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٢.
- ٦١- رشيد الخيون، الفقه الشيعي والدستور (التآني نموذجاً) معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠٠٦، ط ١.
- ٦٢- رعد ناجي الجدة ، التطورات الدستورية في العراق ، ط ١، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٤ العراق .
- ٦٣- _ ، تشريعات الجمعيات والاحزاب السياسية في العراق ، ط ١، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٢ .
- ٦٤- ريدر فشر، شيعة العراق جذور الحركة الفيدرالية، ترجمة: فاضل جفكر، معهد الدراسات الاستراتيجية ، بغداد، ٢٠٠٧، ط ١.
- ٦٥- سامي زبيدة، الإسلام الدولة والمجتمع، ترجمة: عبد النعيم محمد حسين ، دار المدى ، دمشق ، ١٩٩٥، ج ١.
- ٦٦- سامي عبد الحافظ القيسي ، ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢-١٩٣٦ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٦ .
- ٦٧- ساطع الحصري ، اراء واحاديث في الوطنية والقومية ، مطبعة الرسالة، القاهرة ، د.ت .
- ٦٨- سعيد رشيد زميزم، رجال العرق والاحتلال البريطاني، بغداد، ١٩٩٠، ج ١.
- ٦٩- سليفيانيف، النجف مركزاً للعلمانية الراديكالية من تاب اضواء على قضايا تاريخية عراقية معاصرة ترجمة الدكتور محمود عبد الواحد، مكتب أحمد الدباغ، بغداد، ٢٠٠٦.
- ٧٠- سليم الحسني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم، ٢٠٠٤، ط ١.

- ٧١- سمير عبد الكريم ، اضواء على الحركة الشيوعية في العراق ١٩٣٤-
١٩٥٨، دار المرصاد، بيروت، د.ت، ج ١.
- ٧٢- الشريف الرضي، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار الكتاب
العربي، بغداد، ٢٠٠٧، ط ١.
- ٧٣- الشريف المرتضى ، الانتصار، دار الاضواء ، بيروت، ١٩٨٥.
- ٧٤- ، رسالة في الحدود والحقائق، في رسالة المرتضى، ج ٢، اعداد مهدي
رجائي، دار القرآن الكريم، قم ، ١٤٠٥هـ.
- ٧٥- ، رسائل الشريف المرتضى، اعداد مهدي رجائي ، دار القرآن الكريم،
قم، ١٩٨٥.
- ٧٦- الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: علي اكبر الغفاري،
مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، ١٤٠٥هـ.
- ٧٧- الشيخ المفيد، المسائل الصاغائية ، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد، دار
المفيد، بيروت، ١٩٩٣، ط ٢.
- ٧٨- ، المقتعة ، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، د.ت.
- ٧٩- ، اوائل المقالات في المذاهب والمختارات ، دار الكتاب الإسلامي،
بيروت، ١٩٨٣.
- ٨٠- صابرنيا ميرفان ، حركة الاصلاح الشيعي " علماء جبل كامل وادباؤه من
نهاية الدولة العثمانية إلى بداية استقلال لبنان، ط ١، ترجمة: هيثم الامين،
دار النهار، بيروت، ٢٠٠٣.
- ٨١- صادق جعفر الروازق الحوزة العلمية العراقية المشروع السياسي بين
المقاومة والمطالبة ٢٠٠٦، ط ١. ، ١٩١٤-١٩٨٠، مركز العراق
للدراسات، بغداد.
- ٨٢- صادق حسن السوداني، النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤-١٩٥٢،
دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.

- ٨٣- صدر الدين القبانجي، بحوث في خط المرجعية، ط ٣ ، المطبعة ١٢٨ ، قم ، ١٩٨٤.
- ٨٤- صفحات من مذكرات السيد حسين كمال الدين ، تقديم كامل سلمان الجبوري، مطبعة العاني، ١٩٨٧.
- ٨٥- صلاح الخرسان ، حزب الدعوة الإسلامية حقائق ووثائق (فصول من تجربة الحركة الإسلامية خلال ٤٠ عاماً) ، ط ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والبحوث الاستراتيجية، بيروت، د.ت.
- ٨٦- طالب عبد الجبار، ربع قرن من تاريخ الحركة الناقبية في العراق، مطبعة النجوم، بغداد، ١٩٦٠.
- ٨٧- طالب مشتاق، اوراق ايامي، ط ٢، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٩٨٩.
- ٨٨- طراد حمادة، اعلام الفكر في الاسلام، ط ١، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٣.
- ٨٩- الطوسي، عدة الاصول ، ط ٢، ج ١، مطبعة ساره ، قم ، ١٤١٧هـ.
- ٩٠- عادل تقي البلداوي، التكوين الاجتماعي للاحزاب والجمعيات السياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٥٨، بغداد، ٢٠٠٣.
- ٩١- عامر حسن فياض ، جذور الفكر الديمقراطي في العراق الحديث ١٩١٤-١٩٣٩ ، بغداد، ٢٠٠٢
- ٩٢- عامر حسن فياض ، جذور الفكر الاشتراكي والتقدمي في العراق، ط ١، ١٩٢١-١٩٣٤، دار ابن رشد للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.
- ٩٣- عباس القمي ، الكنى والالقب، ج ٣، دار الوفاء، بيروت، ١٩٨٣.
- ٩٤- عباس علي عميد زنجاني، الفقه السياسي في التراث الشيعي ، من كتاب مدخل إلى الفكر السياسي في الإسلام، اعداد صادق حقيقت، ط ١ ، مؤسسة الهدى للنشر، طهران، ٢٠٠١.

- ٩٥- عبد الجبار حسن الجبوري، الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي (١٩٥٨-١٩٥٨)، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٧٧.
- ٩٦- عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، ١٩٠٠-١٩٢٤، الجذور الفكرية والواقع التاريخي، ط١، بيروت، ١٩٥٨.
- ٩٧- عبد الحميد واخرون، المختار من صحاح اللغة، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د.ت.
- ٩٨- عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ط٤، دار البراق، لندن، ١٩٩٧.
- ٩٩- عبد الرحيم محمد علي، المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني، ط١، مطبعة النعمان، النجف ، ١٩٧٢.
- ١٠٠- عبد الرزاق آل وهاب ، كربلاء في التاريخ، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٣٥.
- ١٠١- عبد الرزاق الحسني ، الثورة الكبرى، ط٣، صيدا، ١٩٨٢.
- ١٠٢- —، تاريخ الاحزاب السياسية العراقية ١٩١٨-١٩٥٨ ، ط١، مركز الابجدية ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- ١٠٣- —، الاسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحررية، ط٥ ، مركز الابجدية، بيروت، ١٩٨٢.
- ١٠٤- —، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، صيدا، ١٩٣٨، ط١.
- ١٠٥- —، تاريخ العراق السياسي، ط٧ ، ج٢،١، الرافدين للطباعة والنشر، بيروت ، ٢٠٠٨ .
- ١٠٦- —، تاريخ الوزارات العراقية، الاجزاء ١، ٢، ٣، ٤ ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨،
- ١٠٧- عبد الرزاق الدراجي، جعفر ابو التمن ودوره من الحركة الوطنية في العراق ١٩٠٨-١٩٤٥، ط١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.

- ١٠٨- عبد الزهرة مكطوف الجوراني، الفكر السياسي في المشرق العربي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١.
- ١٠٩- عبد الشهيد الياسري، البطولة في ثورة العشرين، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٦.
- ١١٠- عبد الغني الملاح، تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠، ط٢.
- ١١١- عبد الكريم آل نجف ، الشيخ محمد حسين الناشي : دراسة في حياته العلمية والسياسة، من كتاب الدين والسياسة.
- ١١٢- عبد الكريم الازري، تاريخ في ذكريات العراق (١٩٣٠-١٩٥٨)، ط١، مركز الابجدية ، بيروت، ١٩٨٢.
- ١١٣- عبد الكريم الازري، مشكلة الحكم في العراق ، من فيصل الأول إلى صدام، لندن، ١٩٩١.
- ١١٤- عبد الله افندي الاصفهاني، رياض العلماء وحياض الفضلاء، مكتبة آية الله المرعشلي العامة، قم ، ١٤٠١هـ.
- ١١٥- عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، ط٢، دار السلام، بغداد، ١٩٧٥.
- ١١٦- عبد الله بن الحسين، مذكرات الملك عبد الله، مطبعة الرائد، عمان، ١٩٤٧.
- ١١٧- عبد الله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٣.
- ١١٨- عبد المجيد كامل التكريتي، الملك فيصل الأول ودوره في تأسيس الدولة العراقية الحديثة (١٩٢١-١٩٣٣) ، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩١.

- ١١٩- عبد المحسن القصاب، ذكرى الافغاني في العراق، مطبعة الرشيد، بغداد، ١٩٤٥ .
- ١٢٠- عبد الهادي الحكيم، حوزة النجف الاشراف، النظام ومشاريع الاصلاح، ط١، مطبعة العادلة، بغداد، ٢٠٠٧.
- ١٢١- عبد الهادي الفضلي، التقليد : دراسة فقهية لظاهرة التقليد الشرعي، ط١، الغدير للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩.
- ١٢٢- عبد الوهاب إبراهيم الشمري ، الحركة الوهابية الحقيقة والجذور، دار العروبة ، بيروت، ١٩٩٢.
- ١٢٣- عباس عطية جبار ، العراق والقضية الفلسطينية ١٩٣٢-١٩٤١ ، ط١، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ١٩٨٣
- ١٢٤- عدنان عليان، جذور التشيع في الخليج العربي والجزيرة العربية: الشيعة والدولة العراقية الحديثة، ط٥ ، المعارف للمطبوعات ، بيروت، ٢٠٠٥.
- ١٢٥- عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي، النجف الاشراف وحركة التيار الاصلاحى ١٩٠٨-١٩٣٢، دار القارئ ، بيروت، ٢٠٠٥.
- ١٢٦- عز الدين بحر العلوم، التقليد في الشريعة الإسلامية، ط٤، مطبعة الديواني، بغداد، ١٩٩٠.
- ١٢٧- عزيز سباهي، عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي ، ط٢، ج١، شركة دار الرواد المزدهر للطباعة، بغداد، ٢٠٠٧.
- ١٢٨- عزيز الحاج، القضية الكردية في العشرينيات، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بغداد، ١٩٨٥.
- ١٢٩- العلامة الحلي، مبادئ الوصول إلى عالم الاصول ، تحقيق: عبد الحسين محمد علي البقال ، دار الاضواء، بيروت، ١٩٨٦.
- ١٣٠- علي أحمد البهادلي، الحوزة العمية في النجف (معالمها وحركتها الإسلامية، ١٩٢٠-١٩٨٠) ، ط١، دار الزهراء، بيروت، ١٩٩٣.

- ١٣١- علي الخاقاني، شاعر الشعب محمد صالح بحر العلوم ، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٥٨.
- ١٣٢-، شعراء الغري، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٦، الاجزاء، ٤، ١٠، ١٢.
- ١٣٣- علي الخراساني الكاظمي، كشف الريب عن احكام الغيبة، ط٢، دار الاضواء، بيروت، ١٩٨٧.
- ١٣٤- علي الدواني، مفاخر الإسلام، امير كبير، ج٤، طهران ، ١٩٨٥.
- ١٣٥- علي الفاضل القارئتي، علم الاصول تاريخياً وتطوراً ، ط٢، مؤسسة آل البيت ، قم ، ١٤١٨هـ.
- ١٣٦- علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ط١، الأجزاء ٣، ٥، ٦، دار الوراق، بيروت، ٢٠٠٧.
- ١٣٧- علي عباس مراد وعامر حسن فياض، الظاهرة القومية (مدخل إلى الفكر القومي العربي)، جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٨.
- ١٣٨- علي بازركان ، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ، ط٢ ، مطبعة الاديب ، ١٩٩١.
- ١٣٩- علي كاشف الغطاء، سعد صالح في مواقفه الوطنية، مطبعة الراية ، بغداد، ١٩٨٩.
- ١٤٠- علي مروة، التشيع بين جبل عامل وايران ، دار الرئيس، لندن، ١٩٨٧.
- ١٤١- عيسى شحاته، زعماء الوطنية ف مصر في العصر الحديث، مطبعة الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧.
- ١٤٢- غسان العطية، العراق نشاط الدولة ١٩٠٨-١٩٢١ ، ترجمة : عطا عبد الوهاب، دار اللام، لندن، ١٩٨٨.
- ١٤٣- غسان سلامة، المجتمع والدولة في المشرق العربي، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩.

- ١٤٤- فؤاد إبراهيم، الفقيه والدولة، الفكر السياسي الشيعي، ط١، دار الكنوز ، بيروت.
- ١٤٥- فؤاد قزنجي، المكتبات والصناعة المكتبية في العراق، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٢.
- ١٤٦- فؤاد الوكيل ، جماعة الاهالي في العراق ١٩٣٢-١٩٢٧ ، دار الرشيد، بغداد، ١٩٧٩.
- ١٤٧- فاروق صالح العمر، الاحزاب السياسية في العراق (١٩٢١-١٩٣٢)، بغداد، ١٩٧٨.
- ١٤٨-، المعاهدات العراقية - البريطانية واثرها في السياسة العراقية ، ١٩٢٤-١٩٤٨، بغداد، ١٩٧٧.
- ١٤٩- فايز عزيز السعد، انحراف النظام البرلماني في العراق، ط٢ ، مطبعة السنديات، بغداد، ١٩٨٤.
- ١٥٠- فاضل البراك، دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا سنة ١٩٤١، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩،
- ١٥١- فرهاد إبراهيم ، الطائفية والسياسة في العالم العربي، نموذج الشيعة في العراق، ط١، مطبعة مدبولي، ١٩٩٦.
- ١٥٢- فريق المزهري آل فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية في ١٩٢٠ ونتائجها، ط٢، مطبعة النجاح ، بغداد، ١٩٩٥.
- ١٥٣- فليب ويلارد ايلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ط١، ترجمة جعفر الخياط، دار الكشف، بيروت، ١٩٤٩.
- ١٥٤- فوزي خلف شويل، ايران في سنوات الحرب العالمية الاولى، مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، ١٩٨٥.
- ١٥٥- فيبي مار ، تاريخ العراق المعاصر العهد الملكي، ط١، ترجمة: مصطفى نعمان أحمد ، المكتبة العصرية، بغداد، ٢٠٠٦.

- ١٥٦- قيس جواد علي الغريبي، رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٢-١٩٦٥، شركة دار الحوراء، بغداد، ٢٠٠٦.
- ١٥٧- كاثلين م. لانكي، تصنيع العراق، ترجمة محمد حامد الطائي وخطاب صكر العاني، مطبعة التضامن، بغداد، ١٩٦٣.
- ١٥٨- كاظم قاضي زاده، الشورى في الحكومة الإسلامية، من كتاب مدخل إلى الفكر السياسي في الإسلام ، ط١، مؤسسة المدى للنشر، طهران، ٢٠٠١.
- ١٥٩- كامل الجادرجي ، من اوراق كامل الجادرجي، ط١، بيروت، ١٩٧١.
- ١٦٠- كامل الجادرجي، مذكرات كامل الجادرجي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٠.
- ١٦١- كامل سلمان الجبوري، النجف الاشرف ومقتل الكابتن مارشال ١٩١٨ (حقائق ومذكرات من تاريخ العراق السياسي لم تنشر من قبل) ، مؤسسة المعارف، بيروت، ٢٠٠٥ ، ١.
- ١٦٢- كامل مصطفى الشبيبي، الطريقة الصوفية وروايتها في العراق المعاصر، مكتبة النهضة ، بغداد، ١٩٦٧.
- ١٦٣- الكركي، جامع المقاصد، المؤسسة الإسلامية، رقم ١٤٠٩هـ، ط٢، ج٢.
- ١٦٤- كريم وحيد صالح، نجم البقال، قائد ثورة النجف الكبرى ضد الاحتلال عام ١٩١٨، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٨٠.
- ١٦٥- كمال مظهر أحمد ، اضواء على قضايا دولية في الشرق الاوسط، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨.
- ١٦٦- الطبقة العاملة (التكوين وبدايات التحرك) ، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١.
- ١٦٧- كوركيس عواد، خزائن الكتب القديمة في العراق، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨.

- ١٦٨- كولن تبرنر ، التشيع والتحول في العصر الصفوي، ط١، ترجمة حسين علي عبد الستار، منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٨.
- ١٦٩- كيلله فالسون، المادية التاريخية، ترجمة الياس شاهين، موسكو، ١٩٦٩.
- ١٧٠- لجنة من الباحثين (جمع واشراف) موسوعة النجف الاشرف ، الحركة الاصلاحية في الحوزة العلمية، ج٩، ط ، دار الاضواء، بيروت، ١٩٩٧.
- ١٧١- لسلي بيسون ، الحضارة الديمقراطية، تعريف فؤاد مويساني، بيروت ، د.د
- ١٧٢- لطفي جعفر فرج، عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر، بغداد، ١٩٨٨.
- ١٧٣- لويد دويران، العراق من الانقلاب إلى الاستقلال، ١٩١٤-١٩٣٢، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٢.
- ١٧٤- ليام اندرسن وغاريت ستانسفيلد، عراق المستقبل دكتاتورية ديمقراطية ام تقسم، ط١، ترجمة رمزي ق . بدر ، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٥.
- ١٧٥- لينين، مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية، دار التقدم، موسكو ، ١٩٧٠.
- ١٧٦- ليورا لوكتيز، العراق والبحث عن الهوية الوطنية، ترجمة: دلشاد ميران، دار ثاراس، بيروت، ٢٠٠٤.
- ١٧٧- ليون تروتسكي، تاريخ الثورة الروسية، ترجمة: اكرم ديري وهيثم الايوبي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢.
- ١٧٨- ماريون وبيتر سلوجلث، العراق الحديث من الثورة إلى الديكتاتورية، ط١، ترجمة أحمد رائف، الزهراء للاعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٢.
- ١٧٩- مجموعة باحثين ، الحوزة العلمية العراقية والتقريب، ط١ ، مديرية النشر والمطبوعات، طهران، ٢٠٠٣.

- ١٨٠- مجموعة مؤلفين، الشيخ خزعل امير المحمرة، ط٢، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٩.
- ١٨١- مجيد خدوري، نظام الحكم في العراق، ترجمة: فيصل نجم الدين الاطرقي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٦.
- ١٨٢- محسن ابو طبيخ، المباديء والرجال دراسة وثائقية، ط٢، تحقيق: جميل السيد محسن ابو طبيخ، دار انثافارس، عمان، ٢٠٠٣.
- ١٨٣- محسن الامين العاملي، رسالة التنزيه لآعمال التشبيه، صيدا، ١٩٢٩.
- ١٨٤-، اعيان الشيعة، ط٥، ج٤، ج٤٤، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٨.
- ١٨٥- محسن الطبطبائي الحكيم، مستمسك العروة الوثقى، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٠.
- ١٨٦- محسن محمد حسن، من التنظيم الدراسي في النجف الاشرف، ط١، بيروت، ١٩٩٨.
- ١٨٧- المحقق الحلي، معارج الاصول، تحقيق: محمد حسين الرضوي، مؤسسة آل البيت، قم، ١٤٠٣هـ.
- ١٨٨- المحقق النائني، تنبيه الامة وتنزيه الملة، تعريب: عبد الحسين آل النجف، مؤسسة أحسن الحديث، قم، ١٤١٩هـ.
- ١٨٩- محمد أحمد صالح ابو الطيب اشكالية الاستبداد السياسي في رسالة النائني، ط١، مطبعة الرفاه، بغداد، ٢٠٠٥.
- ١٩٠- محمد الحسين آل كاشف الغطاء الخطب الاربعة، تقديم نوري كاشف الغطاء، مطبعة الراعي، النجف.
- ١٩١-، محاوره الامام المصلح كاشف الغطاء مع السفيرين البريطانيين والامريكي في بغداد، ط٣، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٤.

- ١٩٢-، الدين والاسلام او الدعوة الإسلامية، ط ١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩١١.
- ١٩٣-، الميثاق العربي الوطني، ط ١، تعليق عبد الغني الحضري ، مطبعة الغري، النجف، ١٩٣٨.
- ١٩٤-، خطبة الاتحاد والاقتصاد ، الكوفة، ١٣٥٠هـ.
- ١٩٥-، في السياسة والحكمة، جمع وتعليق عبد الحليم كاشف الغطاء، دار البلاغ، بيروت، ١٩٨٨.
- ١٩٦-، العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية ، ط ، تحقيق: جودت القزويني، دار بيسان للنشر، بيروت، ١٩٩٨.
- ١٩٧-، الفردوس الاعلى، ط ١، جمع وتعليق حمد علي القاضي، شركة جاب، تبريز، ١٣٨٦هـ.
- ١٩٨-محمد الشيخ هادي الاسدي، الامام الحكيم مرض تاريخي لدوره السياسي، ط ١، مؤسسة افاق ، بغداد، ٢٠٠٧.
- ١٩٩-محمد الغروي، الحوزة العلمية في النجف الاشرف، ط ١ ، بيروت، ١٩٩٤.
- ٢٠٠-محمد باقر أحمد البهادلي، السيد هبة الدين الشيرازي اشارة الفكرية ومواقف السياسية ، ط ١، شركة الحسام للطباعة، بغداد، ٢٠٠١.
- ٢٠١-، السيد هبة الدين الحسيني واثارة الفكرية ومواقفه السياسية ، ط ١، شركة الحسام للطباعة، بغداد، ٢٠٠١.
- ٢٠٢-محمد باقر الخوانساري، روضات الجنان في احوا العلماء والسادات، ج ٢، طهران، ١٨٨٨.
- ٢٠٣-محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، ط ١، ج ١، دار التعارف، بيروت، ١٩٨١.
- ٢٠٤-، المحنة، منشورات ذو الفقار، قم، د.ت.

- ٢٠٥- محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣، جزء صقر.
- ٢٠٦- محمد بحر العلوم، بلغة الفقيه، ط٢، م٣، مكتبة الصادق، طهران، ١٤٠٣هـ.
- ٢٠٧- محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج٢، باب ٦، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ٢٠٨- محمد تقي الحكيم، الاصول العامة للفقه المقارن، ط٢، مؤسسة آل البيت، قم، ١٩٧٩.
- ٢٠٩- محمد جناتي، المسار التاريخي لاطروحة لزوم تقليد العلم، من كتاب اراء في المرجعية الشيعية.
- ٢١٠- محمد حرز الدين، مراقد المعارف، ط٤، ج١، ج٢، مطبعة الاداب، النجفي، ١٩٧١.
- ٢١١-، معارف الرجال في ترجمة العلماء والادباء، ج٢، مطبعة الاداب، النجف، ١٩٦٤.
- ٢١٢- محمد حسين الصغير هكذا ارائهم، ط١، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠١.
- ٢١٣- محمد رضا القاموسي، في الادب النجفي: قضايا ورجال المكتبة العصرية، بغداد، ٢٠٠٤.
- ٢١٤- محمد سلمان حسن، دراسات في الاقتصاد العراقي، ط١، منشورات دار الطلبة، بيروت، ١٩٦٦.
- ٢١٥- محمد شقير، فلسفة الدولة في الفكر السياسي الشيعي ولاية الفقيه نموذجاً، دار الهاوي، بيروت، ٢٠٠٢.
- ٢١٦- محمد صادق المزياني، الحكم والفتوى مساحتها وموقعها، من كتاب اراء في المرجعية الشيعية.

- ٢١٧- محمد صادق بحر العلوم، مقدمة في رجال الطوسي، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦١.
- ٢١٨- محمد صالح الكاظمي، احسن الاثر فيمن ادكناه في القرن الرابع عشر، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٣٤.
- ٢١٩- محمد عبد الجليل، المرجعية الشيعية والقضية الفلسطينية، ط ١، مؤسسة الفكر الإسلامي، امستردام، ٢٠٠٢.
- ٢٢٠- محمد علي كمال الدين، النجف في اربع قرون، ط ١، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، مؤسسة المعارف، بيروت، ٢٠٠٥.
- ٢٢١-، ثورة العشرين من ذكراها الخمسين: معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى، مطبعة التضامن، النجف، ١٩٧١.
- ٢٢٢- محمد عمارة، عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام، دار المستقبل العربي، بيروت، ١٩٨٤.
- ٢٢٣-، الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني، مطبعة الدار العربية، القاهرة، د.د.
- ٢٢٤- محمد مظفر الادهمي، العراق تأسيس النظام الملكي وتجربته البرلمانية تحت الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢، مكتبة الذاكرة، بغداد، ٢٠٠٩.
- ٢٢٥-، المجلس التأسيسي العراقي، ط ١، ج ١، بغداد، ١٩٨٩.
- ٢٢٦- محمد مهدي الاصفى، الاجتهاد والتقليد وسلطات الفقيه وصلاحياته، ط ٤، مركز الغدير للدراسات والنشر، قم، ٢٠٠٥.
- ٢٢٧- محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، ط ١، ج ٢، مطبعة الفلاح، بغداد، ١٩٢٤.
- ٢٢٨- محمد مهدي الجواهري، ديوان محمد مهدي الجواهري، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢.

- ٢٢٩- محمد مهدي بحر العلوم، رجال السيد بحر العلوم (الفوائد الرجالية) ، ج١، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، طبعة الاداب، النجف، ١٩٦٥.
محمد مهدي كبة، مذكراتي في صميم الاحداث ١٩١٨-١٩٥٨، ط١، دار الحكمة، بيروت، ١٩٦٥.
- ٢٣٠- محمد حسين علي الصغير ، اساطين المرجعية العليا في النجف الاشرف ، ط١، مؤسسة البلاغ ، بيروت، ٢٠٠٣.
- ٢٣١- محمد هادي الاجبني ، الشيوعية ثورة وتأمّر على العقائد والانظمة الاجتماعية ، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٠.
- ٢٣٢- محمد وصفي ابو مغلي ، ايران دراسة عامة، مركط دراسات الخليج، البصرة، ١٩٨٥.
- ٢٣٣- محمد يوسف ابراهيم القريشي ، المس بيل واثرها في السياسة العراقية حتى عام ١٩٢٦ ، بغداد ، ٢٠٠٢
- ٢٣٤- مذكرات السيد محسن ابو طبيخ ١٩١٠-١٩٦٠، ط١، جمع وتحقيق: جميل ابو طبيخ، المؤسسة العربية للدراسات، عمان، ٢٠٠١.
- ٢٣٥- مذكرات المس بل الجاسوسية البريطانية ، ط٢، ترجمة: جعفر الخياط، مكتبة النجار، بغداد، ٢٠٠٦.
- ٢٣٦- مذكرات محمد علي كمال الدين،، ط١ تقديم كامل سلمان الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦.
- ٢٣٧- المس بل ، فصول من تاريخ العراق القريب، ج١، ترجمة : جعفر الخياط، بيروت، ١٩٧٢.
- ٢٣٨-، العراق في رسائل المس بيل، ترجمة وتعليق جعفر الخياط، دار الحرية للطباعة، بغداد ، ١٩٧٧.
- ٢٣٩- مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لارة عربستان العربية ١٨٩٧-١٩٢٥، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧١.

- ٢٤٠-معن زياد، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، مطبعة الرسالة، الكويت، ١٩٨٧.
- ٢٤١-منذر جواد ميرزه، العهد الملكي في العراق احداث ومؤامرات ١٩٢١-١٩٥٨، ط١، مؤسسة الزهراء، النجف، ٢٠٠٥.
- ٢٤٢-منير البعلبكي، المورد ، ط٢٠٠٠، ملحق الاعلام.
- ٢٤٣-منير بكر التكريتي ، اساليب المقالة وتطورها في الادب العراقي الحديث والصحافة العراقية، مطبعة ارشاد، بغداد، ١٩٧٦.
- ٢٤٤-، يوسف رجب الكاتب الصحفي والسياسي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١.
- ٢٤٥-موسى الكرباسي، موسوعة الشيخ علي الشرقي لنثرية (النوادي العراقية) القسم الثاني وبيت الامة وطبقاتها ، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٩٩.
- ٢٤٦-مير بصري ، اعلام السياسة في العراق الحديث، ط١، ج٢، دار الحكمة، لندن ، ٢٠٠٤.
- ٢٤٧-ميثم البحراني، النجاة يوم القيامة في تحقيق امر الامة، مجمع الفكر الإسلامي، قم ، ١٤١٧هـ.
- ٢٤٨-ناجي شوكت، سيرة وذكريات ثمانين عاماً ١٨٩٤-١٩٥٤، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٧٥.
- ٢٤٩-ناصر السعيد ، تاريخ آل سعود ، ج١، منشورات اتحاد شعب الجزيرة العربية ، د.ت .
- ٢٥٠-نجم الدين السهروردي، التاريخ لم يبدأ غداً : عن ثورتي رشيد عالي الكيلاني ٤١، ٥٨ في العراق، ط٢، شركة المعرفة، بغداد، ١٩٨٩.
- ٢٥١-نديم عيسى ، الفكر السياسي لثورة العشرين، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢.

- ٢٥٢-نزار توفيق سلطان الحلو، الصراع على السلطة في العراق الملكي، مطبعة الكندي، بغداد، ١٩٨٤.
- ٢٥٣-نور الدين الشاهرودي، المرجعية الدينية ومراجع الامامية، ط١، طهران، ١٩٩٥.
- ٢٥٤-، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء، ط١، دار العلوم، بيروت، ١٩٩٠.
- ٢٥٥-نيل الكسندر روفنادولينا، الامبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية، ترجمة نور محمد، القاهرة، ١٩٩٩.
- ٢٥٦-هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ج١، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، الفجر للنشر، بغداد، ١٩٨٩.
- ٢٥٧-هنري لوفاو، كارل ماركس، ترجمة محمد عيتاني، دار صادر للنشر، بيروت، ١٩٥٩.
- ٢٥٨-وجيه كوثراني، الفقيه والسلطان، دار راشد، بيروت، ١٩٨٩.
- ٢٥٩-وزارة الدفاع، تاريخ القوات العراقية المسلحة، ج١، الدار العربية، بغداد، ١٩٨٦.
- ٢٦٠-وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠، الدور السياسية والفكرية الاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق الحديث، ط٢، بغداد، ١٩٨٥.

٢- المصادر باللغة الانكليزية

- 1- E.Brey, twenty – Fvie Years 1892-1916, London, 1985.
- 2- E.M.Earle, Turkey, the great powers and the Baghdad Railway.

- 3- G.Bo Dch and H.tem Perley, British Documents on the origin of the war 1898-1914, Lodon, 1927, Vol.I-IV.
- 4- Lord Ronaldshay, the Life of lord zurzon , London, 1928.
- 5- Philip Graves, The life of sir Perey coy, Hlatchinson, London, N.D, Second imperission.
- 6- S.H.Longrigg, Oil In the Middle East, London, 1954.
- 7- V.I.Lenin, Collected works, Progress Pablishisher, Moscow, 1964, Vol.26.
- 8- Mohammad. A. Tarbbush, The role of the Military in Politics, acase stud of Iraq to 1941) Briston, London, 1982

٣- المصادر باللغة الفارسية :

- ١- عبد الهادي الحائري، تشيع وشروطين در ايران، ط٢، سبهر، طهران، ١٩٥٢) التشيع والحركة الدستورية في ايران، مطبعة سبهر، طهران، ١٩٥٢) (بالعربية).
- ٢- مهدي ملكزاه، تاريخ انقلاب مشروطيت فارس، تهران، ١٣٣٠ هـ (تاريخ الثورة الدستورية الفارسية) (بالعربية).

ثالثاً: الرسائل والاطاريح غير المنشورة:

- ١- اخلاص لفته حريز الكعبي ، موقف الحوزة العلمية في النجف الاشرف من تطورات السياسية في العراق ١٩١٤-١٩٢٤ ، رسالة ماجستير كلية التربية - جامعة المستنصرية ، ٢٠٠٥ .

- ٢- أحمد عبد الهادي السعدون، المرجعية الدينية : دراسة في فكرها السياسي ومواقفها السياسية في العراق، رسالة ماجستير ، كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد، ، ٢٠٠٧.
- ٣- امجد اسعد شلال المحاولي، محمد حسين النائني " دراسة تاريخية" ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب - جامعة الكوفة، ٢٠٠٦.
- ٤- عبد الستار شنين علوه الجنابي ، تاريخ النجف السياسي ١٩٢١-١٩٤١، رسالة ماجستير ، كلية الاداب - جامعة الكوفة، ١٩٩٧.
- ٥- جاسم محمد إبراهيم سعد اليساري، السيد ابو الحسن الاصفهاني، دراسة تاريخية ١٨٦٧-١٩٤٦، اطروحة دكتوراه ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، ٢٠٠٧ .
- ٦- جلال كاظم محسن الكناني، الدور السياسي للعشائر العراقية ١٩١٨-١٩٢٤، رسالة ماجستير ، كلية التربية - الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٣.
- ٧- سيف نجاح ميرزة ابو صبيح ، تاريخ النجف الفكري في عهد الممالك (١٧٠-١٨٣١م)، رسالة ماجستير ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥.
- ٨- صباح كريم رياح الفتلاوي، ايران في عهد محمد علي شاه (١٩٠٧-١٩٠٩) ، دراسة تاريخية ، التطورات السياسية الداخلية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الاداب - جامعة الكوفة ، ٢٠٠٣. ٩١٩١٨-١٩٢٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب
- ٩- عباس عطية جبار، الحياة البرلمانية في العراق ١٩٣٢-١٩٣٩، رسالة ماجستير ، كلية الاداب - جامعة بغداد، ١٩٧٢.
- ١٠- عبد الرزاق النصري، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب - جامعة بغداد، ١٩٩٠.

- ١١- عبد الرحمن ادريس صالح البياتي، الشيخ محمود الحفيد (البرزنجي) والنفوذ البريطاني في كردستان العراق حتى عام ١٩٢٥ ، رسالة ماجستير ، كلية التربية - الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٤.
- ١٢- عز الدين عبد الرسول عبد الحسين المدني، الاتجاهات الاصلاحية في النجف ١٩٣٢-١٩٤٥، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب - جامعة الكوفة، ٢٠٠٤.
- ١٣- علاء عباس نعمة، محمد تقي الشيرازي الحائري ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني (١٩١٨-١٩٢١) ، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة - كلية التربية، ٢٠٠٥.
- ١٤- علي خليل أحمد البياتي، الاوضاع الاقتصادية في العراق ١٩٣٤-١٩٣٩، رسالة ماجستير ، كلية الاداب- جامعة بغداد ، ١٩٩٠.
- ١٥- علي عبد المطلب المدني، الحياة الاجتماعية في مدينة النجف الاشرف (١٩١٤-١٩٣٢)، رسالة ماجستير ، كلية الاداب - جامعة الكوفة، ٢٠٠٤.
- ١٦- عدي محمد كاظم السبتي ، الشيخ محمد كاظم الاخوند ١٨٣٩-١٩١٨ : دراسة تاريخية، رسالة ماجستير ، كلية الاداب - جامعة الكوفة، ٢٠٠٧.
- ١٧- كاظم مسلم محمود العامري، الاتجاه الوطني والقومي للصحافة النجفية، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب - جامعة الكوفة، ٢٠٠٠.
- ١٨- محمد جبار إبراهيم، البيئة الاجتماعية والاقتصادية وتأثيرها في الفكر السياسي الحديث في العراق (١٨٦٩-١٩١٤) ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب - جامعة بغداد، ٢٠٠٧.
- ١٩- محمد يوسف إبراهيم القريشي، ونستون تشرشل ودوره في السياسة البريطانية، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب - جامعة بغداد، ٢٠٠٥.

- ٢٠- ماريّا حسن مغتاز التميمي ، التجنيد في العراق ١٨٦٩-١٩٣٥ دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ،المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية - الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٥ .
- ٢١- مشتاق طالب حسين الخفاجي، العراق في سنوات الازمة الاقتصادية العالمية، ١٩٤٩-١٩٣٣، رسالة ماجستير ، كلية الاداب - جامعة الكوفة، ٢٠٠١.
- ٢٢- معد صابر رجب التكريتي، جمال الدين الافغان واثره في الفكر السياسي في العراق، اطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد - كلية الاداب، ١٩٩٩ .
- ٢٣- منتهى عذاب نويب ، برسي كوكس ودوره في السياسة العراقية (١٨٦٤-١٩٢٢)، رسالة ماجستير ، كلية الاداب - جامعة بغداد ، ١٩٩٥ .
- ٢٤- ناهده حسين علي ويسن ، تاريخ النجف في العهد العثماني الاخير ١٩٣١-١٩١٧، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية (ابن رشد) - جامعة بغداد ، ١٩٩٩.
- ٢٥- نجاة عبد الكريم عبد السادة علوان ابو الميسر، الاتجاه التوفيقي في النهضة الفكرية الحديث في العراق ١٩١٨-١٩٣٢، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب - جامعة البصرة، ١٩٩٨.
- ٢٦- نورة هيدان كطاف، الفكر السياسي للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، رسالة ماجستير ، كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد، ٢٠٠٨.
- ٢٧- نزار علوان عبد الله، الدور السياسي للنخبة العسكرية في العراق ١٩٥٨-١٩٦٣، رسالة ماجستير، كلية التربية - جامعة بابل ، ٢٠٠٦.
- ٢٨- هدى جاسم محمد البطيحي ، محمد سعيد الحبوبي حياته وشعره، رسالة ماجستير، جامعة بغداد- كلية الآداب، ١٩٩٦.

رابعاً- المقابلات الشخصية

- ١- مقابلة مع الشيخ باقر القريشي مدير مكتبة الامام الحسن في النجف ، بتاريخ ٢٠٠٨/١٢/١٣.
- ٢- مقابلة مع الشيخ شريف محمد الحسين آل كاشف الغطاء، بتاريخ (٢٠٠٨/١٢/١٢)، (٢٠٠٩/١/٧)، (٢٠٠٩/٢/٢١).
- ٣- مقابلة مع الشيخ عبد النور الزبيدي الاستاذ في حوزة النجاراني في النجف بتاريخ (٢٠٠٧/١١/٢٠)، (٢٠٠٧/١٢/١٥)، (٢٠٠٨/١/٦)، (٢٠٠٨/١٠/٥).
- ٤- مقابلة مع الشيخ علي كاشف الغطاء الاستاذ في مدرسة المهدي في النجف، اجريت في مدرسة المهدي بتاريخ ٥ كانون الثاني ٢٠٠٨.

خامساً- البحوث والمقالات

- ١- إبراهيم العاني، الشيخ المظفر مجدد التعليم الديني، النور " مجلة " ، العدد ٧٩ ، لندن ، ١٩٩٧.
- ٢- ابو القاسم كرجي، تطوره في تطور علم الاصول الثقافة الإسلامية " مجلة"، بيروت، ١٩٨٦، عدد ٧.
- ٣- حسن عبد الحسين المسقطي، مذكرات الشيخ محمد رضا المسقطي، ايامي في النجف الاشرف،المواسم " مجلة " ، عدد ٣٢، الهند، ١٩٩٧.
- ٤- الشيخ محمد جواد الجزائري، المواسم " مجلة " ، الهند، ١٩٩٠، عدد ٨٠.
- ٥- شاهد عيان عن ثورة ١٩١٨، نشر وتعليق عمار عبودي نصار، الملتقى (مجلة) ، عدد ٤، بغداد، ٢٠٠٦.
- ٦- عبد الرزاق الهلالي، الدراسة العلمية في النجف الاشرف اهم مركز ديني عند الشيعة الامامية، العربي الكويتية " مجلة " عدد ٣٦، الكويت، ١٩٦١.

- ٧- عدنان البكاء، الشيخ محمد رضا عالماً رسالياً، بحث مقم إلى ندوة الفكرية لاستنكار المآثر العلمية والادبية والاصلاحية للشيخ محمد رضا المظفر، جامعة الكوفة، ١٩٩٧.
- ٨- علاء حسين الرهيمي وحقائق عن الموقف في النجف من الثورة الدستورية الايرانية، ١٩٠٥-١٩١١، السدير، النجف، ٢٠٠٣، عدد ١.
- ٩- علي الزين، بوادر الاصلاح في جامعة النجف، او نهضة الشيخ كاشف الغطاء، العرفان "مجلة" صيدا، ١٩٣٩، مج ٢٩، ج ٢.
- ١٠- علي الشرقي، الحالة الاقتصادية في الفرات، النهضة العراقية "صحيفة"، عدد ٣٦، احد ١٩ / شباط / ١٩٢٨.
- ١١- علي الشرقي، الحركة الفكرية في النجف، النجف "مجلة"، ١٩٢٦، عدد ٤٠.
- ١٢- فاضل الجمالي، جامعة النجف الدينية، ترجمة جودت القزويني، افاق نجفية، "مجلة"، مطبعة النجف، النجف، العدد الثاني / ٢٠٠٦.
- ١٣- فاروق صالح العمر، العسكريون والحكم في العراق، القسم الأول، الحالة غير واضحة، دراسات تاريخية (مجلة)، عدد ١٥، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢.
- ١٤- قيس جواد الغريزي، دور النجف في انتفاضة العراق عام ١٩٤١، دراسات نجفية ((مجلة)) مركز الدراسات، جامعة الكوفة، العدد ٥، ٢٠٠٦.
- ١٥- كامل سلمان الجبوري، ٦٣ عاماً على حرب العراق، ١٩١٤-١٩١٥، ووثائق لم تنشر، افاق عربية "مجلة"، عدد ١٠، ١٩٧٨.
- ١٦- محمد الجمال، النخبة المثقفة وتحديث العراق ١٨٦٩-١٩١٤، دراسات تاريخية "مجلة"، عدد (٢)، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٩.
- ١٧- محمد الحسين آل كاشف الغطاء، إلى متى السكوت، افاق نجفية "مجلة"، عدد ٢، النجف، ٢٠٠٦.

- ١٨- محمد تقي الحكيم ، المنتدى تاريخ وتطور : اضواء على الفكرة، النجف " مجلة " العدد (٢) ، النجف ، ١٩٦٨ .
- ١٩- محمد جعفر شمس الدين، دور الحوزات في عملية التغيير، المنطق " مجلة " ، عدد ٤٥ ، بيروت، ١٩٩٨ .
- ٢٠- محمد حسين المحتصر، المساجلات الادبية والظرف في مجالس ادباء النجف : من مجالس جماعة الرابطة الادبية، افاق مخفية " مجلة " عدد ٢، النجف ، ٢٠٠٦ .
- ٢١- محمد رضا الشبيبي، وثيقة خطيرة حول ثورة النجف ضد الاستعمار البريطاني ١٩١٧-١٩١٨، الثقافة الجديدة " مجلة " ، عدد ٣، بغداد، ١٩٦٩ .
- ٢٢- مرتضى مطهري، منظمة علماء الدين، المنطق " مجلة " ، عدد ٣٨ ، بيروت، ١٩٨٧ .
- ٢٣- منير بكر التكريتي ، محمد الحسين الكاشف الغطاء " افاق نجفية " مجلة، عدد (٢) ، النجف ، ٢٠٠٦ .
- ٢٤- هبة الدين الشهرقاني، المرأة المسلمة ، العلم " مجلة " ، العدد ٨ ، النجف ، ١٩١٠ .
- ٢٥- وهبة الزجيلي ، التقليد في المذاهب الإسلامية، الفريد للدراسات والنشر، " مجلة " ، بيروت، ١٩٩٦، عدد ١ .

سادساً- الصحف والمجلات

- ١- الاعتدال " مجلة " النجف ، عدد ١٠ (١٥ / نيسان / ١٩٣٦) .
- ٢- البذرة " مجلة " عدد ١ ، النجف ، ١٩٤٩ .
- ٣- الراعي " صحيفة " النجف ، عدد ٢، (١٤ / آب / ١٩٣٤) .
- ٤- الزمان " صحيفة " ، بغداد، عدد ٢٢ (٢١ / تشرين الثاني / ١٩٢٧) .

- ٥- العدل الإسلامي " مجلة " العدد المزدوج (١-٢) ، ١٩٤٧ .
- ٦- العراق ، صحيفة ، العدد ١٣ ، الملحق المسائي ، العدد ٣١٦ ، ١٤ آيار ١٩٢٣ .
- ٧- العرب ، صحيفة ، العدد ٨٤ ، بغداد ٩/٤/١٩١٨ .
- ٨- الفجر الصادق " صحيفة " النجف ، عدد ١ ، (٧/آذار / ١٩٣٠) ، عدد ١٩ ، (١١/ تموز / ١٩٣٠) .
- ٩- المؤيد " صحيفة " ، العدد ٦١٣٨ ، القاهرة ، ١٩١٠ .
- ١٠- المفيد " صحيفة " العدد ٩٢ ، ٨ / آب / ١٩٢٢ .
- ١١- المواسم ، ((مجلة)) ، العددان (٥٧- ٥٨) ، هولندا ، ص ٢٨٧-٣٩٣ .
- ١٢- النجف " صحيفة " ، عدد (٧) ، ٤٠ / شباط / ١٩٢٧ .
- ١٣- النجف " صحيفه " النجف ، عدد ٤٠ ، (٨/ مائس / ١٩٢٦) .
- ١٤- الهاتف " صحيفة " النجف ، عدد ١٥٠ ، (١٣/ كانون الثاني / ١٩٣٩) ؛ عدد (٢٦٢) ، (٩/آيار / ١٩٤١) .

سابعاً: المصادر على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)

- ١- اعلام وشخصيات مصرية www.sis.gor.eg
- ٢- الشيخ عبد الكريم الحائري : اراءه الفقهية والاصلاحية
www.almodarresi.com
- ٣- فتاوى علماء الشيعة المؤيدة لمراسيم عزاء الامام الحسين
www.Isiamonline.com
- ٤- الموسوعة العالمية للشعر العربي
www.adab.com
- ٥- طارق مكية ، الفلسفة السياسية للمرجعية الشيعية
www.alnajafnews.net

ثامناً - مقابلات تلفزيونية

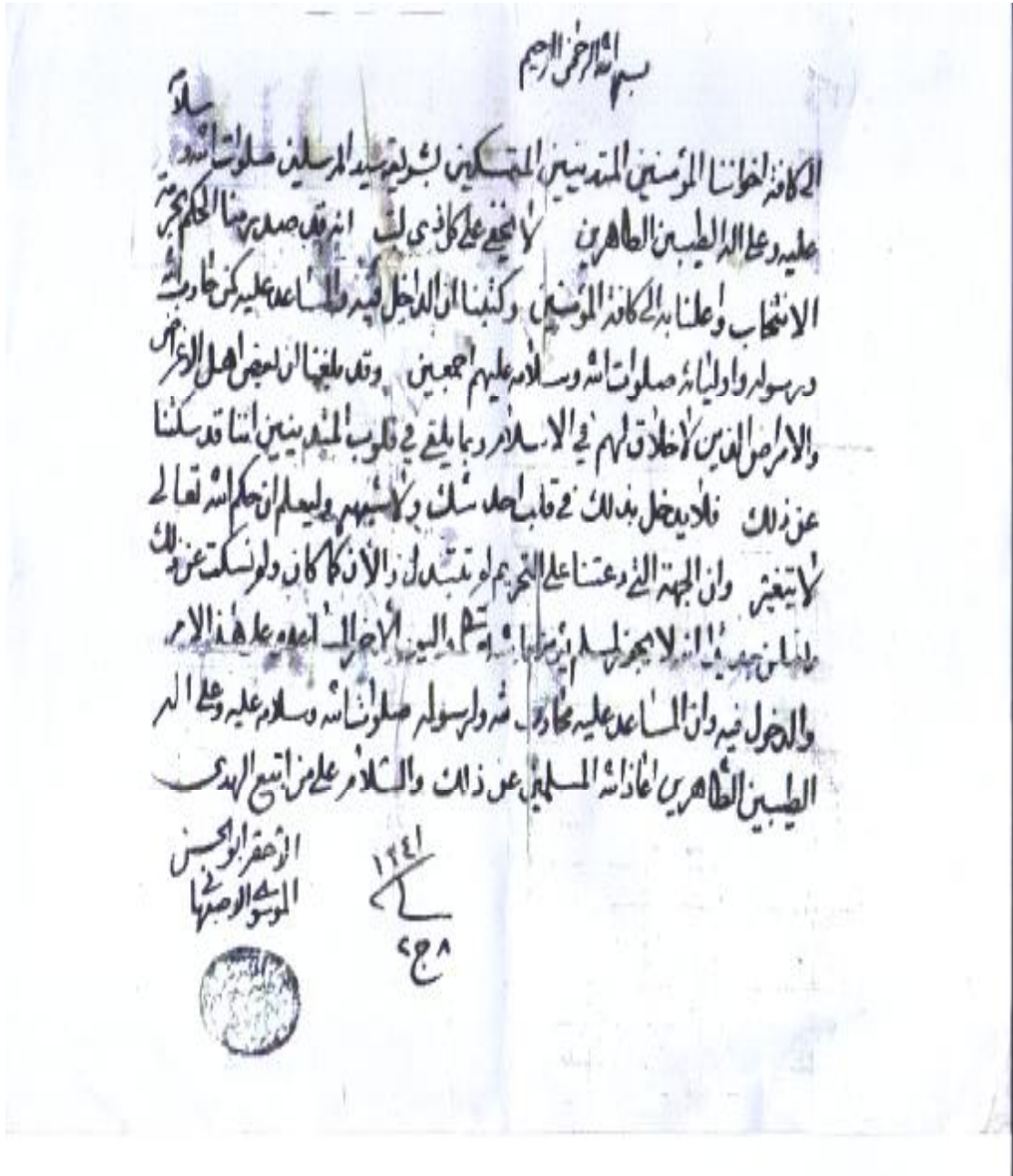
- ١- فالح عبد الجبار، مقابلة تلفزيونية بثتها فضائية الحرة ، برنامج من العراق بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٧.

قائمة الملاحق

ملحق رقم (١)

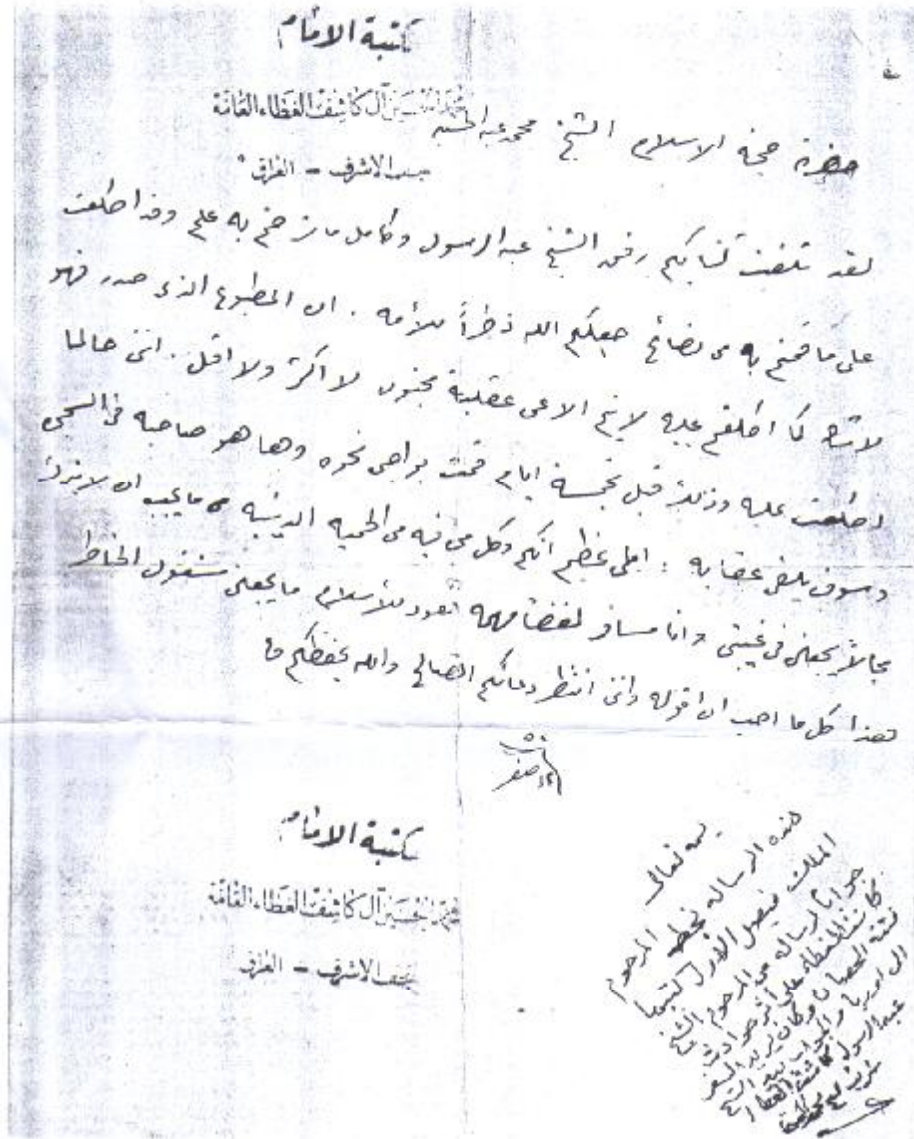
فتوى السيد ابو الحسن الأصفهاني لتحريم انتخابات المجلس التأسيسي

عام ١٩٢٤



ملحق رقم (٢)

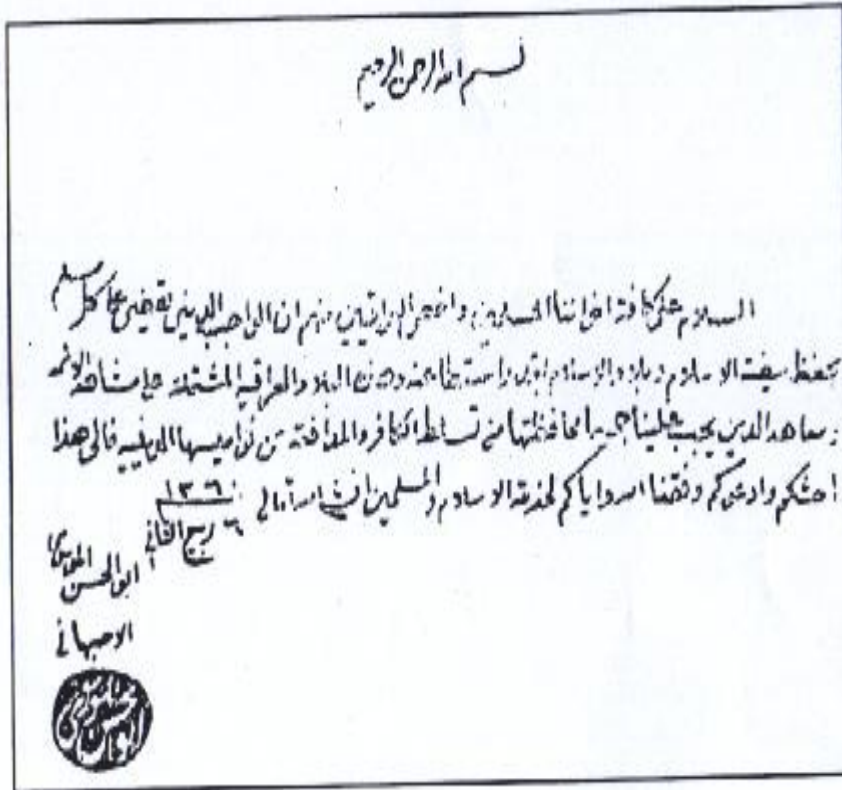
رسالة الملك فيصل الأول إلى الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء



ملحق رقم (٣)

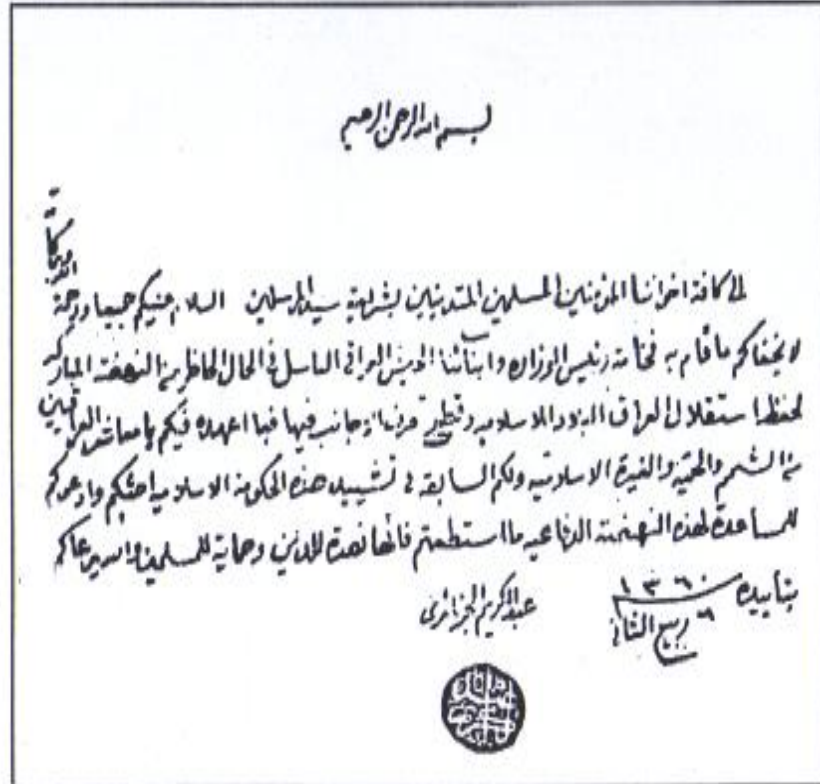
فتوى السيد ابو الحسن الاصفهاني لدعم الجيش العراقي ابان حركة

مايس ١٩٤١



ملحق رقم (٤)

فتوى الشيخ عبد الكريم الجزائري



ملحق رقم (٥)

رسالة رشيد عالي الكيلاني للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

بغداد ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٦٠

سیدی العالم الفاضل الحجة الشيخ محمد الحسين
آل كاشف الغطاء قدس سره

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد وافاني
الآن خطابكم الكريم وشكرت لكم موقف النبل والشهامة
الذي وقفتموه من الحركة الاصلاحية التي اردنا بها
سعادة المملكة وخير الشعب تحت ظل صاحب الجلالة الملك
فهمل الثاني كما اشكر لسماحتكم توجهاتكم القلبية
ودعواتكم الصالحة آمل ان لا يطول الوقت الذي يصلني
فيه الجزء الثاني من (تحرير المجلة) ودمتم بالعرف
والاحترام .

المخلص

كينة الامام

محمد الحسين

شيخنا محمد الحسين آل كاشف الغطاء القامات

جاء لاشراف - العز

Abstract

The thesis tackles the attitude of the religious institution in Najaf towards the national state project in Iraq 1918-1941. It is one of the important themes as it deals with a crucial period of the modern Iraqi history, represented in the foundation of the Iraqi state as a national demand since 1918, then the foundation of the state in 1921 and its political structure and the developments in 1941. The various Iraqi fronts had their own attitude. Therefore, we have chosen the attitude of the religious institution in Najaf for many reasons like: the religious institution has a great effect in the Iraqi people. Then, it has an explicit effect in determining its attitudes towards that. Besides, it is a serene religious institution which history goes back to the eleventh century. Its intervention in the political affairs after centuries of avoiding that either for fear or desire.

On the other hand, the political role of that religious institution in Iraq post-2003 reflected its ability to effect the decisions concerning the building of the Iraqi state after that date led to the increase of academic studies and dealing with its aspects in Iraq. However, most of these studies overlooked an important aspect that has to do with the structure of the state of Iraq, consequently, its stability during the period of study in terms of its ability to encompass the people in their institution through the development of the state foundations by the standard of modern state which allow all to partake in the running of the affairs according to the democratic deserving, in addition to the justice without reference to the ethnical and sectarian bias caring for the social and economical community. These are issues that nature of state national or not. That we are trying to deal with.

The thesis is of an introduction, four chapters and a conclusion with the most important conclusions of the study. The first chapter

studied the development of the political thinking in these institutions until 1918. It tackled first the concept in terms of historical foundation, elements and features. Then, it studied the development of political theories of dealing with the authority, representation theory, and the *wilayat al-faikh* theory. Finally, their origination of the theory in the constitutional state.

The second chapter dealt with the attitude from the foundation of the Iraqi state since 1918 until the stabilization of the political system by recognition of the Iraqi constitution in 1925. We shed light on its role in the national movement that called for independence of Iraq, and then, its role from nominating King Faysal I as a king of Iraq in 1921, in addition to studying the Iraq-British Pact in 1922 and the election of the Founding Council in 1924 and finally the Iraqi constitution of 1925.

The third chapter speaks about the attitude of the religious institution from the political life (1925-1941). It discusses the attitude towards the Iraqi-British Pact (1930), and its attitudes towards the phenomenon of political instability which Iraq has witnessed during the era such as the anti-government movement and the intervention of the army in the life as manifested in the coup of 1936, and May movement in 1941. Finally, the chapter discusses its attitude towards the modern political ideologies like nationalism, liberalism, and leftism. While, the fourth chapter discusses the attitude towards the issue of modernization of society. The chapter speaks about the view to women, economical situation and the n the reform of clerical education.

The research comes up to the following findings:

- the religious institution witnessed great development in the *figh* and political levels, which led to the emergence of a reformist current that believed ii the right of society to

determine the form of governance keeping with the global development.

- The reformist current has contributed to the support of the national movement of independence and calling for the independence of Iraq and the foundation of the constitutional state based on the principle of separation of authorities.
- The foundation of the Iraqi state in 1921 basically was a by-product of the internal factor of the 1920 Revolution in which the religious institution has contributed and Britain was duly obliged to the foundation of the Iraqi state.
- The religious institution affirmed the necessity of achieving total sovereignty as basic condition with the launching of the national state project in Iraq. That led to the clash with the Iraqi authority as well as the British.
- The banishing of those poles of the religious institution who were active in the confrontation of the British project to support the partisan elite and keeping Iraq under their mandate. That led to the undermining of the national movement.
- The appearance of the patriarch sheikh Mohamed Hussien Al Kashif Alghita'a has redeemed the political weight of the religious institution on one hand and its reforming role on the other.
- Iraqi politician could not create a state of institutions due to struggle with the authority. That led the Iraqi state to be an authority more than a modern state as it was supposed to be. the religious institutions meant that and wanted reform.
- The project of Iraq state was not the real project at that time, the reason is that it was based in accordance with the British's, not the people's, interests.

The Attitude of the Religious
Institution in Najaf towards
the
National state project in
Iraq 1918- 1941

A thesis submitted by
Hussein Abdul- wahid Badi

**To the board of the college of Arts,
university of Baghdad , in partial
Fulfillment of the requirements of The
degree of ph. D in contemporary history**

Supervised By
prof (Ph.D) Hassan -A-sabti al fatlawi

2010AD

1431AH